

الموازنة

خِثَائِ الْعَرَبِ

٢٥

الموازنة

بين شعرا أبي تمام والبُحْثري

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

الطبعة الخامسة

٢



دار المعارف

ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين

وأفتتح ذلك بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني . وأبوها أبواباً ،
لتصح الموازنة بينهما .

مأقالاته في البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

يا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِذْ بَعُدُوا هِيَ الصَّبَابَةُ طَوَلَ الدَّهْرَ وَالْكَمْدُ^(١)
هذا أجودُ ابتدآته في هذا المعنى . وأبلغها .

وأجود منه وأحلى قول البحترى :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنْهُ الْبَثُّ وَالْكَمْدُ وَمُقَلَّةٌ تَبْذُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ^(٢)

قوله : « تبذل الدمع الذي تجد » معنى ما لحسنه نهاية . ولفظ . في
غاية البراعة والحلاوة .

وقال أبو تمام :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَا جِدَ فَعَدَا إِذَا بَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَاءِدِ^(٣)

وهذا ابتداء جيد .

(١) ديوان أبي تمام ٩٦ وشرح التبريزي ١٠ / ٢ وفيهما « إن بعدوا . . . الدهر والسهد »

(٢) ديوان البحترى ٥٩١ ، ١٠ / ٤٩٥ دار المعارف

(٣) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزي ١ / ٤٠٦

وقال البحرى :

رَحَلُوا فَايَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ أَسْفًا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ^(١)
هذا أيضاً ابتداء جيد حسن .

وقال أيضاً :

أَكُنْتَ مُعْنَفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجْتُ دُمُوعِي فِي الْهُوْلِ^(٢)

وقال أيضاً :

إِنَّ سَيْرَ الْخَلِيطِ يَوْمَ اسْتَقْلًا كَانَ عَوْنًا لِلدَّعْرِ حِينَ تَوَلَّى^(٣)

وقال أيضاً :

لَمْ تَبْلُغِ الْحَقَّ ، وَلَمْ تُنْصِفِ عَيْنُ رَأَتْ بَيْنًا فَلَمْ تَذْرِفِ^(٤)

وهذه كلها ابتداءات جيدة ، عذبة ، شهية .

وقال أيضاً :

دَعْ دُمُوعِي فِي ذَلِكَ الْأَشْتِيَاقِ تَتَنَاجَى بِذِكْرِ يَوْمِ الْفِرَاقِ^(٥)

وهذا بيت ردىء . قد عابه «ابن المعتز» ، وقال : ما أقبح قوله : « في

ذلك الاشتياق » . وهى - لعمري - قبيحة ، ولا أعرف له مثلها .

(١) ديوان البحرى ٦٠٠ ، ١ / ٣٧٨ / ١٧٣٦ ، وفى م « فلى »

(٢) ديوانه ٤٨

(٣) ديوانه ١٥٥ « للدمع لما استهلا » وكذلك فى طبعة بيروت ١٦٩ / ٢ ، ١٦٥٥ / ٣

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٢ / ١٣٦٠

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ٣ / ١٤٦١ « بفعل يوم »

مالأبى تمام فى البكاء على النساء المفارقات

• • •

قال أبو تمام :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ^(١)

قوله : « سرت » يريد أنها سهرت فكأنها قطعت الليل بالسهر ، مُسْتَجِيرَةً بالدمع ، تبكى ليلها أجمع . ولم يرد أنها سارت ليلا . فجعل سهرها سُرى ، وفسر ذلك بقوله : « وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ » .

وهذا ابتداء ليس من جيد الابتداآت : ولا من رديثها .

وقال أيضاً :

بُدِّلَتْ عَبْرَةٌ مِنْ الْإِيْمَاضِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ^(٢)

« الْإِيْمَاضِ » أراد تبسمها وبريق^(٣) ثغرها ، جعله مِثْلَ وَمِضِ البرق . يريد أنها بُدِّلَتْ من الضحك البكاء لما استعدوا للرحيل .

وهذا ابتداء جيد .

وقد عابه « ابن عمّار » . وغيره لقوله : « الْأَغْرَاضِ » ؛ وَلَحْنُهُ ، وقالوا : الْأَغْرَاضِ : جمع غَرَضٍ ، وَفَعْلٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى أَفْعَالٍ .

أَفْعَمًا^(٤) سمعوا بقولهم : فَرَحٌ وَأَفْرَاحٌ ، وَفَرْدٌ وَأَفْرَادٌ . وَشَكْلٌ وَأَشْكَالٌ ، وَجَفْنٌ وَأَجْفَانٌ ، وَعَصْرٌ وَأَعْصَارٌ ، وَزَنْدٌ وَأَزْنَادٌ ؟ !

(١) ديوان أبى تمام ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٢

(٢) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٨ وفى م « الأنماض »

(٣) م « الأنماض » . . . ويوبق ثغرة « والتصويب من ق

(٤) م « إنما »

وقول الأعشى :

« وَزَنْدُكَ أَثَقَبُ أَرْزَادِهَا ^(١) » .

وقولهم أيضاً : شَرَطُ وَأَشْرَاطُ ، وقول الله تعالى : « فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا » ^(٢) .

فقد نطقت العرب بهذا الجمع بعينه . قال الراجز في وصف الإبل :

حَتَّى إِذَا مَا قَلِقَتْ أَغْرَاضُهَا وَنَضَحَتْ بِمَائِهَا أَغْرَاضُهَا

وقال غيلان بن حريث الربيعي . .

بِكُلِّ سَامٍ فِي الزَّمَامِ نَهَاضٍ خَيْسَهُ بِالذَّلِّ رَوْضُ الرُّوَاحِ ^(٣)

فِي قُلُوبِ تَمْطُو سَفِيْفَ الْأَغْرَاضِ ^(٤)

سَفِيْفٌ : نَسِيْجٌ ، وَالْأَغْرَاضُ : جَمْعُ غَرَضٍ . وَهُوَ لِلْبَعِيرِ مِثْلُ الْحِزَامِ

لِلْفَرَسِ .

وَأَنشَدْنَا الْأَخْفَشَ لِرَجُلٍ مِنْ طَيْيٍّ :

إِذَا الْعَيْسُ أَضْحَتْ بِالْفَلَاةِ كَأَنَّهَا وَقَدْ قَلِقَتْ أَغْرَاضُهُنَّ جُفُونُ

ومثله في الشعر - إذا تتبعته - كثير .

• • •

وقال أبو تمام :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا ^(٥)

وهذا ابتداء ليس بالجيد . ولا بالردى .

وَالْأُسْرُوعُ : دُوْبِيَّةٌ نَاعِمَةٌ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ تَشْبَهُ بِهَا أَصَابِعُ النِّسَاءِ .

(١) ديوان الأعشى ٤٤ و صدره : « وجدت إذا اصطلحوا غيرهم »

(٢) سورة محمد ١٨

(٣) م ، ق « حيه » والتخييس : التذليل ، كما في اللسان ٧ / ٣٧٦

(٤) تَمْطُو : تَمَدَّ

(٥) ديوان أبو تمام ٤٩٨ و شرح التبريزي ٣ / ٣٩٠ « إل بنانة » . والبنانة : واحدة البنان

وقال أيضاً :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِيعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالِدَمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ^(١)

وقال أيضاً :

أُظِنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهِيَ سِلْكَاهُ مِنْ نَخْرِ وَجِيدِ^(٢)

وهذان ابتداء آ ن جيدان .

* * *

وقال :

ذَرِينِي مِنْكَ سَافِحَةَ الْمَسَاقِي وَمِنْ سَرَاعَانِ عَبْرَتِكَ الْمَرَاقِي^(٣)

وهذا قول فيه جفاء .

ووجدت الناس يستحسنون قوله :

خَذِي عَبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُوفِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ الْقِنَاعِ^(٤)

زَمَاعِهِ : إِزْمَاعُهُ الرَّحِيلُ . يقال : أَزْمَعَ يُزْمَعُ .

وقوله : « وَصُوفِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ الْقِنَاعِ » لأنها برزت عند الفراق جزءاً ،

وكشفت القناع .

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢٤٨ يروي « بعض شجو »

(٢) ديوانه ١٠٤ وفي شرح التبريزي ٣٢ / ٢ : « السِّن : السابق . والفريد : الدر ، وأراد بسن الفريد : ما يقطع منه ، أخذ من قولهم : سن الماء يسته سنا : إذا صبه صباً سهلاً . أي أظن دموع هذه المرأة مستنة امتنان الفريد »

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٤٢٢ / ٢

(٤) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٣٣٦ / ٢

ومن ابتداء آتتهما من باب الفراق في معان شتى

• • •

١- قال أبو تمام :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فِيهِ طَوْعُ الْإِتِّهَامِ وَالْإِنِّجَادِ^(١)

٢- وقال أيضاً :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنُ الَّذِي هُوَ صَانِعُ فَإِنْ تَكُ مِجْزَاعاً فَمَا الْبَيْنُ جَارِعُ^(٢)

وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

أَصْنَى إِلَى الْبَيْنِ مُغْتَرّاً فَلَجَرَمَا أَنَّ النَّوَى أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَمًا^(٣)

قوله : أصنى إلى البين . أى سمع^(٤) ما أخبروه به من ذكر الفرقة ، فغير ذلك من عقله . ويريد باللمم : الجنون .

وقد أوضح هذا المعنى في البيت التالى ، وهو قوله :

أَصْنَى سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرّاً يُورِثُ الصَّمَمَا

أى صرت لا أفهم شيئاً بعد ذلك السر الذى دلَّهْنِى ، وأطار^(٥) عقلى ، فكأنى أصم عن كل قيل .

(١) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ٣٥٨ / ١

(٢) ديوانه ٤٧٧ . وشرح التبريزى ٥٨٠ / ٣ وفيه : « يقول : صنع البين بك ما كنت

تحذره ، فإن شئت فاصبر وإن شئت فاجزع ، فإن البين لا يبالى »

(٣) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ١٦٥ / ٢ وأسارت : أبقت

(٤) م « أسمع »

(٥) م « وأطال »

وهذا المعنى ليس من اختراعاته . وقد ذكرته في سرقاته ، وما جاء في معناه لغير واحد من الشعراء .

وقال :

أَهْلُوكِ أَضْحَوْا رَاحِلًا وَمُقَوَّضًا وَمُزَمَّمًا يَصِفُ النَّوَى وَمُغَرَّضًا^(١)
 الْمُقَوَّضُ : الذى يُقَوَّضُ البيوت ، ويقتلها للرحيل^(٢) . وَمُزَمَّمًا يَصِفُ
 النَّوَى : الذى يزعم الإبل والأزمة . [والمغرض]^(٣) يشدها بالغرض .
 وهو كالحزام للفرس .
 وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

تَحْمَلُ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالٌ^(٤)
 قال ذلك لَأَنَّ الصَّبَا : رِيحٌ تُجِبُّهَا الْعَرَبُ مَحَبَّتَهَا لِلْجَنُوبِ ؛ لِأَنَّهَا
 رِيحٌ لَيْسَتْ عَذْبَةً ، وَقَدْ تَجَلَّبَبَ الْمَطَرُ فِي بَعْضِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَمَا تَجَلَّبَبُهُ
 الْجَنُوبُ . قال امرؤ القيس :
 رَاحَ تَمَرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ أَنْتَحَى مِنْهُ شُبُوبٌ جَنُوبٌ مُنْفَجِرَةٌ^(٥)
 فَأَرَادَ أَنَّ صَبَاهُ - أَيْ رِيحَهُ فِي الصَّبَا الَّتِي كَانَتْ تُؤَلِّفُ لَهُ مَا يَهْوَاهُ
 وَيُحِبُّهُ مَعَ مَنْ يُحِبُّهُ - عَادَتْ شِمَالًا ؛ لِأَنَّ الشِّمَالَ فِي أَكْثَرِ نَوَاحِي الْأَرْضِ
 لَا تُؤَلِّفُ السَّحَابَ ؛ بَلْ تَمَحَقُّهُ وَتَشِينُهُ كَمَا قَالَ :

(١) ديوان أبي تمام ١٨٥ وشرح التبريزي ٢/ ٣٠١

(٢) م ، ق « للرجل »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ٢٤٤ وشرح التبريزي ٣/ ٧٢

(٥) ديوان امرئ القيس ٩٠

لعمري لئن رِيحُ المودَّةِ أَصْبَحَتْ شَمَالاً لَقَدْ مَأْ كُنْتُ وَهَى جُنُوبُ
وقال أبو تمام :

نَصَدْتُ وَحْبِلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدُ شَزْرُ وَقَدْ سَهَّلَ التَّوْدِيْعَ مَا وَعَّرَ الْهَجْرُ^(١)
نصدت : أي بدت . وظهرت . ومُستَحْصِدُ : شديد الفتل . والشَّزْرُ^(٢) :
الفتل إلى فوق . واليَسْرُ : الفتل إلى أسفل .

وقوله : « وقد سهَّلَ التوديعُ ما وعَّرَ الهَجْرُ » - يريد أنها كانت هاجرة
فبرزت عند التوديع .

وقال أيضاً :

مَالِي بِعَادِيَةِ الْآيَّامِ مِنْ قَبْلِ لَمْ يَشْنِ كَيْدَ النَّوَى كَيْدِي وَلَا حِيلِي^(٣)
وهذا من جيد ابتدآت هذا الباب .

وقال البحتري :

رَاجَعَ الْقَلْبَ بَثُّهُ وَحِبَالُهُ لِيَخْلِيْطَ . زُمْتُ لِبَيْنٍ جِمَالُهُ^(٤)
وقال أيضاً :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَّاخِرُهُ وَوَشْلِكِ نَوَى حَيَّ تَزُمُ أَبَاعِرُهُ^(٥)
وقال أيضاً :

شَطَّ مِنْ سَاكِنِ الْعُوَيْرِ مَزَارُهُ وَطَوَّتُهُ الْبِلَادُ فَاللَّهُ جَارُهُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ « ما أوعز الهجر » ، وشرح التبريزي ٢ / ٥٦٧

(٢) اللسان ٦ / ٧٢

(٣) ديوانه ٢٤٩ وشرح التبريزي ٣ / ٨٨

(٤) ديوان البحتري ٧٩٦ ، ١٨٣١ « عاود القلب »

(٥) ديوانه ٢٥٠ ، ٢ / ٨٧٦

(٦) ديوانه ٥٣٤ ، ٢ / ٩١٧

وقال أيضاً :

إِذَا عَرَّضْتُ أَحْدَاجُ سَلَمَى فَنَادَهَا سَقَتِكَ رَوَايَا الْمُرْنِ صَوَّبَ عَهَادَهَا^(١)

وقال أيضاً :

تَظُنُّ شُجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ وَقَدْ خَلَجَ الْبَيْنُ مَنْ قَدْ خَلَجَ^(٢)

وقال أيضاً :

بِحِثْلِ لِقَائِهَا شُفِي الْغَلِيلُ غَدَاةَ تَزَايَلَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ^(٣)

وقال :

فَوَادُ بَذِكْرِ الظَّاعِنِينَ مُوَكَّلُ وَمَنْزِلُ حَيٍّ فِيهِ لِلشَّوْقِ مَنْزِلُ^(٤)

وقال أيضاً :

لِمَا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ وَإِنْ حَمَّ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ^(٥)

وقال أيضاً :

عَلَى الْحَيِّ سِرْنَا عَنْهُمْ وَأَقَامُوا سَلَامٌ ، وَهَلْ يُدْنِي الْبَعِيدَ سَلَامٌ؟^(٦)

وقال أيضاً :

لَأَوْشَكَ شَعْبُ الْحَيِّ أَنْ يَتَفَرَّقَا فَيُدْنِي الْجَوَى ، أَوْ يَرْجِعَ الْحَبُّ أَوْلَقَا^(٧)

(١) في ديوان البحترى ١٠٩ «أحداج ليل» والأحداج : جمع حدج ، وهو من مراكب النساء ، يشبه المحفة ، كما في اللسان ٥٣/٣ . وهو في ٦٧٤/٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٥٥١ ، ٤١٩/١ ويقال : اعتلج الموج : التطم ، واعتلج الهم في صدره ، كذلك على المثل . وخليج : جذب وانتزع

(٣) ديوانه ٣٠٠ ، ١٨٢٢

(٤) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢ ، وفي م : « فواد مذكر » !

(٥) ديوانه ٢٤١ ، ٨٧٠/٢

(٦) ديوانه ٣٦٣

(٧) ديوانه ٢٦٢ ، ١٨١٠ « فیدی » ، ق : « أو رجع »

أى يصير الحبُّ جُنونا . وهذا كقول أبي تمام :
 * أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لِمَا *^(١)

وقال :

عَادَ لِلصَّبِّ شَجْوُهُ وَكُتِبَتْهُ بِبِعَادِ الَّذِي يُرَادُ أَفْتِرَابُهُ^(٢)
 وقال أيضاً :

أَصْدُوْدٌ غَلَا بِهَا أَمَّ دَلَالُ يَوْمَ زُمْتُ بِرَامَةِ الْأَجْمَالِ^(٣)
 وهذه كلها ابتداءات جيدة ، حسان ، مختارة المعاني .

وقال أبو تمام :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا . وَلَا مَعْقُولًا^(٤)
 فجعل يوم الفراق طويلا .

* * *

وقال البحتري كأنه يرُدُّ هذا المعنى^(٥) على أبي تمام ، وَيَنْسُبُ يَوْمَ
 الْفِرَاقِ إِلَى الْقَصْرِ . وَذَكَرَ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :
 وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْفِرَاقَ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى أَمْرِي بِطَوِيلٍ^(٦)
 قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ عَلَى مُتَزَوِّدٍ مِنْهُ لِذَهْرِ صَبَابَةٍ وَعَوِيلٍ
 وهذه إنما هي حال من كان محبوبه محجوباً منه . ورؤيته متعذرة عليه
 قبل يوم الفراق .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠١ وشرح التبريزي ١٦٥ / ٣ . وانظر ص ١٠

(٢) ديوانه ١١٥ / ١٤٩٥

(٣) ديوانه ١١٥ / ١٠١٨١٠

(٤) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٦٦ / ٣ . والمعقول : اسم مفعول بمعنى المصدر

(٥) « كأنه يريد بهذا »

(٦) ديوان البحتري ٦١٠ ، ١٦٦٣ « لا تؤدى » .

وقد بين هذا المعنى بقوله :

إِنَّ لِلْبَيْنِ مَنَّةً لَنْ تُودَى وَيَدًا فِي تُمَاضِيرِ بَيْضَاءِ^(١)
حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ كَانَ دَاءً لِعَاشِقٍ وَدَوَاءً
أَصْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَلِكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبُوءَةٍ ، وَسَرَّ وَسَاءَ
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَامًا وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً^(٢)

وهذا مذهب صحيح ، ومعنى واضح .

وقال البحتري في نحوه أيضاً :

وَيَوْمَ تَلَاقٍ فِي فِرَاقٍ شَهِدْتُهُ بَعَيْنٍ إِذَا نَهْنَهَتْهَا دَمَعَتْ دَمَا^(٣)

فكيف يكون يوم تلاق طويلاً ؟

وقال في نحوه أيضاً :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلًّا لَنَا عَنْ غَادَةٍ بَيْضَاءَ تَجَلُّوْا عَنْ شَتِيَّتِ أَشْنَبِ^(٤)
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ^(٥)

وقال أيضاً فيما يؤكد هذا المعنى ، ويزيده صحة :

مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُثْبَانُ رَمَلٍ تَتَغَنَّى أَفْنَانُهُنَّ فُنُونًا^(٦)
وَبُودُ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقْدَمْتُ ظُعْنُ الْحَيِّ أَنْ تَكُونَ عُيُونًا^(٧)

(١) ديوان البحتري ٧١٢ ، ١ / ١٤ دار المعارف

(٢) م « فيه لفتاً »

(٣) كذا في م ، ق ، وفي الديوان ٢٠٨٧ / ٤ وفيه ١٢٧ بيروت « قطرت »

(٤) يقال ثغر شتيت : مفرق مفلج . وبياء في اللسان ١ / ٤٨٨ « اختلفوا في الشنب ، فقالت طائفة : هو تحزير أطراف الأسنان . وقيل : صفاؤها ونقاؤها . وقيل : هو تغليجها . وقيل : هو طيب نكهتها . وقال الأصمعي : الشنب : البرودة والعذوبة في الفم » وهما في ١ / ٢٨٢

(٥) في الديوان : « وآيست منه »

(٦) ديوانه ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١ « من وراء السجوف »

(٧) في الديوان : « لو تكون »

وقد قال بعض الأعراب . أنشدناه الأَخْفَش عن المبرد :

جَزَى اللَّهُ يَوْمَ الْبَيْنِ خَيْرًا ؛ فَإِنَّهُ أَرَانَا - عَلَى عِلَاتِهَا - أُمَّ ثَابِتٍ
تُبَاهِي بِهَا الْأَرْضُ السَّمَاءَ إِذَا مَشَتْ عَلَيْهَا وَتُحْيِي غَشِيَةَ السَّمَاءِ^(١)

وقال بعض الظرفاء :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي أَشْتِيهِهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ^(٢)
إِنْ فِيهِ أَعْتِنَاقَةٌ لِيُودَاعِ وَانْتَظَارَ أَعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ

• • •

وقال البحتري :

مَا كَفَى مَوْقِفُ التَّفَرُّقِ حَتَّى عَادَ بِالْبَثِّ مَوْقِفُ الْإِجْتِمَاعِ^(٣)
أَعْنَاقُ اللَّقَاءِ أَثْلَمُ فِي الْأَحْ شَاءَ وَالْقَلْبِ ، أَمْ عِنَاقُ الْوَدَاعِ ؟

وقال أيضاً :

لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا نَ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا^(٤)
وَإِنَّمَا ذَهَبَ أَبُو تَمَامٍ فِي مَعْنَى طُولِ يَوْمِ الْفِرَاقِ إِلَى مَا يَعْهَدُهُ النَّاسُ ،
وَيَتَعَارَفُونَهُ مِنْ أَنَّ وَقْتُ الْبُؤْسِ ، وَزَمَانُ الْمَحَنَةِ أَبَدًا - طَوِيلٌ . وَاعْلَمْ مَا كَانَ
مَهْجُورًا قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ . وَلَا كَانَتْ حَالُهُ حَالِ الْآتِي وَصَفَهَا الْبَحْتَرِيُّ .
وَعَلَى أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مِثْلِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

يَا أَبْنَةَ الْعَامِرِيِّ عَمًّا قَلِيلٍ يَا أَدْنَ الْعَيِّ - فَأَعْلَمِي - بِالرَّحِيلِ
قَدْ سَمِعْتُ الْغُرَابَ يَذْكُرُ بَيْنَنَا وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكِ الْمَوْصُولِ^(٥)

(١) م « عشية المأوت » والتصويب من ق

(٢) هما من غير نسبة ، في أمال المرتضى ٢٥٧ / ٢

(٣) ديوان البحتري ١٣١ ، ٢ / ١٢٤٣

(٤) ديوانه ٦٨٧ ، ١٧٦٧

(٥) ديوانه ١٦٧٧ « بوعد بينا »

كَيْفَ لِي بِالسُّلُوكِ لَا كَيْفَ وَالْبَيْتُ نُنْ نَازِلٌ بِحَظْبٍ جَلِيلٍ
 إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ لَيْسَ يَفْنَى ، وَيَوْمٌ حُزْنٌ طَوِيلٌ
 وإنما قال البحترى هذا لأن من يهواه كان مُوَاصِلًا له ، وذلك قوله :
 « وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكَ الْمَوْصُولِ » .

ولم يقنع بأن قال : « إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ » حتى قال : « ليس
 يفنى ، ويوم حزن طويل » .
 ففعل أبا تمام كانت هذه حاله أيضاً في مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ ،
 واستطال يوم الفراق لذلك .

ومن ردىء ابتدأت أبي تمام في هذا الباب قوله :
 هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَذْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ^(١)
 وإنما جعله رديئاً قوله : « هن » ، فابتدأ بالكناية عن النساء ، ولم
 يجر لهن ذكر بعد .

ثم قال : « عوادي يوسف » ، ومعناها صَوَارِفُ ، يقال : عداني عنك^(٢)
 كذا : أي صرفني . أراد : هُنَّ صَوَارِفُ يُوسُفٍ ، وصواحيبه ، وصوارف ههنا
 لفظة ليست قائمة بنفسها ؛ لأنه يحتاج أن يعلم صوارفه عن ماذا . واللفظة^(٣)
 القائمة بنفسها أن لو قال : « واتن يوسف » ، أو « شواغف يوسف » ، أو
 نحو ذلك . وكأنه أراد صوارف يوسف عن تقاه ، أو عن هداه ، أو عن

(١) ديوان البحترى ٤٣ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٣ ويروى : « أدرك الثار » و « أدرك السؤل » .

(٢) م « عنه »

(٣) م : « الكلمة بمشاهدة الألفاظ » ؛ والتصويب من ق

صحيح عزمه حتى هم بالمعصية . وإنما يتم معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ
أَلَّوْ وَصَلَهَا بِهَا .

ثم ألحق بيوسف التنوين . فجاء بثلاثة ألفاظ. متوالية كلها رديئة في
موضعها .

وتتم البيت بعجز لا يليق بصدرة . وهو أردأ معنى من الصدر . وذلك
قوله : « فَعَزَمًا فَمَدَمًا أَدْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ »

فتصير جملة معنى البيت : هُنَّ صَوَارِفُ يَوْسُفَ فَأَعَزِمُ ؛ فَقَدِيمًا أَدْرَكَ
الْبُعْدَ طَالِبُهُ .

وهذا كلام لا يلائم بعضه بعضاً . ولا يتشابه . وإنما كانت ألفاظه
ومعانيه تتشابه لو قال :

هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَلَا يَعْدُونَكَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ
أَوْ « فَلَا يَعْدُونَكَ الْعَزْمُ فِيمَا تُطَالِبُهُ » . أى لا يتجاوزك .

أَوْ « فَلَا تَعْدِلُنْ عَنْ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبِهِ » . أى هن صوارف يوسف عن
عزمه ، فلا تنصرف أنت عن عزمك ومطلبك لِعَدْلِهِنَّ ، ومن أجلهن .

وقد عاب أبا تمام بهذا البيت - أبو سعيد الضَّرِير^(١) ، وأبو العَمَيْثَل
الأَعْرَابِي^(٢) ، وكانا على خزانة الأدب لعبد الله بن طاهر بخراسان وكان
الشاعر إذا قصده ، عرض عليهما شعره ، فإن كان جيداً عرضاه عليه ، أو
دعى به فأنشده . وإن كان رديئاً نبذاه ، ودفع إلى صاحبه البر على غير

(١) اسمه أحمد بن خالد . وترجمته في نكت الميهان ٩٦

وبغية الوعاة ١٣١ وإنباه الرواة ١ / ٤١ ومعجم الأدباء ٣ / ١٥

(٢) اسمه عبد الله بن خليل ، وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٧ ووفيات الأعيان

٢ / ٢٧٥ وجملة الأيام ١٣٩

الشعر . فلما قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما ، ردفع القصيدة إليهما فضمّهما إلى أشعار الناس . فلما تصفحا الأشعار مرّت هذه القصيدة على أيديهما . فلما وقفا على هذا الابتداء طرحاها مع الشعر المنبرذ . فأبطأ خبرها على أبي تمام فكتب إلى أبي العميثّل أبياتاً يعاتبه فيها ، ويقول :
وَأَرَى الصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فَتْرَةٌ فَتَرَتْ لَهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ^(١)
ثم لقيهما فقالا له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهمان ما يقال ؟

فاستحسن هذا الجواب من أبي تمام .
والرجلان ما عابا إلا معيياً ، وما أنكرا إلا منكراً . وكانا من أعلم الناس بالشعر وبكلام العرب .

مضت ابتدآتهما بذكر الفراق فلنذكر الآن ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام .

(١) ديوانه ٣١٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨١ وأخبار أبي تمام ٢٢٤

البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

فَارَقْتَنَا وَلِلْمَدَامِعِ أَنَا سَوَارٍ عَلَى الْخُدُودِ غَوَادٍ^(١)
 كُلُّ يَوْمٍ يَسْتَفْخَنَ دَمْعًا طَرِيفًا يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تَلَادٍ
 وَاقِعًا بِالْخُدُودِ وَالْبَرْدُ مِنْهُ وَاقِعٌ بِالْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ^(٢)

وهذا في البكاء مذهب حسن جداً ، في أجود لفظ. واضح سيال .

وقال أيضاً فأحسن كل الإحسان :

رَدُّ الْجُمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلًا^(٣)

وقال البحتري في ضد هذا المعنى :

وَقَفْنَا وَالْعَيْنُ مُشْغَلَاتٌ يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظْرٌ كَلِيلُ^(٤)
 نَهْتُهُ رِقْبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلَقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

والنَّاسُ لِبَيْتِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَنَحْوِ مَذْهَبِهِ فِيهِ - أَشَدُّ اسْتِحْسَانًا ؛ لِكثْرَةِ

ما يشاهد مثله .

(١) ديوان البحتري ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٣٥٨

(٢) ويروى «والحر منه»

(٣) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦

(٤) ديوان البحتري ٣٠٠ ، ١٨٢٢

وقال أبو تمام :

لعمري لقد أقوت مغائيكُم بَعْدِي وَمَحَتْ كَمَا مَحَتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ^(١)
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْتَاهِمِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

قوله : « كَمَا مَحَتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ » - غلط ؛ لأنَّ الوشائع هي الغزل الملفوف من اللُحمة التي تداخل في السدى. فإذا نُسِجَ الثوبُ فليس فيه شيء يسمى « وَشِيعَةً » ولا « وَشَائِعٌ » .

وقد ذكرت هذا في باب أغاليطه المجموعة^(٢) .

وقد عاب عليه أيضاً قوم قوله : « فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ » وقالوا : الإِنْجَادُ إنما يكون على المُحَارِبِ . فَأَيُّ مُحَارَبَةٍ أَوْ مُجَاهِدَةٍ تكون أعظم من مجاهدة المغرم من يَهْوَاهُ ، ولا سيما إن كان مُنوعاً ولم يكن مُوَاتِيَا ؟

وقد أفصح البحترى بأنَّ المحبوب مُحَارِبٌ فقال :
هَلْ كُنْتَ لَوْلَا بَيْنَهُمْ مُتَوَهِّمًا أَنَّ أَمْرًا يُشْجِيهِ بَيْنَ مُحَارِبٍ^(٣)
فقول أبي تمام : « أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ » - من أحسن كلام ، وأحلاه ، وأجوده .

وقال أبو تمام :

وَقَالُوا : أَسَى عَنْهَا ، وَقَدْ خَصَمَ الْأَسَى جَوَانِحُ مُشْتَقٍ إِذَا خُوصِمَتْ لُدُّ^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٢٧ وشرح التبريزي ٩٢ / ١٠ ويروى : « شهدت لقد »

(٢) راجع ص ١٨٣

(٣) ديوان البحترى ٦٩٦ ، ١ / ١٥٩ دار المعارف

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٠ وشرح التبريزي ٨١ / ٢

وَعَيْنٌ إِذَا نَهْنَهَتْهَا عَادَتِ الْكَرَى وَدَمْعٌ إِذَا اسْتَنْجَدَتْ أَسْرَابَهُ نَجْدٌ^(١)
وما خلفَ أجفاني شُؤْنٌ بِخَيْلَةٍ ولا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدٌ^(٢)
وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى مِنْ الْقَوْمِ حُرٌّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدٌ
قوله : أَسَى عنها ، أى تَأَسَّى عنها . وقد خصم الأَسَى جوانح مشتاق :
أى غلبت التأسّى وأَبَتْ عليه .

وعين إذا نهنتها ، أى كفتها عن النوم .

وقوله : «تحت أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ» فأرواق إنما هو : جمع رَوْق [وروق]
كلّ شيء :أوله ؛ ولذلك قيل للقرن : رَوْق . يقال : ألقى عليه أَرْوَاقَه : أى
ثقله . وواحدتها رَوْق ، ويقال : أَلْقَتِ السَّحَابَةُ أَرْوَاقَهَا : إذا دامت ولم
تُقْلِع .

وقال أبو تمام أيضاً :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشُّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلَّ الدَّمْعُ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(٣)
يَوْمَ تُرِيكَ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ النَّوَى أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وَأَوَاثِلُهُ
أَرَادَ أَنَّ الشُّوقَ دَعَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُ فَلَبَّاهُ الدَّمْعُ . بمعنى أَنَّهُ يُخَفِّفُ لَأَعِجَ
الشُّوقُ ، ويطغى حرارته^(٤) . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ لِلْمَشْتَاكِ عَلَى الشُّوقِ ، والدَّمْعُ
إِنَّمَا هُوَ حَرْبٌ لِلشُّوقِ ؛ لِأَنَّهُ يَثْلُمُهُ وَيَتَخَوَّنُهُ ، وَيَكْمِئُ حُدَّهُ . ولو كَانَ نَاصِرًا

(١) في الديوان وشرحه «إذا هيبت» وعادت : من المعادة . ونجد : قوى يجيب إذا استنجد
(٢) الشئون : مخارج الدموع . والصلد : الصلب . يقول : شئني ليست ببخيلة على عيني
بالدموع ، ولا بين أضلاعي حجر يصبر ، إنما هو قلب يألم ويجزع
(٣) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢ . وسبق في الجزء الأول ص ٢١٠ ، ٣٢٤ ،
٤٧٩

له لكان يقويه ، ويزيد فيه . ألا ترى أنك تقول : قد ذَبَحَنِي الشوق إليك .
فالشوق عدو المشتاق وحرُّهُ ، والدَّمْعُ سِلْمُهُ ؛ لتخفيفه عنه ، وهو حرب
للشوق . وليس بهذا الخطأ خفاءً على أحد . وقد ذكرته في أغاليظه ^(١) .

وأحسن منه قول البحتري :

إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطَّارِحُ بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِيحُ بِهِمُولِهَا ^(٢)

لأن الصبابة - وهي رقة الشوق - تَنَحَّلُ مع الدمع ، وتُضَي بِمُضِيِّهِ ،
فلذلك جعل الدموع هي الصبابة على السعة . وإنما هي عدو الصبابة
كالنار التي هي عَدُوٌّ لما تحرقه ، وهي مع ذلك تنفذ بنفاده ، وتُضَي بِمُضِيِّهِ ،
وكالرياح إذا بَدَّدَتِ الغيمَ وَمَحَقَّتَهُ ، فإنها تذهب بذهابه . وقد قال الشاعر :
أَشْجَاكَ مِنْ لَيْلَتِكَ الطُّولُ فَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِكَ مَهْمُولُ ؟
وهو إذا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ حُزْنٌ عَلَى الْخَدَيْنِ مَحْدُولُ ^(٣)

لما كان الحزن يَنَحَّلُ ويسيل بسيلان الدمع ، جعله حُزْنًا . ولو جعله
ناصرًا للحزن ، أو جعل البحتريُّ الدموعَ ناصرةً للصبابة - لكانا جميعاً
مُخْطِئَيْنِ ؛ لِأَنَّ النَّاصِرَ لِلشَّيْءِ لَا يَمَحِقُ الشَّيْءَ ، ولا يفنيه ويذهب به .

ولكن البحتري اتبع أبا تمام في خطئه بقوله :

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلْ تَصَرَّمًا ^(٤)

(١) راجع ص ٢١٠ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

(٢) ديوان البحتري ٣٤٥ ، ١٧٧١/٣ . وقد سبق في الجزء الأول ص ٥٢٩

(٣) للحمين بن وهب ، كما في ديوانه المعاني ١ / ٢٥٨

(٤) ديوان البحتري ٣٥٥ ، ٣ / ٢٠٤٢ وقد سبق في ص ٢١١ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

تَوَلَّوْا فَوَلَّتْ لَوْعَتِي نَحْشُدُ الْأَسَى عَلَى ، وَجَاءَتْ مَقْلَتِي وَهَى تَهْمِلُ^(١)
بَدَلْتُ لَهُمْ مَكْنُونٌ دَمْعِي فَإِنْ وَنَى فَشَوْقِي عَلَى أَنْ لَا يَجِفَّ مُوَكَّلُ
وهذا جيد بالغ .

وأجود منه وأحسن قوله :

فَكَادَ شَوْقِي يَتَلَوُ الدَّمْعَ مُنْسَجِمًا إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ شَوْقٌ فَانْسَجَمًا^(٢)
ولم يذهب ههنا إلى نحو ما ذهب إليه البحترى في قوله :
إِنَّ الدَّمْعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطَّارِحُ بَعْضُ الصَّبَابَةِ تَسْتَرَحُّ بِهُمُولِهَا^(٣)
وإنما ذهب إلى أنه بكى لشدة شوقه وغلبته حتى كاد شوقه يفيض
بفيض الدمع .

وقال في علي بن الجهم^(٤) :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَا جِدَ فَعَدَا إِذَا بَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ^(٥)
فَافْزَعُ إِلَى ذُخْرِ الثُّنُونِ وَعَذْبِهِ فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ
وإذا فَقَدْتُ أَخَا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا فَلَسْتُ بِفَاقِدِ
قوله : « يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ » أى بعض جهد الحزن المجاهد ،
أى جهد الحزن الذى قد جهدك . وهو الجَاهِدُ لك .

ولو كان استعظام له أن يقول: بعض جهد المجهود - لكان أحسن وأليق .

وهذا أغرب وأطرف . وقد جاء أيضاً فاعِلٌ بمعنى مفعول : قالوا: عَيْشَةُ رَاضِيَةٍ

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٥ وشرح التبريزى ٣ / ٧٣

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٨

(٣) ديوان البحترى ٣ / ١٧٧١

(٤) ديوان علي بن الجهم ٣٤٥

(٥) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزى ١ / ٤٠٦

بمعنى مَرْضِيَّة . وَلَمْحُ بِاصِرٌ ، إِنَّمَا هُوَ مُبْصَرٌ فِيهِ . وَأَشْبَاهُ لِهَذَا مَعْرُوفَةٌ . وَلَكِنْ لَيْسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُقَالُ . وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْتَهِيَ فِي اللُّغَةِ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَوْا ، وَلَا نَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ ؛ فَإِنَّ اللُّغَةَ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا .

وقوله : « فَلَمْ يَفْقِدْ لَهُ دَمْعاً وَلَا صَبْرًا » - من أَفْحَشِ الْخَطَأِ ؛ لِأَنَّ الصَّابِرَ لَا يَكُونُ بَاكِئاً ، وَالْبَاكِ لَا يَكُونُ صَابِراً ، فَقَدْ نَسَقَ^(١) لَفْظَةً عَلَى لَفْظَةٍ ، وَهِيَ نَعْتَانِ مُتَضَادَّانِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا مُجْتَمِعَيْنِ . وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا مُشْرُوحاً فِي أَغَالِيطِهِ^(٢) .

وقال البحتري :

قَدْ أَرْتَكَ الدُّمُوعَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ طُعْنُ الْحَيِّ مَا وَرَاءَ الدُّمُوعِ^(٣)
عَبْرَاتُ مِلْءِ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا حُرْقُ الْفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ
وهذا غاية في جودته وبراعته .

وقال أيضاً :

أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبَوَةٍ ، وَسَرَّ ، وَسَاءَ^(٤)
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَاماً وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً
وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْ عَيْنِ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ
وهذا من إحسان أبي عُبَادَةَ المشهور .

(١) م « فقد يشق بلفظه »

(٢) راجع ص ١٥

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩

(٤) ديوانه ٧١٢ وانظر ص ١٥

وقال أيضاً :

هَيْنُ مَا يَقُولُ فَيْكَ اللَّاحِي بَعْدَ إِطْفَاءِ غُلَّتِي وَالتَّيَاحِي^(١)
كُنْتُ أَشْكُو شَكْوَى الْمُعْرِضِ فَلَا نَ أَلَا فِي النَّوَى بِدَمْعٍ صَرَّاحٍ^(٢)

وهذا أيضاً غَايَةٌ في حسنه وجودته .

وقال أبو تمام :

صَبَّرْتُ لِي مِنْ تَبَارِي عِبْرَتِي سَكْنًا مُذْ صِرْتُ فَرْدًا بِلَا إِلْفٍ وَلَا سَكْنٍ^(٣)
حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوَى صَرْفَ الْأَسَى وَحَدًا بِالْبَثِّ فِي دَوْلَةِ الْإِغْرَامِ وَالْدَدَنِ^(٤)
فَدَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ عَلَى وَطَنِ لِي فِي سَوَى وَطْنِي^(٥)
مَنْ ذَا يُعْظَمُ مِقْدَارَ السُّرُورِ بِمَنْ يَهْوَى إِذَا لَمْ يُعْظَمْ مَوْقِعَ الْحَزَنِ^(٦)

قوله : حَدَا بِالْبَثِّ : أَى سَاقَهُ ، وَأَظْهَرَهُ ، وَأَشَاعَهُ فِي دَوْلَةِ الْإِغْرَامِ
وَالْدَدَنِ . وَالْإِغْرَامِ : جَمْعُ غُرْمٍ مِثْلُ : بُرْجٍ وَأَبْرَاجٍ ، وَخُرْجٍ وَأَخْرَاجٍ . وَالْغُرْمُ
وَالْغَرَامُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَالْدَدَنِ : اللَّعِبُ .

يقول : سَاقَ صَرْفُ النَّوَى الْبَثُّ - وَهُوَ أَشَدُّ الْحَزَنِ - وَأَظْهَرَهُ فِي دَوْلَةِ
غُرَامِي وَلَعْبِي . يَقُولُ : إِنَّهُ قَاسَى الْأَسْفَارَ وَالْهَمُومَ فِي أَيَّامِ شِبَابِهِ وَلَعْبِهِ .
وَلَقَدْ دَرَسْتُ الَّذِي يَقُولُ ، وَأَنْشَدْنَاهُ الْأَخْفَشَ ، وَأَنْشَدَهُ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ أَيْضًا :

(١) ديوان البحري ٣٨١ ، ٤٥٧/١ والالتياح : العطش

(٢) م « كيف أشكو » وفي الديوان « شكوى المصريح »

(٣) ديوان أبي تمام ٣٣٣

(٤) في الديوان وشرحه « وحدا » وفي م « وجدا »

(٥) فيهما « أوقد من »

(٦) في الشرح : « موضع الحزن »

ولما أراد العجى بيناً ولم يكن
أبى الدمع أعيان الصّاح وبينت
دَرَى أَحَدٌ مَن بَيْنَ ظَمِيَاءَ فَاجِعُ
مَكَانَ ذَوَى الشَّجْوِ الْعُيُونُ الدَّوَامِعُ^(١)

وأنشد إسحق أيضاً ، وأنشده الأَخْفَش عن المُبَرِّد :

ولما رأت أن لا سبيلَ وأنّه
تَهَتَّكَ عن أَسْتَارِ قَلْبٍ وَأَسْبَلَتْ
هُوَ الْبَيْنُ مَخْنُوءٌ عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ^(٢)
مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا السَّرُّ ضَائِعُ^(٣)

وأنشد أيضاً :

تَكْفُكُفْ دَمْعَهَا كَفُّ خَضِيبُ
لِتُخَفِّيه ، وَهَلْ يَخْفَى الْمُرِيبُ ؟

وهذا أيضاً حسن .

(١) في الأصل : « فكان ذوى »

(٢) الزهرة ٣١٩ - « ولما رأى أن لا سبيل » مقصوداً عليه «

(٣) في الزهره : « عن أسرار قلب » وأسجعت مدامع «

بكاء النساء المفارقات

قال أبو تمام :

بُدِّلَتْ عِبْرَةٌ مِنَ الْإِيْمَاضِ يَوْمَ شَدُّوا الرَّحَالَ بِالْأَعْرَاضِ^(١)
 أَعْرَضْتُ بُرْهَةً فَلَمَّا أَحَسْتُ بِالنَّوَى أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ
 غَضَبْتُهَا نَحِييَهَا عَزَمَاتُ غَضَبْتَنِي تَبَيُّتِي وَأَغْتَمَاضِي^(٢)
 نَظَرْتُ فَالْتَفْتُ مِنْهَا إِلَى أَحَدٍ لِي سَوَادٌ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضِ
 يَوْمٍ وَلَّتْ مَرِيضَةً اللَّحْظِ وَالْجَفْدِ نِ وَلَيْسَتْ دُمُوعُهَا بِمِرَاضِ

قوله : « أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ » - ليس باللفظ. الجيد ، وهو من

توليدات المتأخرين . ومثله قولُ البحتري :

شُغِلَ الرَّقِيبُ وَأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ فِي هَجَرٍ هَجَرٍ واجْتَنَابٍ تَجَنُّبٍ^(٣)

قوله : « غَضَبْتُهَا نَحِييَهَا » - يريد أن عزماني استخرجت نحييها وأظهرته ،

وقد كانت تحزنه ، فكأنها اغتصمته إياه لما أظهرته .

وقوله « غَضَبْتَنِي تَبَيُّتِي » أي تَلَبَّيْتُ ، أي منعتني عزماني من التَّلَوُّمِ
 والتَّلَبُّثِ ، ومن النوم ؛ فكأنها غصبتني ذلك ، أي أخذته مني ، وأزعجتني
 للرحلة .

وقال :

بَسَطْتُ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٢ / ٣٠٨

(٢) في الديوان « غصبتني تبصري » وهما روايتان

(٣) ديوان البحتري ٦٠١ ، ١٠ / ٧٨

(٤) سبق ص ٨

كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاطُهَا مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
وهذا معنى حسن لطيف حلو .

وَالْأَسْرُوعُ : واحد الأساريع ، وهى دُوبِيَّةٌ بيضاء تكون فى الرَّمْل ، تشبّه
بها الأصابع ، وذلك قولُ امرئ القيس :
وَتَعَطُّوْا بِرَخِصٍ غَيْرِ شَيْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ رَمْلٍ ، أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ^(١)

وقال أبو تمام أيضاً :
بَكَّتْهُ بِمَا أَبَكَّتْهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا خَلِيٌّ ، وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوَى صَدْرُ^(٢)
وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرُ ؟ قُلْتُ تَجَلُّدًا : إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ
فَأَذَرَتْ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا عَلَى النَّحْرِ إِلَّا أَنَّ صَائِنَهَا الشَّفَرُ^(٣)
وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتَنِي وَلَوْ أَنَّهُمَا سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرُ
قوله : « إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ » - لم يرد بذلك امرأة
أخرى سواها ، وإنما جعل هذا القول احتجاجاً عليها ، ورداً لكلامها ، وليُبرِّئها
أَن عزمه فى السفر صحيح ، وَأَن بكاءها لا يثنيه عن وجهه الذى يريد .
وقد بيّن هذا المعنى وأفصح بقوله : « تَجَلُّدًا » .

وهذه الأبيات صالحة ، والمذهب فيها غير مُسْتَحْلٍ ، ولا مُشْتَهَى ، وفيها

(١) ديوان امرئ القيس ١٣١ وشرح القصائد العشر ٣٤ « أساريع ظبي » وتعطو : تناول . برخص :
أى بيان رخص . غير شين : أى غير كثر غليظ . ظبى : اسم كتيب . والإسجل : شجر له أغصان
ناعمة . شبه أناملها بأساريع أو مساويك للينا

(٢) ديوان أبى تمام ٤٧٤ فى م « بما بكته »

(٣) فى الديوان : « قابت جمانا . . . على النحر . . . صائنها الشعر »

معنى غامض فى الاحتجاج عليها يجوز أن يكون أرادته . وقد ذكرته فى « جزء »
أفردته لِغَامِضٍ معانى أبى تمام .

وقوله : « فَأَذَرْتُ جُمَانًا » فالجُمَانُ هو : اللؤلؤ الصغار .

وقوله : « إِلَّا أَنْ صَانِعُهَا الشَّفَرُ » - فالجمان لا يُصَاغ ، ولكن قد
يعمل على هَيْئَتِهِ خرز من فضة . وقد سَمَاهُ هُدْبَةُ بن خَشْرَم جُمَانًا فقال :
عَلَيْهِنَّ مِنْ صَوْغِ الْمَدِينَةِ حَلِيَّةٌ جُمَانٌ كَأَجْوَزِ الدِّبَا وَرَفَارِفُ^(١)

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهِيَ سِلْكَاةٌ مِنْ نَحْرِ وَجِيدِ^(٢)
لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ الْتِدَامٌ يُعِيدُ بِنَفْسَجَا وَرَدَ الْخُدُودِ

والتدَام النساء فى النياحة إنما هو: ضرب الصدور ، واللطم هو: ضرب
الخدود . هذا المستعمل المعروف فى كلامهم . فاللطم هو الذى يعيد بنفسجاً
وَرَدَ الْخُدُودِ لا الالتدَام ؛ لأن الالتدَام : أَنْ تَأْخُذَ الْمَرْأَةُ جِلْدًا أَوْ نَعْلًا فَتَدُقَّ
به صدرها ، وتأخذ النائحة التى هى المساعدة خِرْقًا^(٣) تشير بها فى النوح
إلى صدرها . ويقال لها : المَالِي ، واحدتها مِثْلَةٌ^(٤) . فجعل أبو تمام لطم
الوجه لَدُمًا . ولعل ذلك يسوغ ؛ فَإِنَّ اللَّدْمَ هو : دَقُّ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ .
قال تميم بن أبى بن مُقْبِل :

(١) م : « كأوساط الجراد »

(٢) ديوان أبى تمام ١٠٤ وشرح التبريزى ٢٢ / ٣٢ وفى م « فى نحر »

(٣) م « حزنا »

(٤) اللسان ١٨ / ٤٦

وَلِلْفَوَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَذَمَ الْقَلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ^(١)

وقال أبو تمام :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالِدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثَقَلِ الْمُغْرَمِ^(٢)
وَصَلَتْ دُمُوعًا بِالدَّمَاءِ فَخَذُّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُعْلَمِ^(٣)
وَلَيْهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ^(٤)
وَكَانَ عَبْرَتَهَا عَشِيَّةً وَدَعَتْ مُهْرَاقَةً مِنْ مَاءٍ وَجْهِي أَوْدَى

وَلَيْهَتْ مِنَ الْوَلَهَةِ ، فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا : أَى أَظْلَمَتِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا
مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْوَلَهَةِ ، وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ : لِنُورِ وَجْهِهَا وَبَهْجَتِهَا.

وقال أيضاً :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ^(٥)
وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودٌ فِرَاقٍ لَا صُدُودٌ تَعْمَدُ^(٦)
فَأَذَرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مُوَرَّدًا مِنَ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدِّ مُوَرَّدٍ^(٧)
هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدِ^(٨)

(١) ديوان ابن مقبل ٩٩ واللسان ١٦ / ١٢

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٨

(٣) في الشرح : « بالنجيع » أى أسرفت في البكاء حتى سال الدم من عيناها موصولا بالدمع ، فكأن الدم الأحمر في صحن خدسا الأبيض ، علم أحمر في حاشية رداء أبيض

(٤) في الديوان وشرحه « وأفار منها »

(٥) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢

(٦) في شرح التبريزي عن الصولي : « خفف عنها أن الصدود ليس بقصد ، وإنما هو فراق يُبْصَدُ

(٧) في الديوان وشرحه « فأجرى لها »

(٨) تودد وجهها : حسنه وأن كل أحد يحبه

وهذا من إحسانه المشهور .

وقوله : « دَمْعًا مُرَدًّا مِنْ الدَّمِ » - لفظ حسن ، ومعنى ليست له براءة .

والجيد في مثل هذا قول البحتري :

لو ترانا عند الوداعِ وَقَدْ وَرَدَ سَكْبُ الدموعِ وَرَدَ الخدود^(١)

يريد أن الدموع إذا مرت على الخدود [ورَدَتْها] . وهذا معنى صحيح مشاهد .

وأبو تمام لا يقنع إلا بأن يجعل المرأة باكية عليه دماً على عادته في الاستقصاء الذي لا حلاوة له . فهلاً اقتصر على مثل قول « عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةً » - وأنشده إسحاق الموصلي ، وأنشده ثعلب - :

تَرَاءَتْ وَأَسْتَارُ مِنَ الْبَيْتِ دُونَهَا إِلَيْنَا وَحَانَتْ غَفْلَةُ الْمُتَفَقِّدِ^(٢)

بِعَيْنِي مَهَاً يَحْدُرُ الشَّوْقُ مِنْهُمَا شَرِيحَيْنِ شَتَّى : مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمٍ^(٣)

قال ثعلب : فسرقه «ابن ميادة» فقال :

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَأَدْمَعُهَا يَحْدُرُنَ حَشَوَ الْمَكَاجِلِ^(٤) :

تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينُ بَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَلِ

قال : فسرقه بعض المحدثين فقال :

خُذِي عُدَّةً لِلْبَيْنِ إِنِّي رَاحِلٌ قَرَى أَمَلٍ يُجَدِّدُكَ وَاللَّهُ صَانِعٌ

فَسَحَتْ بِسِطْرِي لَوْلَوْ خَلَطَ. إِثْمٌ عَلَى الْخَدِّ إِلَّا مَا تَكُفُّ الْأَصَابِعُ

وقال أبو تمام :

خُذِي عِبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُونِي مَا أَزَلَمَتْ مِنَ الْقِنَاعِ^(٥)

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٨ دار المعارف (٢) ديوان علقمة الفحل ٤١ - ٤٢ .

(٣) في ديوانه : « برمين » والبريم : كل شيء فيه لونان . والشريحان : لونان مختلفان من كل شيء ، كما في لسان العرب ٣ / ١٣٠ .

(٤) الأغاني ٢ / ١٠ وحماسة أبي تمام بشرح المازني ٣ / ١٣٥٥ .

(٥) ديوان أبي تمام ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٦ .

أَقْلَى قَدْ أَصَاقَ بُكَاءِ دَرْعِي وَمَا ضَاقَتْ بِنِازِلَةٍ ذِرَاعِي ^(١)
 أَلْفَةً النَّحِيبِ كَمْ أَفْتَرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتِمَاعِ ^(٢)
 وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّحِ الْوَدَاعِ ^(٣)
 تَعَجَّبُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالْصَّرَاعِ ^(٤)

وهذه كلها أبيات جِيَادُ صحيحة الألفاظ والمعاني . وقد عابه ابن «عمار» وغيره بهذا البيت الأخير .

وحدثني أبو علي محمد بن العلاء السَّجِسْتَانِي قال : حدثني أبو [محمد] عبد الله بن قُتَيْبَةَ المؤلف ، قال : سمعت علي بن هارون الكاتب النصراني يقول : قلت لأبي تمام :

أَنشَدَنِي أَجُودَ شَعْرَ قَلْتِهِ . فَأَنشَدَنِي قَصِيدَتَهُ : «خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ»
 فلما بلغ إلى قوله : «تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ» قلت : يخيل إلي أن هذا غلط منك ؛
 لَأَنَّ الصَّرَاعَ لَيْسَ مِنَ النَّحَافَةِ وَالْجَسَامَةِ فِي شَيْءٍ . وَلَوْ قُلْتَ : كَأَنَّ الْمَجْدَ
 يُدْرِكُ بِحَرْفٍ فِي مَعْنَى الْجَسَامَةِ - كُنْتَ قَدْ أَصَبْتَ .

و «علي بن هارون» هذا ، وكل من عاب هذا البيت - عندي غَالِطٌ .
 ولم كان الصَّرَاعُ عنده ليس من النحافة والجسامة في شيء ؟ وهل تجد القوة
 أَبَدًا إِلَّا فِي الْعَبَالَةِ وَغِلَظِ الْأَلْوَاحِ ؟ وهل الضَّعْفُ أَبَدًا إِلَّا فِي الدَّقَّةِ وَالنَّحَافَةِ ؟
 وهذا هو الأعمُّ الأكثر ، وإِلَّا لَمْ يَصَارِ الْفِيلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْجَمَلُ ،
 وَالْجَمَلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْبُغْلُ ، وَالْبُغْلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْحِمَارُ .

(١) م « بنازل »

(٢) م « فرب الأوباد ! »

(٣) في الديوان وشرحه « توجع أن » وفي م « بالصواع » والبيت في النسختين ٣١٢

(٤) م « كان الصواع . بمن النحافة »

فأراد أبو تمام أن المجد لا يدرك بالصراع الذى من كان فيه أغلظ.
وأعبل، كان أولى بالغبلة . فهذا هو الأعم الأكثر فى هذا الباب .
ولست أنكر أن تكون القوة قد توجد مع الدقة والنحافة كما قال بعضهم :
* إنا على دِقَّتِنَا صِلَابٌ *

وأن يكون الخورُ والرَّخَاوةُ قد يوجدان مع الغلظ. والعبالة فى بعض
الأشياء . فأمَّا الشَّجَاعَةُ والجُرْأَةُ فقد توجدان فى النحيف الجسم الضعيف ،
وفى العَبِلِ الغليظ .

وهذا إنما يرجع إلى القلب لا إلى الجسم ؛ ولعل عامرَ بنَ الطفيل ،
وعُتَيْبَةَ بنَ الحارث بن شهاب ، وبِسْطَامَ بنَ قَيْسٍ - ما كان يقدر كل
واحد منهم أن يحمل على كتفه مائة رجل .
فجعل أبو تمام معناه على الوجه الأعم الأكثر . وقد أحسن عندى فيه ،
ولم يُبَيِّ .

* * *

وقال البحرى :

رَحَلُوا فَايَةً عَبْرَةً لَمْ تُسْكَبِ أَسْفَا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ^(١)
قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا عَشَقَ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّيْبِ
صَدَقَ الْغُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتُ شُمُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرْبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ النَّوَى بِقُلُوبِنَا لَحَسَدَتْ مَنْ لَمْ يُحِبِّ^(٢)
شَغَلَ الرَّقِيبُ . وَأَمْعَدْنَا خَلْوَةً فِي هَجْرِهِ جَرٍ ، وَاجْتَنَابِ تَجَنُّبِ

(١) ديوان البحرى ٦٠٠ ، ١ / ٧٨ دار المعارف

(٢) فى الديوان « وما صنع الهوى »

فَتَلَجَلَجَتْ عَبْرَاتُهَا ، ثُمَّ أَنْبَرَتْ تَصِفُ النَّوَى بِلِسَانِ دَمْعٍ مُعْرِبٍ^(١)
تَشْكُو الْفِرَاقَ إِلَى قَتِيلِ صَبَابَةٍ شَرِقِ الْمَدَامِعِ بِالْفِرَاقِ مُعَذِّبٍ^(٢)

قوله : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمُفْرَقُ بَيْنَنَا » . فَاَلْبَيْنُ : الْفِرَاقُ . يريد
قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقَ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا .

وبعض أهل اللغة يقول : « الْبَيْنُ » من الْأَضْدَادِ^(٣) يكون الاتصال ، ويكون
الافتراق . وليس الأمر كذلك . بل البين : الْحَدُّ وَالْقَطْعُ بين الشيئين ، والذي
يتميز به^(٤) الْحِيزَانِ أَحدهما عن الآخر . يقال : وصلت بينهما ، وفُرِقت
بينهما ، وبعُدَتْ^(٥) بينهما . فيصلح ذلك كله فيه ؛ لأنه الْحَدُّ ، وَالْبَرْزَخُ ،
لَا أَنَّهُ الْإِتِّصَالُ ، وَلَا الْإِفْتِرَاقُ . إِلَّا أَنَّ الشُّعْرَاءَ جَعَلُوهُ فِي اسْتِعْمَالِهِم : الْفِرَاقُ .
فَقَوْلُهُ : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنُ » - يريد قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقَ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا .

والنوى : هِيَ النَّيَّةُ فِي انْتِقَالِ الْقَوْمِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرٍ . فَعَشِقَ النَّيَّةَ
لِرَبِيبِ الرَّبْرِبِ - استعارة ليست بحسنة . غير أَنَّ الشُّعْرَاءَ الْمُتَأَخِّرِينَ قَدْ
اصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ جَعَلُوا الْبَيْنَ ، وَالْفِرَاقَ ، وَالنَّوَى كَالْأَشْخَاصِ ، وَجَعَلُوهَا
الْحَائِلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَهْوَوْنَهُ ، فَهَمَّ يَسْتَعْبِرُونَ الْأَفْعَالَ لَهَا . فَرَبَّمَا حَسَنْتِ
الِاسْتِعَارَةَ لَهَا ، وَرَبَّمَا قَبَحْتَ ، عَلَى حَسَبِ مَوَاضِعِهَا فِي الْإِغْرَاقِ وَالْإِقْتِصَادِ .

وقوله : « لَوْ كُنْتُ شَاهِدُنَا » مِنْ أَبْيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْحَسَنِ وَالْحُلَاوَةِ .

وقوله : « فِي هَجْرٍ هَجْرٍ ، وَأَجْتَنَابٍ تَجْتَنِبُ » - مَذْهَبٌ مِنْ مَذَاهِبِ

(١) وفيه : « تصف الهوى »

(٢) م « تشكو الفراق »

(٣) راجع الأضداد لابن الأنباري ٦٢

(٤) م « بها »

(٥) م « وبعذب »

المولدين . وقد قدمت القول في أنه غير حسن ولا جميل .

ولم يعتمد البحترى في هذا الباب ذكر بكاء النساء إلا قوله :
« وَقَدْ وَرَدَ سَكْبُ الدُّمُوعِ وَرَدَ الْخُدُودِ » وقوله : « فَتَلَجَلَجَتُ عَبْرَاتُهَا »

ولكنه وصفهن عند التوديع أحسن وصف وأحلاه فقال :

عَجَلْتُ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرْتُ عَذْبَاتَهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ^(١)
وَتَبَسَّمتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ فَأَشْرَقَتْ إِشْرَاقَةً عَنْ عَارِضِ مَصْقُولِ
أَخْيَبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَا لِي شَافِعُ وَأَرَدْتُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي؟

وقال أيضاً :

أَكُنْتُ مُعَنَّيَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ؟^(٢)
عَشِيَّةَ لَا الْفِرَاقُ أَفَاءَ عَزَمِي إِلَى ، وَلَا الْمَقَاءُ شَفَى غَلِيلِي
دَنْتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْ شَكُّ بَيْنِ دُنُو الشَّمْسِ تَجَنُّحُ لِلْأَصِيلِ^(٣)

وقال أيضاً :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ^(٤)
وَيَوْمَ تَشَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمْتُ بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السَّحَرُ
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ

(١) ديوان البحترى ٦١٠ ، ١٦٦٢ وفى م « إلى أفضل »

(٢) ديوانه ٤٨ ، ١٧٣٦ .

(٣) م « حنت عند » وفى الديوان « لو شك بعد »

(٤) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

وقال أيضاً .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمُرْهَفٍ غَضَّ الصَّبَا يُؤْهِيه حَمْلُ وَشَاحِهِ وَعُقُودِهِ^(١)
 قَصُرَتْ تَحِيَّتُهُ فَجَادَ بِخَدِّهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ لَنَا ، وَضَنَّ بِجِيدِهِ
 وَلَوْ أَسْتَطَاعَ لَكَانَ يَوْمَ وَصَالِهِ لِلْمُسْتَهَامِ مَكَانَ يَوْمِ صُدُودِهِ
 أراد أنها لما قصرت تحيتها فلم تقدر^(٢) على السلام - أَعْرَضَتْ فَرَأَى
 خَدَّهَا ، فَكَأَنَّمَا جَادَتْ لَمَّا رَأَتْهُ ، وَقَدْ ضُنَّتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِجِيدِهَا . وَهُوَ مَوْضِعُ
 الْعِنَاقِ^(٣) .

وقال أيضاً :

مَا أَرَى الْبَيْنَ مُخْلِيًّا مِنْ وَدَاعٍ أَنْفُسَ الْعَاشِقِينَ حَتَّى تَبِينَا^(٤)
 مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُثْبَانُ رَمَلٍ تَتَشَنَّى أَفْنََانُهُنَّ فُنُونًا^(٥)
 وَبُودَ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ ظُنُّنُ الْحَى لَوْ تَكُونُ عُيُونًا
 فهذا المذهب الذى سلكه البحترى - أوَّلَى بالصواب فى وصف النساء
 الْمُفَارِقَاتِ ، وَأَشْبَهَ بِأَحْوَالِهِنَّ مِنْ مَذْهَبِ «أَبَى تَمَامٍ» فى وصفه إِيَاهُنَّ بِشِدَّةِ
 الْجَزَعِ ، وَالْوَلْوَةِ ، وَبِكَاءِ الدَّمِ ، وَلَطَمِ الْوَجْهِ ، وَالْإِشْفَاءِ عَلَى الْهَلَكَةِ ،
 وَإِظْهَارِهِ التَّجَلُّدَ ، وَقِلَّةَ الْإِحْتِفَالِ بِهِنَّ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ :
 وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرَ؟ قُلْتُ تَجَلَّدًا : إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا تَطْلُعَ الْبَدْرُ^(٦)

(١) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ دار المعارف

(٢) م « يقدر »

(٣) م « العنان » !

(٤) ديوان البحترى ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١

(٥) م « وراء الثيور » وفى الديوان « من وراء السجوف » وانظر ص ١٥

(٦) ديوان أبى تمام ٤٧٤

وقال أيضاً :

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتَنِي وَلَوْ أَنَّهُ سَقَمَ خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرٌ^(١)

وقوله :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ الْتِدَامٌ يُعِيدُ بِنَفْسَجَا وَرَدَ الْخُدُودِ^(٢)

وقوله :

وَصَلَتْ دُمُوعاً بِالدَّمَاءِ فَخَدَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُعْلَمِ^(٣)
وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٍ

ولو كان وصف بهذا زوجته . أو ابنته ، لكان معذوراً . ولكنه إنما وصف حبايبه ؛ لأنه ذكرهن بالجمال والحسن . والزوجات لا يوصفن بذلك . وما انتهى عمر بن أبي ربيعة - الذي كان مُعَشَّقاً يَنْذِرُ أَشْرَافُ النِّسَاءِ النُّذُورَ فِي رُوَيْتِهِ وَمِجَالِسَتِهِ - مِنْ ذِكْرِ صِبَوَتِهِنَّ بِهِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَلَا قَرِيبٍ مِنْهَا . وَقَدْ عِيبَ عَمْرٌ بِذَلِكَ ، وَاسْتَقْبَحَ مِنْهُ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِي أَكْثَرِ مَا قَالَ ، وَلَمْ يَكْذِبْ . وَأَتَى بِالْأَخْبَارِ عَلَى وَجْهِهَا . فَلَمْ يَقْنَعِ أَبُو تَمَامٍ إِلَّا بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهِ . وَالتَّنَاهَى فِيهَا بِخُرُجِهَا عَنِ الْعَادَةِ .

وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِمًا وَجِهَاً^(٤)
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرْنَى . وَأَفْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيعِ وَالْعَمَّا

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ وشرح التبريزي ٥٦٨ / ٤ « ولو أنها »

(٢) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزي ٣٢ / ٢

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٢٤٨ / ٣

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٧ / ٣

استحسن إصبعها^(١) ، واستقبح إشارتها مُودَّعة . والعنم : شجر^(٢) له أغصان لطيفة غَضَّة كأنها بنان جارية . الواحدة عَنَمَة .

وهذا خطأ منه أن يستقبح إشارتها بالوداع إليه . أتراه ما سمع قول جرير :
أَتَنَسَى إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمَى بِفِرْعَ بِشَامَةٍ مُقَيِّ الْبَشَامِ^(٣)
فدعا للبشام بالسُّقْيَا ؛ لأنها ودَّعته به فُسِّرَ بتوديعها .

وأبو تمام إنما استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها . فما ظنك بمن استقبح إشارة معشوقة إليه عند توديعه . وهذا يدل على أنه ما عرف شيئاً من هذا ، ولا شاهده ، ولا بُلَى به .

وقال في وصف النساء المفارقات أيضاً :

خَفَّتْ دُمُوعُكَ فِي إِثْرِ الْخَلِيطِ. لَدُنْ خَفَّتْ مِنَ الْكُثْبِ الْقُضْبَانُ وَالْكُثْبُ^(٤)
مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا ذَوْبَ الْغَمَامِ فَمُنْهَلٌ وَمُنْسَكِبٌ
أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ، وَأَنْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى فَوَادِهَا ، وَجَرَتْ فِي رُوحِهَا النَّسَبُ^(٥)
لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ الْبَيْنِ تَخْلِجُهَا وَلَا مُعَوَّلٌ إِلَّا الْوَائِكُ السَّرِبُ^(٦)

(١) م « إصبعها » !

(٢) م « أشجار »

(٣) ديوان جرير ٥١٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤١ ، ٢ / ٢٥٦

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٥ و يروى : « في إثر الحبيب » والكثب الأول :

جمع كتيب من الرمل ، والكثب الثانية : مراد بها أرداف النساء ؛ لأنها تشبه بالكثب ، فعذف التشبيه . والقضبان : أراد بها القلود ، عل ترك آلة التشبيه أيضاً

(٥) يروى : « على قوامها » و « في وصفها »

(٦) في الديوان وشرحه : « البين تظلمها »

أُذِنْتُ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَأَنْتَسَبْتُ لِلنَّاطِرِينَ بِقَدْ لَيْسَ يَنْتَقِبُ^(١)
كَانَتْ لَنَا لَباً نَلْهُو بِزُخْرُفِهِ وَقَدْ يُنْفَسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعِبُ^(٢)

وهذه أبيات حسان ، جيدة المعاني .

وقوله : «أطاعها الحسن» من أبياته التي يسأل الناس عنها. فقوله : «أطاعها الحسن» من قول^(٣) بشار بن بُرْد :

كَمَا أَشْتَهَتْ خُلِقْتُ حَتَّى إِذَا أَعْتَدَلْتُ تَمَّتْ تَمَاماً فَلَا طُولٌ وَلَا قِصْرُ

وفي نحوه قول أبي نواس :

تَرَكْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ^(٤)
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَأَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ^(٥)

قوله : « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والتيقظ .

وقوله : «وجرت في روحها النسب» ، هو أن يقال : خفيفة الروح ، وعذبة الروح ؛ ونحو هذا . كذا فسرهُ الشيوخ بعد أن جرى في البيت خَوْضٌ طَوِيلٌ .

(١) ويروي « وانتصبت للناظرين » يقول : استترت بالنقاب لئلا تعرف فعرفت بقدها ، أي لما رأوا قدها قيل : هذه فلانة ؛ لأنها معروفة بحسن القوام والجمال »

(٢) م « وأنت لنا » وفي الديوان وشرحه « لنا ملعباً » وكل شيء حسن يسمى زخرفاً

(٣) م « الحسن ونحو القول »

(٤) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ « خلّيت »

(٥) في الديوان « فاكست »

ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفاقرين

قال أبو تمام :

وفى الكِلَّةِ الصَّفراءِ جُوْدَرُ رَمْلَةٍ غَدًا مُسْتَقِيلاً ، والفِرَاقُ مُعَادِلُهُ^(١)
تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْبَيْنَ أَوَّلُ فَاتِكَ به مُذْ رَأَيْتَ الْهَجَرَ وَهُوَ يُغَازِلُهُ

قوله : « الفراق معادله » معنى غير جيد ولا صحيح ؛ لأن الفراق هو مُفَارَقَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْاِثْنَيْنِ صَاحِبِهِ . فإذا جعل الفراق ماضياً مع أحدهما ، وأخلى الآخر منه كان الآخر غير مفارق . وهذا محال . وإنما أوقع أبا تمام فيه أنه جعل الفراق كآذنه شخص مُسَلَّطٌ على المحبوب ، استولى عليه فذهب به . وقد يستعمل مثل هذا ولكن ليس على هذا الوجه .

والاستعارة التى هى أقرب إلى الجواز قوله :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فهِى طَوْعُ الْإِثْهَامِ وَالْإِنْجَادِ^(٢)
وذلك أن النوى إنما هى : نِيَّةُ الْقَوْمِ الْمَفَارِقِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُقِيمِينَ .

• • •

وقال البحترى :

قَدْ بَيْنَ الْبَيْنِ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا عِشْقَ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّبِّ^(٣)
فنسب العشق إلى النوى على سبيل الاستعارة .

وقال البحترى وهو حسن :

نَوَيْنَ النَّوَى ، ثُمَّ اسْتَجَبْنَ لِهَاتِفٍ مِنَ الْبَيْنِ نَادَى بِالْفِرَاقِ فَاسْمَعَا^(٤)

(١) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٣

(٢) ديوانه ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٨

(٣) سبق ص ٣٤

(٤) ديوان البحترى ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٣

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرْحُلِ بِاللُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ الْمِسْكَ لَمَّا تَضَوَّعَا^(١)
 وأردأ من قول أبي تمام : « والفراق معاده » ، وأقبح وأسخف - قول
 أبي تمام :

أُتْرِى الْفِرَاقَ يَظُنُّ أَنَّى غَافِلٌ عَنْهُ وَقَدْ لَمَسَتْ يَدَاهُ لَمِيسَا^(٢)
 ما زلت أسمع الشيوخ من أصحاب أبي تمام المتعصبين^(٣) له دون من سواهم
 يقولون : أترأه أى شئ أراد أن يصنع بالفراق : يقطع يديه أو رجليه ،
 أو يصلبه على جذع ؟

وقال أبو تمام :
 لَا أَظْلِمُ النَّأَى قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا مِنْ قَبْلِ وَشَلِّ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قَدْفَا^(٤)
 وهذا معنى جيد حسن .
 والقُذْفُ : البعيدة .

وقال أيضاً :
 دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي^(٥)
 وهذا فى جملة أبياته المشهورة التى لهج الناس بها وهى :
 مَا الْيَوْمُ أَوْلَ تَوْدِيعِي وَلَا الثَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي [^(٦)

(١) فى الديوان : « حين تضوعا »

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ٢٦٣ « أى تناولتها يد الفراق . يقول : لا أزال
 أطلب ثأرى عنده حتى أدركه »

(٣) م « الممين » والتصويب من ق

(٤) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦١

(٥) ديوانه ٣٢٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٠٨

(٦) الزيادة من ق

خليفة الخضر من يربغ على وطني في بلدة فظهور العيس أوطاني^(١)
 بالشام قومي ، وبغداد الهوى ، وأنا بالرقتين ، وبالفسطاط إخواني^(٢)
 وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغ بي أقصى خراسان^(٣)
 قوله : « البين أكثر من شوقي وأحزاني » أى زاد عليها ، وغلبها حتى
 صرت لا أشتاق ، ولا أحزن ؛ لكثرة ما أفارق .

(١) فى شرح التبريزى « الوجه أن ترك خليفة على تقدير : أنا خليفة الخضر ؛ لأن طائفة من المسلمين يزعمون أن الخضر حى لم يمت ، وأنه يطوف البلاد . والمعنى أنى أسير فى البلاد على ظهور العيس ، وكأنى خليفة الخضر ، أى على سفر طول الدهر »

(٢) يروى : « بالشام أهل »

(٣) يروى : « حتى تطوح بى » و « تسافر بى » و « تشاف بى »

ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق

قال أبو تمام :

فَلَوْ تَرَانَا وَإِيَّاهُمْ وَمَوْقِفَنَا فِي مَائِمِ الْبَيْنِ لَاسْتِهْلَلْنَا زَجَلُ^(١)
مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسْرَتْ قَلْبًا ، وَمِنْ عَذَلٍ فِي نَحْرِهِ غَزَلُ^(٢)
قوله : « أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ » يعنى أبرذتها وأظهرتها . وإنما قال : « أَطْلَقْتُهَا »
من أجل قوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » ؛ ليطابق بين الإطلاق والإسار .

وقوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » يعنى الفرقه - معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره
ويعلمكه شدة الحب لا الفراق . فإن لم يك مأسوراً قبل الفراق فما كان
هناك حباً . فلم يخص التوديع^(٣) ؟ وما كان وجه هذا البكاء والاستهلال
والزجل ، وهذه القصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟
وقد ذكرت هذا مشروحاً فى باب أغاليطه^(٤)

وقال أبو تمام :

أَمَرَ التَّجَلَّدَ بِالتَّلْدِ حُرْقَةً أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ^(٥)

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ وشرح التبريزى ٣ / ٦

(٢) ويروى « ومن غزل فى نحره عذل » أى لو رأيتنا ونحن نيكى لاستهللنا زجل من حرقه أطلقها
فرقة ذهبت بقلبي ، ومن عشق فى نحره لوم يقاتله ويحاربه . ويقال : إنه أراد بنحره : بإزائه .

(٣) م « للتوديع »

(٤) راجع ص ٢١٢ من الجزء الأول

(٥) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٦١

قوله : « أمر التجلد بالتلدد حرقاً » . جعل الحرقه آمرة للتجلد بالتلدد .
والحرقه التي يكون معها التلدد تسقط التجلد ألبته ، وتذهب به . وأما
أن تجعله متلدداً فإن هذا من أحق المعاني ، وأولاها بالاستحالة . بلى لو
قال : إن الفرقه أحوالت التجلد إلى التلدد ، أو أبدلت من التجلد التلدد
لكان ذلك هو السائق الحسن .

وأى لفظ أسخف أيضاً من أن جعل الحرقه آمرة . وإنما العادة في مثل
هذا أن تكون باعثة ، أو جالبة ، أو نحو هذا . فأما الأمر فليس هذا
موضعه .

وقال أيضاً :

وَمِنْ زَفَرَةٍ تُعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا وَتُورَى زِنَادَ الشُّوقِ تَحْتَ الْحَشَا الصَّلْدِ^(١)

قوله : « مِنْ زَفَرَةٍ تُعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا » معنى جيد حسن .

ولله در البحترى إذ يقول :

بَانُوا جَمِيعاً ، ثُمَّ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَيْنَ كَتَقْوِيضِ الْجَهَامِ الْمُقْلِعِ^(٢)
وَوَرَاءَهُمْ صُعْدَاءُ أَنْفَاسٍ إِذَا ذَكَرَ الْفِرَاقُ أَقْمَنَ عُوجَ الْأَضْلَعِ^(٣)

وقال أيضاً :

عَبْرَاتٌ مِلْءُ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا حُرْقٌ لِلْفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ^(٤)

(١) ديوان أبى تمام ١٢٧ وشرح التبريزى ١١١ / ٢

(٢) ديوان البحترى ٧٢٧ ، ١٢٨٦ / ٢ « كانوا جميعاً » .

(٣) م « إصعاد »

(٤) ديوان البحترى ٤٢١ ، ١٢٧٩ / ٢

ومثل قوله : « كَتَقْوِيضِ الْجِهَامِ الْمُقْلِعِ » - قولُ أبي تمام :
 نَوَى كَانْقِضَاضِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةُ مِنْ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنَّ هَزْلَ الْهَوَى جَدُّ^(١)
 فقولهما : كتقويض الجهام ، وكانقضاض النجم - يُريدان السرعة .
 والجَهَامُ : السحاب الذى قد أراق ماءه فهو سريع الذهاب .
 فى بيت أبي تمام : لا يليق أوله بآخره ؛ لأنه قال : « كانت نتيجة
 من الهزل » يعنى النوى . أى كان ذكرهم للرحيل قولاً عبثاً فنتج ذلك أن
 حَقَّقُوا الرحيل ، وجَدُّوا فيه . وهذا معنى جيد بالغ ؛ ولفظ مستقيم . ولكن
 أفسده بقوله : « إن هزل الهوى جد » ؛ وليس هزل الهوى وجده من هذا
 المعنى فى شيء . وإنما كان وجه الكلام أن يقول : ورب جد نتجه الهزل ،
 أو ورب كبير هاجه صغير .

ولولا أَنَّ فى سائر النسخ « إن هزل الهوى » لظننته ما قال إلا « هزل النوى »
 لأنهم أبداً ينعمون بالرحيل ولا يعزَمون . فيكون ذلك كالهزل ، ثم يجد
 الجد فيحققون . ويرتحلون . وقد عرفنا مثل هذا مشاهدةً فى غير شيء .

• • •

وقال البحتري :
 وَكَمْ نَاقَسُوا مِنْ حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنَا وَامْتِدَادِهَا^(٢)
 فهذا موضع الحرقه والفرقة .

وأجود من هذا كله ما أنشدناه^(٣) أبو الحسن : موسى بن سليمان الهمداني

(١) ديوان أبي تمام وشرح التبريزي ٢ / ٨١

(٢) ديوان البحتري ١٠٩ ، ٢ / ٦٥٧ دار المعارف

(٣) م « موسى أبو الحسن موسى » وهو خطأ .

عن أبي دُلَف : هاشم بن محمد الخُزَاعِي ، عن ابن الأعرابي ، وحكى عن أبي دُلَف قال :

دخلت على ابن الأعرابي ، وعنده البحتري . قال : فتذاكرنا شعر الرجل . فقال ابن الأعرابي : ما استحسنت له شيئاً إلا قوله :

فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الْمَنَازِلَ بِالْحِمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْمُتَزَوِّدِ
زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَوْ حَشَوْنَهَا سَرَائِلَ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ الْمُسَرَّدِ
لَذَابَتْ حَوَاشِيهَا وَظَلَّتْ بِحَرِّهَا تَلِينَ كَمَا لَأَنْتَ لِدَاوُدَ بِالْيَدِ
والرجل - العَلَوِي البَصْرِي - أشعر من أبي تمام والبحتري في هذا الباب .

زوال الصبر وقلة التجلد

قال أبو تمام :

أَتُظَنُّنِي أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَزَا وَجَدَ الْحِمَامُ إِذَا إِلَى سَبِيلَا^(١)
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدًا فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا

وهذا معنى حسن .

وقد قال نحوه في مرثية إدريس بن بدر السَّامِي^(٢) .

وقد كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٣)

أَخَذَ الْجَمِيعَ مِنْ قَوْلِ الْعُتْبِيِّ :

أَصَحَّتْ بِحَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسْفًا عَلَيْكَ ، وَفِي الْفَوَادِ كُلُّومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ^(٤)

وقال أبو تمام :

وَمَا أَحَدٌ طَارَ الْفِرَاقُ بِقَلْبِهِ بِجَلْدٍ وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْجَلْدُ^(٥)

وهذا معنى سخيف جدًا .

ولكن قد أحسن ، وألطف ، وأجاد في قوله حين قال :

يُصَبِّرُنِي أَنْ ضِغْتُ ذَرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَاخِلُهُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦

(٢) م « البيهقي » !

(٣) ديوانه ٣٧٣ وشرح التبريزي ٣ / ٩٤

(٤) الوساطة ٢٩٠

(٥) ديوان أبي تمام ١٢٠ ، وانظر شرح التبريزي ٢ / ٨٢ وهامشه

(٦) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » ويروى : « يعنفني أن »

وقال أيضاً :

رَحَلَ الْعَزَاءُ مَعَ الرَّحِيلِ كَأَنَّمَا أُخِذَتْ عَنْهُمَا عَلَى مِيعَادٍ^(١)
وَكَأَنَّ أَفْتِدَةَ النَّوَى مَصْدُوعَةٌ حَتَّى تَصْدَعَ بِالْفِرَاقِ فُؤَادِي

و « أفْتِدَةُ النوى مصدوعة » يشبه قوله :

وَكَمْ أَبْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ خَدِّهَا ضُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنٍ الْقَدِّ^(٢)
وما أظن أحداً انتهى في الجهل ، والعي ، واللكنة ، وضيق الحيلة في
الاستعارة إلى أن جعل لِضُرُوفِ النوى قَدًّا ، وأفْتِدَةً مَصْدُوعَةً - غير أبي تمام .

وقال البحترى :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ كَوَجْدِي ، وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ^(٣)
فَإِنْ أَفْقِدَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِاللَّوَى فَقَدْ مَأْ فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ
وهذا ، لعمر الله ، لفظ ومعنى في غاية الحسن والبراعة .

ومثله قول أبي الشَّيْبِصِ :

يُصَبِّرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الْهَوَى وَلِالصَّبْرِ تَارَاتِ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

وقال أبو تمام :

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَائِلُ^(٤)
بِیَوْمِ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطُولُ

(١) ديوان أبي تمام ١٣٣ وشرح التبريزي ١٢٧ / ٢

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزي ١١٠ / ٢

(٣) ديوان البحترى ١٦٢٣ / ٣

(٤) ديوان أبي تمام ٢٤٤ وشرح التبريزي ٧٢ / ٣

جعل الصَّبَا شَمَالًا ؛ لِأَنَّ الشَّمَالَ تَفَرَّقَ . وقد تقدم ذكر هذا في
الابتدآت^(١) .

ثم انظر إلى هذا السخف : كيف جعل للدهر عرضاً على هذا اللفظ
الذي كأنه به يمسح أرضاً ، أَوْ يَذَرَعُ ثَوْباً .

وقال أبو تمام أيضاً :

لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الْهَوَى حَقَّ الْهَوَى دَنِفُ أَطَافَ بِهِ الْهَوَى فَتَجَلَّدَا^(٢)
صَبٌّ تَوَاعَدَتِ الْهُمُومُ فَوَادَهُ إِنَّ أَنْتُمْ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا
لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَلْدُدِي وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَبَلَّدَا^(٣)
وهذا المعنى مأخوذ من قول قيس بن ذريح :

بَلِيغٌ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهَوَى فَإِنَّ هُوَ لَأَقَاهَا فَعِيزٌ بَلِيغٌ

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ مُصْطَبِرٌ عَلَى مَضِضِ الْأَسَى إِذْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَرِخْلَتُهُمْ غَدَا^(٤)
لَا تَكْذِبِينَ ؛ فَمَا أَمَارَاتُ النَّوَى لِلصَّبِّ إِلَّا مِنْ أَمَارَاتِ الرَّدَى
لَوْمْ بَعِينِي أَنْ يُلَايِمَهَا الْكَرَى عَنْ سَلْوَةٍ ، وَبِمَائِهَا أَنْ يَجْمُدَا
قد أتى هذا البيت الأخير على غرض أبي تمام في بيته الأول .

وأبو تمام في أبياته— مع مافيهما من السرقة^(٥)— أشعر من البحتري في أبياته .

(١) راجع ص ١٨٧ من الجزء الأول

(٢) ديوان أبي تمام ١٢٥ وشرح التبريزي ٢ / ١٠٢

(٣) ق ٢ م وفي الديوان وشرحه « تبلى »

(٤) هذه الأبيات لا توجد في جميع طبعات ديوان البحتري

(٥) م « انشق » !

ما قالوا في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه

قال أبو تمام :

قَالُوا : الرَّحِيلُ غَدًا لَأَشْكَّ قُلْتُ لَهُمْ الْآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ [أَسَمَ] الْجِمَامِ غَدًا^(١)
 كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُامَ إِذَا بَانُوا سَتَحْكُمُ فِيهِ الْعِرْمُسُ الْأَجْدُ^(٢)
 مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرُ إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ
 كَأَنَّمَا الْبَيْنُ فِي إِلْحَاحِهِ أَبَدًا عَلَى النَّفْسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ
 اللَّهُامُ : الذي يلتهم كل شيء لكثرتيه . والعِرْمُسُ : الناقة الشديدة . وكذلك
 الأجدُ : هي المؤنقة^(٣) الخلق .

ولم يك هذا عندي وجه الكلام ، بل كان وجهه لما قال : الجيش
 اللُّهَامُ أن يقول : النَّابُ الضَّعِيفَةُ ، فيهُونَ أَمْرَهَا . لا النَّاقَةُ الْأَجْدُ ؛ لِأَنَّ
 النَّابَ قَدْ يَقْطَعُ بِهَا السَّفَرَ الْبَعِيدَ كَمَا قَالَ^(٤) :
 * وَقَدْ تَقَطَّعَ الدَّوْيَةُ النَّابُ *

وقوله : « ما لأمري خاض في بحر الهوى عُمُرُ » قد أساء فيه إساءة ذكرتها
 فيما ذكرت من أغاليطه^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام ٩٧ وشرح التبريزي ١٠ / ٢

(٢) قال التبريزي : « والمعنى أن الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب ، فقتلته العرمس ، لأنها

حملت محبوه .

(٣) م « هي المؤنقة » وهو تحريف

(٤) م « كما قال : بيت شعر ناب وقد » .

(٥) راجع ص ٢١٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ سَبِيلًا^(١)
قَالُوا : الرَّحِيلُ فَمَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيمًا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ النَّوَى فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَى مَعَ الْعِدَا مَسْلُولا

قد عابه ابن عمار وغيره في قوله : «إني تأملت النوى» . وقالوا : مثل هذا الأمر الفظيع الذي مكروهه أبداً مَضْبُوبٌ على الخلق لا تعلم البلية فيه إلا بعد التأمل . وهذا إنكار صحيح . وليس هذا كقول البحتري :

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْفِرَاقَ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى أَمْرِي بِطَوِيلٍ^(٢)
لأن مثل هذا يوجب التأمل . وقد فسر البحتري ، وذكر علته ، وكأنه رد لقول أبي تمام : «يوم الفراق لقد خلقت طويلاً» .

وقد ذكرت ذلك مشروحاً في باب الابتدآت من هذا الباب^(٣) .

وقال أبو تمام :

أَظْلَمَ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا^(٤)

أخذ المعنى من قول أبي الشَّيْص :

فَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ قَدِمَتْ فِيهَا وَلَكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ

(١) ق «لو جاز» وفي الديوان ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦ «النفوس دليلاً»

(٢) ديوانه ٦١٠

(٣) راجع ص ١٤

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٦ «أى حتى لو نزع روحه من جسده لم يعلم به ،

شغلا منه بأمر البين»

وبيت أبي تمام أجود . وقوله : « وما شعرت » لفظ . سخي .

وقال أبو تمام أيضاً :

طَلَّتْ دِمَاءٌ هُرَيْقَتْ عِنْدَهُنَّ كَمَا طَلَّتْ دِمَاءٌ هَدَايَا مَكَّةَ الْهَمَلُ^(١)
هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ ، وَالْإِبِلُ

الْهَمَلُ : وصف لقوله : « دماء هدايا مكة » من هَمَلَ يَهْمَلُ ، والمصدر هو الهمول . والهمل - ساكنة الميم - فحركاتها .

وقوله :

هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ وَالْإِبِلُ^(٢)
- ردىء جداً ؛ لأنه إذا لم يسفك دماء العاشقين - المنازل إذا خلت من أهلها ، والإبل إذا سارت بهم^(٣) ؛ فأى شيء يسفكها ؟ وهل شيء عند المحبين أعظم من فراق الأحباب حتى يجعل أسباب فراقهم من أهون الأشياء وأقلها في سفك دماهم ؟

وقد قال البحتري :

وَقَتْلُ الْمُحِبِّينَ الْعَيُونَ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلًا^(٤)
فأحسن ، وأجاد وملح ، ولم يُفصِّح بتخصيس أمر الرسوم .

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ وشرح للتبريزي ٨ / ٣

(٢) ق ، م « والهمل » !

(٣) م « لهم »

(٤) ديوان البحتري ٧٠٩ ، ٣ / ١٦٠٣ وسبق في الجزء الأول ص ٤٨٩ .

وقال أبو تمام :

ضَعُفَتْ جَوَانِحُ مَنْ أَذَاقَتْهُ النَّوَى طَعْمَ الْفِرَاقِ فَذَمَّ طَعْمَ الْعَلَقَمِ^(١)
هِيَ مِيتَةٌ إِلَّا سَلَامَةً أَهْلِهَا مِنْ خَلَّتَيْنِ : مِنَ الذَّرَى وَالْمَأْتَمِ^(٢)

قوله : « ضعفت » دعاء عليها ، أى أضعف الله جوانح من أذاقته النوى
طعم الفراق فذم طعم العلقم .

والبجَوَانِحُ : هى الأضلاع الصَّغار فى الصدر ، التى تلى الفؤاد . الواحدة
جانحة . فكأنه يدعو عليها بأن تَضَعُفَ عن حمل حرارة التَشْوِيقِ ، وحرق
الفراق^(٣) . إن كان صاحبها قد ذاق طعم الفراق ، وعلم مرارته فَذَمَّ طَعْمَ الْعَلَقَمِ .
و « ضَعُفَتْ » كلام ضعيف فى هذا الغرض جداً ، « وأضعف الله » لو كان
استوى له أن يقولها - أحسن ، وأبلغ من ضَعُفَتْ .

وعلى أنه كلام لا يشبه بعضه بعضاً ، و « حواس » ههنا أحسن وأبقى ،
وأشبه من « جوانح » ؛ لأنه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً يُشَبِّه
لفظاً ، ومعنى يُشَبِّه معنى . أو كان يقول لو استوى نظمه : « ضعفت
جوانح من أحرقت نار الهوى جوانحه فَذَمَّ حرارة النار ، أو فوجد للنار
حرارة » .

ومنهم من يجعل « ضعفت » خبراً . أى لقد ضعفت جوانح من ذاق

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ « والمعنى أن الذى يذوق طعم الفراق ثم يذم
طعم العلقم فقد ضعفت جوارحه ؛ لأنه لا يفرق بين الأشياء ، أى أن الفراق أشد مرارة من العلقم . ويقع
فى بعض النسخ " ضعفت جوانح " والصواب " جوارح " والتفسير يدل عليه !

(٢) فى شرح التبريزى « هى ميتة ، يعنى مرارة الفراق ، إلا أن أهلها يسلمون من الدفن الذى
يباشرون فيه الثرى ، ولا يقام عليهم المأتم ، أى على الأموات » .

(٣) م « الفراق » !

طعم الفراق فذمّ طعم العلقم . وليس بشيء . وأظنه لو استوى له ذكر
« الحواس » في البيت لما عدل عنه .

وليس هذا البيت من الباب الذى نحن فيه ، وإنما أوردته لأصل به
البيت الذى بعده . وكلاهما ردىء .

وقال أبو تمام :

الموتُ عِنْدِي وَالْفِرَا قُ كِلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ^(١)
يَتَعَاوَنَانِ عَلَى النَّفْسِ قَدَا الْجِمَامُ ، وَذَا السِّيَاقُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَذَا مَا قِيلَ : مَوْتُ أَوْ فِرَاقُ

وهذه أبياته المشهورة المتدولة في الفراق .

ذكر « أبو الحسن : على بن يحيى المُنَجِّم » أنه أخذ هذا المعنى من قول
النَّمْرِ^(٢) :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْفِرَاقَ لَوَاحِدٌ أَوْ تَوَاقُنٌ تَرَاضَعَا بِلَبَّانٍ
وليس هو عندى من دقيق المعانى التى يُتَّهَمُ آخِرُ أنه أخذها من أول .

ومما غَرِيَ النَّاسُ بِهِ مِنْ شَعْرِ أَبِي تَمَامٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ :

الْبَيْنُ جَرَعْنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ الْبَيْنُ أَثْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ^(٣)
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنْبَى لَمْ أَفْعَلْ

(١) ديوان أبي تمام ٤٥٣ وشرح التبريزي ٢٤٠/٤

(٢) ق « قول البعثرى » !!

(٣) ديوان أبي تمام ٤٥٧ « حشرات قلبى » وفي شرح التبريزي ٢٥٣/٤ كما هنا

قوله : « أَثْكَلْنِي » أى أَثْكَلْنِي مِنْ هَوِيَّتْ ، بِمَفَارِقَتِهِ إِثْنَانِ ، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِمَوْتِهِ . وَيَكُونُ أَثْكَلْنِي أَيْ أَثْكَلْنِي أَهْلِي ، أَيْ جَعَلَنِي قَدْ ثُكِّلُونِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ [وَهَذَا سَائِعٌ] ^(١) ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ الْحُبِّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْنَانٍ عَلَى النَّفْسِ .

وقوله : « مَا حَسَرَتْنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي » . أَيْ أَهْلَكَ ، وَأَتْلَفَ ، « وَإِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنْنِي لَمْ أَفْعَلْ » ، أَيْ لَمْ أَقْضُ وَأَتْلَفَ . وَهَذَا لَفْظٌ وَمَعْنَى فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالِاخْتِلَالِ وَالرَّدَاءَةِ ^(٢) .

ثم وصل هذا القول بالمعنى الذى كان يَفْتَحِرُ بِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِثْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ ^(٣)
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وَكَانَ أَبُو تَمَامٍ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي : نَقْلُ . . . وَيَذْكُرُ الْبَيْتَ ^(٤) ،
كَمَا كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ ^(٥) قَوْلِي :

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبُ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ ^(٦)

وَكَمَا كَانَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي :

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ ^(٧)

(١) الزيادة من ق

(٢) كذلك في ق وفي م « والرذالة »

(٣) ديوان أبي تمام ٤٥٧ وشرح التبريزي ٢٥٣/٤

(٤) راجع الخبر في أخبار أبي تمام ٢٦٣ والأغاني ١٧ / ١٤٦

(٥) م « أنا ان » ا

(٦) ديوان أبي نواس ١٩٢

(٧) ديوان سلم بن الوليد ١٣٢

وكما كان دِعْبِل يقول : أنا ابن قولى :
لا تَعْجِبْنِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(١)

وقال البحتري :
أَمَا وَفُتُورٍ لَحْظِكَ يَوْمَ أَبْقَى تَقَلُّبُهُ فُتُورًا فِي عِظَامِي^(٢)
لَقَدْ كَلَّفْتَنِي كَلْفًا أَعْنَى بِهِ وَشَغَلْتَنِي عَمَّا أَمَامِي
سَيَقْتُلُ فِي الْمَسِيرِ إِذَا رَحَلْنَا عَلِيلٌ كَانَ يَحْرُضُ فِي الْمَقَامِ
وحسبك هذا حلاوة وحسناً .

ومما أبر^(٣) فيه على إحسان كلِّ مُحْسِنِ قَوْلُهُ :
أَيَا سَكَنًا فَاتَ الْفِرَاقُ بِأَنْتِهِ وَحَالَ التَّعَادَى دُونَهُ وَالتَّزْيِيلُ^(٤)
بِكُرْهِ رِضَا الْعُدَالِ عَنِّي وَإِنَّهُ مَضَى زَمَنٌ كُنْتُ فِيهِ أَعْدَلُ^(٥)
فَلَا تَعْجَبَا إِنْ لَمْ يَغْلُ جِئِمِي الضَّنَى وَلَمْ يَخْتَرِمِ نَفْسِي الْجِمَامُ الْمُعْجَلُ
فَمِنْ قَبْلُ بَانَ الْفَتْحُ عَنِّي مُودَّعًا وَفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ^(٦)

(١) أمال المرتضى ١ / ٤٣٧ وفي الأغاني ١٧ / ١٤٦ أن شمد بن وهيب لما سمع أقوال هؤلاء الشعراء قال : وأنا ابن قولى :

ما لمن تمت محامنه أن يعادى طرف من رفا
لك أن تبدي لنا حنا ولنا أن نعمل الحدقا

(٢) ديوان البحتري ٢٤٩ ، ٣ / ٢٠٣٠ « أبى تصرفه »

(٣) م « أبى » والتصويب من ق

(٤) ديوان البحتري ٥٢٩ ، ٣ / ١٨٩٢ وفي ق « أيا ساكنًا »

(٥) في الديوان « فكرهى ! »

(٦) في الديوان « فقبلك بان »

فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ
وَمَا كُلُّ نَيْرَانِ الْجَوَى تَحْرِقُ الْحَشَا وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ
وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه . ولا والله ،
ما أجودُهُ إِلَّا أَصْدَقُهُ ، إِذَا كَانَ لَهُ مِنْ يُلَخِّصُهُ هَذَا التَّلْخِصُ ، وَيُورِدُهُ هَذَا
الْإِبْرَادَ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَابِ^(١).

(١) م « حَقِيقَةُ لَكِنْ مَا قَالَاهُ » ! وَالتَّصْوِيبُ مِنْ ق

ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء

ونعوتهن ، وشدة الشوق ، والتذكر ، والوجد ، والغرام

* * *

وأفتح هذا الباب بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني ، وأبوابها أبواباً ؛ لتصح الموازنة بينهما .

ذكر ابتدا آتهم بتشبيه النساء بالظباء والبقر

قال أبو تمام :

نَوَّارٌ فِي صَوَاحِبِهَا نَوَّارٌ كَمَا فَاجَاكَ سِرْبٌ أَوْ صَوَّارٌ^(١)
«نوار» اسم امرأة . «في صواحبها نوار» أى نفور ، أى هى نفور
في صواحبها ، أى مع صواحبها ، فجعلهن جميعاً نوافر .

«كما فاجاك سرب أو صوار» . فالسَّربُ : الجماعة من الظباء ههنا ،
والصَّوَّارُ : الجماعة من بقر الوحش . أى فيها وفي صواحبها نِفَّارٌ كما تفاجئك
الظباء والبقر فتراهن نوافر عنك .

وإنما ذكر للظباء والبقر جميعاً لأن النساء يُشَبَّهْنَ بهن في حسن عيونهن

و [في] قد تكون بمعنى مع . قال الجعدي :

وَلَوْحٌ ذِرَاعَيْنِ فِي بَرَكَةٍ إِلَى جُوجُؤِ رَهْلٍ الْمُنْكِبِ^(٢)
أى مع بركة .

(١) ديوان أبي تمام ١٤٠ وشرح التبريزي ١٥٢ / ٢

(٢) اللوح : العظم المريض . والبركة : البروك . والجُوجُؤُ : الصدر . والرهل : المسترخى .
وإنما أراد أن جلد صدره واسع غير ضيق ، فنكه يمجج ويتقلب ، وذلك مستحب في القوس . راجع أبيات

المعاني ١ / ١٣٧ والانتصاب ٤٥٣ ، وديوان الجعدي ١٨

وصدر هذا البيت ليس بعجيد .

وقال :

مَهَاءُ النَّقَا لَوْلَا الشَّوَى وَالْمَابِضُ وَإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاضُ لِي مِنْكَ مَاحِضٌ^(١)

الشَّوَى : يريد القوائم ، والمَابِضُ : الارتفاعُ^(٢) ، والمَهَاءُ : البقر .

يقول : أنت مهاة النقا لولا قوائمها فإنها ليست كقوائمك ، وكذلك المَابِضُ .

وفي البقر أشياء أخر ليست في الناس منها القرون ، والأذنان وسائر خلقها ، وما هناك من الشبه غير العيون [و] إذا مشى النساءُ شُبَّهْنَ بالبقر . فلم يمكنه أن يقول : مهاة النقا لولا الشَّوَى ، والمَابِضُ ، والأظلاف ، والقُرُونُ ، والشعر ، والجلد ، وغير ذلك مما ليس في الإنسان .

وإذا اقتصر الإنسان على بعض هذه الأشياء أجزأته ، وإنما أخطَرَ أبو تمام بِبَالِهِ قولَ الشاعر :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا ، وَجِيدُكِ جِيدُهَا سِوَى أَنَّ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقٌ^(٣)

فلذلك قال : الشَّوَى .

وقوله : « والمَابِضُ » عني منه وَلُكْنَةُ ، وأراد القافية .

وقوله : « وَإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاضُ لِي مِنْكَ مَاحِضٌ » . أى أنا أجعلك كمهاة النقا ، وأشبهُك بها وإن أعرضت عني . وهو معنى ضعيف جداً .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٤

(٢) اللسان ١٠ / ٣١١ وفي م ، ق « الأرفع »

(٣) اللسان ٧ / ٢٣٣

وقد يجوز أن يكون أراد : لولا^(١) الشوى والمآبض وأن محض الإعراض
لى منك ماحض - بفتح أن - أى لولا أن محض الإعراض لى منك ما حض ،
يريد أن مهاة النقا لا تقصده بإعراض ، ولا غير إعراض . وهذا أيضاً معنى
ضعيف .

* * *

وقال البحتري :
دَنَا السَّرْبُ إِلَّا أَنَّ هَجْرًا يُبَاعِدُهُ وَلَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ وَفَرَائِدُهُ^(٢)
والسرب : القطيع من الظباء ، والنساء ، والقطا . وهو ههنا : النساء .
وقوله : « لَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ » أى أفراده فى الحسن ، جمع فرد .
وفرائده : درره ، جمع فريدة ، وهى الدرة . يريد نساء مفردات فى الحسن
ونساء كفرائد الدرر .
وبعضهم جعل الفرائد ههنا : الشُّغُور .

* * *

وقال أيضاً :
عَارَضْنَنَا أَصْلًا ، فَقُلْنَا : الرَّبْرَبُ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ^(٣)
الرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش . أى فحسبنا هُنَّ من البقر ؛ لشبههن
بهن من جهة عيونهن .
« حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ » يريد تُغَوِّرُهُنَّ ، أى لما ابتسمن علمنا
أَن لَسْنَ بالبقر ؛ لأن البقر لا يبتسمن ، ولا يبدو لهنَّ سِنَّ إِلَّا عند التَّثَاوُبِ ،
أو الرُّغَى .

(١) م « أراد أولاً بالشوى » !

(٢) ديوان البحتري ٤٣٣ ، ١ / ٨٢٢ دار المعارف وفى م « وما السرب »

(٣) ديوان البحتري ٦٨١ ، ١ / ٧١ وفى م « عارضنا »

وَنَوْرُ الْأَقْحُوَانِ مِنْ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالشَّغْرِ . وَالْأَشْنَبُ : الْبَارِدُ .
وهذا الابتداء أجود من جميع ما مضى .

* * *

وقد تصرف « البحرى » فى الابتداء آت بهذا المعنى تصرفاً حسناً فقال^(١) :
إِنَّ الطَّبَّاءَ غَدَاةَ سَفْحٍ مُحَجَّرٍ هَيَّجْنَ حَرَّ جَوَى ، وَفَرَطَ تَذَكُّرٍ^(٢)

وقال :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسٍ يُعْدِي عَلَى نَظَرِ الطَّبَّاءِ الْأُنَيْسِ^(٣)

وقال :

يَشُوْقُكَ تَخْوِيدُ الْجِمَالِ الْقَنَاعِيسِ بِأَمْثَالِ غِرْلَانِ الصَّرِيمِ الْكَوَانِيسِ^(٤)

وقال :

مَا لِيذَا الرِّيمِ لَا يُرَامُ اقْتِنَاصُهُ وَهُوَ لِلْقُرْبِ بَيْنٌ إِفْرَاصُهُ^(٥)

وقال :

نَوَّهَهُمْ لَيْلَى وَأَظْعَانَهَا ظِبَاءُ الصَّرِيمِ وَغَزَلَا نَهَا^(٦)

وقال :

عِنْدَ ظِبَاءِ الرَّمْلِ أَوْعِيْنِهِ قَلْبٌ مَشُوقُ الْقَلْبِ مَحْزُونِهِ^(٧)

(١) م « فقال البحرى » !

(٢) ديوان البحرى ٣١ ، ٢ / ١٠٣٩

(٣) ديوانه ١٥٧ ، ٢ / ١٢٥٠

(٤) ديوانه ١٥ ، ٢ / ١١٢٣ وفيه « توخيد » والتخويد : الإسراع . والقناعس : جمع قناعس ،

وهو الجمل الضخم العظيم .

(٥) ديوانه ٥١٢ ، ٢ / ١١٨٧ « ما لِيذَا الظبى »

(٦) ديوانه ٣٩٤ ، ٤ / ٢١٧٤

(٧) ديوانه ٤ / ٢٣٤٠

وقال :

رُنُوْ ذَاكَ الْغَزَالِ أَوْ غَيْدُهُ مُوَلِّعُ ذِي الْوَجْدِ بِالَّذِي يَجِدُهُ^(١)

وهذا كله ، من ذكر الطباء ، غاية في حسنه ، وصحته ، وحلاوته ، على اختلاف فنونه ومعانيه .

ولست أعرف لأبي تمام غير البيتين الأولين في ذكر البقر .

(١) ديوان البحري ٢ / ٧٣٥ دار المعارف ، م ، ق ، دنو ذلك .

ابتدآآهما بذكر الثغور

قال أبو تمام :

وثنَايَاكَ إِنَّهَا إِغْرِضُ وَلَّالِ تُوْمٌ ، وَبَرْقٌ وَمِيْضٌ^(١)

وهذا وصف حسن ، وزاد في حسنه وبهجه أنه جعله يمينا حَلَفَ بها .

والإغريض : ما تنشق عنه الطَّلَعَةُ ، وهو الضَّحْكُ أيضاً .

والتُّومُ : حَبٌّ يعمل من الفضة يشبَّه باللؤلؤ .

وقد كان يكفيه أن يقول : [ولَّالِ]^(٢) ولكنه احتاج إلى تُوْمٍ .

• • •

وقال البحتري :

يَضْحَكُنْ عَنْ بَرْدٍ وَنَوْرِ أَقْصَحِ وَيَشُبُّنَ ظَلَمَ رُضَايِهِنَّ بِرَاحٍ^(٣)

وقال أيضاً :

أَضَوْهُ بَرْقٍ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمْ أَبْتَسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي^(٤)

وقال أيضاً :

بِعَيْنَيْكَ ضَوْءُ الْأَقْحُوَانِ الْمُفْلَجِ وَتَفْتِيرُ عَيْنِي فَاتِرِ اللَّحْظِ أَدْعَجِ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢٨٧/٢

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف وق م « وعن نور »

(٤) ديوانه ٥٨ « ألمع برق سرى » ، ١ / ٤٤٢

(٥) ديوانه ٦٤٤ ، ١ / ٤١٥ « وألحاظ عيني »

وقال أيضاً :

تَبَسَّمُ عَنْ وَاضِحٍ ذِي أَشْرٍ وَتَنْظُرُ مِنْ قَاتِرٍ ذِي حَوَرٍ^(١)
 شبه أبو تمام في بيته الثَّغَرُ بثلاثة أشياء : بالإغريض ، ولؤلؤ التَّوَم ،
 والبرق .

وشبهه البحتري بالبرد ، والأقاحي في صدر البيت . وكلا الصَّدْرَيْنِ جَيِّدٍ .
 ولو كان أبو تمام قال : « وجنى لؤلؤ وبرق وميض » - لفضَّلتُ بيته .
 وجنى لؤلؤ : هو^(٢) اللؤلؤ الرطب . ولكن قوله : « وَلَاكِ تُوَم » ليس بالجيد .

• • •

فاجعلهما في البيتين متكافئين ، وسائر أبيات البحتري فَضْل .

(١) ديوان البحتري ٤٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف .

(٢) م « وجنى هذا اللؤلؤ الرطب » والتصويب من ق .

ابتدآتهما بذكر البكاء والدموع

قال أبو تمام :

لَوْصَحَّ الدَّمْعُ لِي ، أَوْ نَاصَحَ الْكَمَدُ لَقَلَّمَا صَحْبَاكَ الْخَدَّ وَالْكَبِدُ^(١)

وهذا بيت صالح ، وليس بالجيد ، ولم يستو له أن يقول : العين والكبد ؛ لأنهما مونثتان فكان يقول : صحبتاك ، فجعل مكان العين الخد ؛ لأنه مذكر ، ولأن كثرة البكاء تؤثر فيه ، وتذهب بلحمه ، وذهب العين بالبكاء أخص من ذهب الخد .

ولو قال : « صحبتاك العين والكبد » لكان ذلك سائغاً وإن كانتا مؤنثتين ؛ لأن هذا يجوز فيما ليس لتأنيته حقيقة .

ولأبي تمام في باب الفراق والتوديع من الابتدآت بذكر البكاء والدموع - كل شيء جيد نادر ، وقد مضى في بابه .

وقال البحتري :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلُعُ^(٢)

وهذا من مشهور أبياته في الحسن والجودة .

(١) ديوان أبي تمام ٣٦٦ وشرح التبريزي ٧٤/٤ « ما صحباني الروح والجسد »

(٢) ديوان البحتري ٣٣ ؛ ٢ / ١٣١٠ دار المعارف

وقال أيضاً :

يَكَادُ يُبْدِي لِسُعْدَى غَيْبَ مَا أَجَدُ تَحَدُّرُ مِنْ دِرَاكِ الدَّمْعِ مُطَرِدُ^(١)
وهذا معنى حلو حسن .

وقال أيضاً :

لَأَخِي الْحُبِّ عِبْرَةٌ مَا تَجِفُّ وَغَرَامُ يُدْوِي الْحَشَا ، وَيَشْفُ^(٢)

وقال أيضاً :

تَعُودُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ الْمُرَاقِ عَلَى مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ أَحْتِرَاقِ^(٣)

وقال أيضاً :

دُمُوعٌ عَلَيْهَا السَّكْبُ ضَرْبَةٌ لَازِمٌ تُجَدِّدُ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ^(٤)

وقال أيضاً :

أَدْمُعٌ قَدْ غَرِبْنَ بِالْهَمَلَانِ وَفَوَادُ قَدْ لَجَّ فِي الْخَفَقَانِ^(٥)

وقال أيضاً :

بِعَيْنِكَ لَوْعَةُ الْقَلْبِ الرَّهِينِ وَفَرَطُ تَتَابُعِ الدَّمْعِ الْهَتُونِ^(٦)

وقال أيضاً :

تَذَكَّرَ مَحْزُونٌ ، وَأَنْتَى لَهُ الذِّكْرَى وَقَاضَتْ بِغَزْرِ الدَّمْعِ مُقْلَتَهُ الْعَبْرَى^(٧)

(١) ديوان البحري ٧٧٣ ، ٦٤٥/٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٣٢٩ ، ١٣٧٥/٣

(٣) ديوانه ٢٠٩ ، ١٥٢٥/٣ « ما في الضلوع »

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، ١٩٦٩ / ٣

(٥) ديوانه ٢٧٥ ، ٢١٩٧ / ٤

(٦) ديوانه ١٣٧ ، ٢٢٦٦ / ٤

(٧) ديوانه ٥٨ / ١ دار المعارف

وقال أيضاً :

بِأَيِّ أَسَى تُثْنِي الدُّمُوعُ الْهَوَامِلُ وَيُرْجَى زَيْالٌ مِنْ جَوَى لَا يُزَايِلُ؟^(١)

وهذه كلها ابتداءات جياذ . وأجود منها ، ومن كل ابتداء في هذا الباب

وغيره بذكر البكاء والدمع - قوله :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنْهُ الْبُتُّ وَالْكَمْدُ وَمَقْلَةٌ تَبْذُلُ الدَّمَاعَ الَّذِي تَجِدُ^(٢)

وقد ذكرته في باب الفراق^(٣) ، وهذا موضعه .

(١) ديوان البحري ٤٩٠ ، ١٧٣١/٣

(٢) ديوانه ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥

(٣) راجع ص ٢ من هذا الجزء

ابتدأتها بذكر السهر وطول الليل

ولا أعرف لهما في وسط. كلامهما من هذا الباب شيئاً يعتد بمثله كنحو ما جاء في الشعر القديم والمحدث .

قال أبو تمام :

أَفَنِي ، وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ هَاتَا مَوَارِدُهُ فَإَيْنَ مَصَادِرُهُ ؟^(١)

وهذا ابتداء حسن وكلام سَجَسَج^(٢) . ومعنى جيد بالغ .

وقد أخذ البحترى معنى هذا الصَّدْرِ فوقع دُونَهُ فقال :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بَطَاءٍ أَوْ آخِرُهُ وَوَشْكٍ نَوَى حَتَّى تُزِمَّ أَبَاعِرُهُ^(٣)

وقد ذكرته في ابتدآت باب الفراق^(٤) .

• • •

وقال البحترى :

هو الظلام فلا صُبح ، ولا شَفَقُ هل يُطْلَقُ اللَّيْلُ عَنْ عَيْنِي فَأَنْطَلِقُ ؟^(٥)

عجز هذا البيت في غاية الصحة والبراعة والحسن والحلاوة ، ولكن قوله :

« والظلام فلا صبح » - معنى [غير] صحيح ؛ لتوقعه الصبح وهو مبطل متأخر

فما وجه قوله : ولا شفق ؟ لأن من كان في الليل فإنما يتوقع الصبح ولا

يتوقع الشفق . وأظنه أراد نحن في ظلام ولسنا في أول نهار ولا آخره .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٥ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠

(٢) م ، ق « سَجَسَج »

(٣) ديوان البحترى ٢٥٠ « تدم » وهو تحريف

(٤) راجع ص ١٢ من هذا الجزء

(٥) ديوانه ١٤٦٩/٣ « من طرق فأنتلق » وفي ق « عن ليل »

وقال أيضاً :

أَبَى اللَّيْلُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ بِطُولِهِ عَلَى عَاشِقٍ نَزَرَ الْمَنَامَ قَلِيلِهِ^(١)

وقال :

لَيْلِي بِذِي الْأَثَلِ عَنَانِي تَطَاوُلُهُ أَرَى بِهِ مُقْبِلًا قِرْنًا أَنْزَلُهُ^(٢)

وقال أيضاً :

تَرَى اللَّيْلَ يَتَمَضَّى عُقْبَةً مِنْ حَزْبِهِ أَوِ الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ^(٣)

وهذه أبيات كلها جيدة المعنى . بارعة اللفظ . : حسنة السبك . كثيرة الماء والرواق .

وهذا البيت الأخير أجودها وأبرعها .

وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَ هَنِيئًا فَلَسْتُ أَطْعُمُ غَمَضًا^(٤)

(١) ديوان البصري ، ١ ، ٢ / ١٦٣٣

(٢) ديوانه ، ٧٨٩ ، ٣ / ١٧٨٢

(٣) ديوانه ، ٣٧٢ ، ٢ / ١٢٤٥

(٤) ديوانه ، ٢١ ، ٢ / ١٣٢

باب آخر من الابتدآت

قال أبو تمام :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَصَدْرُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ أَهْلٌ؟^(١)

قوله : « ذاهل » . أى منصرف . يقال : ذهلت عن الشيء بمعنى انصرفت عنه . فيقول : متى أنت عنها منصرف ، وصدرك أبداً منها أهل ؟ أى لا تخلو أبداً من قلبك .

وقال البحتري :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي لَا أَسْلُوُ وَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَى بِكَ لَا يَخْلُو^(٢)

فعجز هذا البيت مثل عجز [بيت] ^(٣) أبى تمام . وهو أجود ؛ لتصريحه بذكر الجوى .

وصدرا البيتين ^(٤) متقاربان . وبيت البحتري أجود وأبرع .

وقال البحتري :

هَوَاهَا - عَلَى أَنَّ الصُّدُودَ سَبِيلُهَا - مُقِيمٌ بِأَكْنَافِ الْحَشَا مَا يَزُولُهَا^(٥)

وهذا البيت أيضاً أجود من بيت أبى تمام لفظاً ومعنى .

وقال فى نحو هذا :

أَأَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأُفَيْقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا ، أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟^(٦)

(١) ديوان أبى تمام ٢٥٥ وشرح التبريزى ١١٢ / ٣ « وقلبك منها »

(٢) ديوان البحتري ٥٩ ، ١٦١٥ / ٣

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « وصلر البيت »

(٥) ديوان البحتري ١٧٩٩ / ٣

(٦) ديوان البحتري ٧٢٢ ، ١٤٥٠ / ٣ « أم خان . . أم أطاع » وفى ق « إذ خان »

وقال أيضاً :

أَرَادَ سُلُوءًا عَنْ سُلَيْمَى وَعَنْ هِنْدٍ فَعَالَبَهُ غَيُّ السَّفَاهِ عَلَى الرَّشْدِ^(١)

وقال :

سِوَايَ مُرَجَّى سَلَوَةٍ ، أَوْ مُرِيدَهَا إِذَا وَقَدَاتُ الْحُبِّ حُبَّ حُمُودِهَا^(٢)

وهذا كله غاية في الحسن والجودة .

وقد تصرف البحترى في باب الوجد والغرام وشدة الحب في ابتدآته تصرفاً حسناً . فمن ذلك قوله :

حَاشَاكَ مِنْ ذِكْرِي ثَنَّتُهُ كَثِيبًا وَصَبَابَةٍ مَلَأَتْ حَشَاهُ نُدُوبًا^(٣)

وقال أيضاً :

حَقًّا أَقُولُ : لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي وَأَطْلَتِ مُدَّةَ غَيِّي الْمَتَادِي^(٤)

وقال أيضاً :

نَاهِيكَ مِنْ حَرَقِ أَبِيَّتْ أَقَاسِي وَجُرُوحِ حُبِّ مَا لَهْنٌ أَوَاسِ^(٥)

وقال أيضاً :

أَتَرَكَ تَسْمَعُ لِلْحِمَامِ الْهَتَفِ شَجَوًا يَكُونُ كَشَجَوِي الْمُسْتَطَرَفِ^(٦)

وقال أيضاً :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أَبِيتَ مُتِمًّا أَعَالِجُ وَجْدًا فِي الضَّمِيرِ مُكَمَّمًا^(٧)

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٥٩ دار المعارف ، م « عن السفاه » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٢٩٣ ، ١ / ٥٣١

(٣) ديوانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ دار المعارف « من ذكر »

(٤) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١

(٥) ديوانه ٣٨٥ ، ٢ / ١١٣٤

(٦) ديوانه ٦٧٥ « شجوا ين بشجوك المستطرف » ، ٣ / ١٤١٥ « كشجوك »

(٧) ديوانه ٩٣ « أعالج شوقاً » ، ٣ / ١٩٨١

وقال أيضاً :

غَرَامٌ مَا أُتِيحَ مِنَ الْغَرَامِ وَشَجْوٌ لِلْمُحِبِّ الْمُسْتَهَامِ^(١)

وقال أيضاً :

أَنَافِعُ عِنْدَ لَيْلَى فَرَطُ حُبِّهَا وَلَوْعَةٌ لِي أَبْدِيهَا وَأُخْفِيهَا^(٢)

وقال أيضاً :

قَلِيلٌ لَهَا أَنِّي بِهَا مُغْرَمٌ صَبٌّ وَأَنَّ لَمْ يُقَارِفْ غَيْرَ وَجْدِهَا الْقَلْبُ^(٣)

أراد : قليل لها غرامى بها وصباتى وإن لم أهو غيرها . ولا ربه لكسر أن الثانية .

فانظر إلى هذا التصرف الحسن ، والألفاظ المختلفة في المعاني المتقاربة .
ولا أعرف لأبي تمام في هذا كله شيئاً .

* * *

ومما افتتحه البحترى بالهجر قوله :

نَصِيبِي مِنْكَ لَوْمٌ الْعَادِلَاتِ وَهَجْرَانٌ أَطْلَتِ آيَةُ أَذَاتِي^(٤)

وقال أيضاً :

شَدَّ مَا أُغْرِيتَ ظَلُومٌ بِهِجْرِي بَعْدَ وَجْدِي بِهَا وَغُلَّةِ صَدْرِي^(٥)

(١) ديوان البحترى ٣٤٨ ، ٣ / ٢٠٣١

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ « أنا فنى »

(٣) ديوانه ٢٥٠ ، ١ / ١٢٢ وفى م « لم يفارق » !

(٤) ديوانه طبع بيروت ١ / ٩٧ ، ١ / ٣٧٧ دار المعارف « وهجران بلغت به »

(٥) ديوانه ٣٠ ، ٢ / ٩٧٠ « شد ما أغرمت »

وقال أيضاً :

خَيْرُ يَوْمَيْكَ فِي الْهَوَى وَأَقْتِبَالِهِ يَوْمٌ يُدْنِيكَ هَاجِرٌ مِنْ وَصَالِهِ^(١)

وقال أيضاً :

لَجَّ هَذَا الْحَبِيبُ فِي هِجْرَانِهِ وَعَدَا وَالصُّدُودُ أَكْبَرُ شَانِهِ^(٢)

وقال أيضاً :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى^(٣)

وقال أيضاً :

طَافَ الْوُشَاةُ بِهِ فَصَدَّ وَأَعْرَضَا وَعَلَا بِهِ هَجْرٌ أَمْضٌ وَأَرْمَضَا^(٤)

وقال أيضاً :

مِنِّي وَضَلُّ ، وَمِنْكَ هَجْرٌ وَفِي ذُلٍّ ، وَفِيكَ كِبَرٌ^(٥)

وليس لأبي تمام في هذا النحو شيء إلا قوله :

خَشِنْتُ عَلَيْهِ أَخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَاذِلِينَ^(٦)

وهذا ابتداء رديء .

(١) ديوان المبحر ٥٧٠ ، ١٨٤٢/٣

(٢) ديوانه ٣٥ ، ٢١٦٩/٤ « ومضى والصودود »

(٣) ديوانه ٢٠ ، ٧١١/٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ٧٣٩ ، ١٢٠٣/٢

(٥) ديوانه ٧٠ ، ١٠٥٠/٢

(٦) ديوان أبي تمام ٣٢١ وشرح التبريزي ٢٩٧/٣

ومما جاء في ابتدآته في ذكر العيون

قال البحترى^(١) :

تُرِيكَ الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْهُ مِنَ السَّحْرِ بِطَرْفِ عَلِيلِ اللَّحْظِ مُسْتَعْرَبِ الْفَتْرِ^(٢)
وقال أيضاً :

غَالَ صَبْرِي - أَمَا سَأَلْتَ بِصَبْرِي مَا بَعَيْنَيْكَ مِنْ فُتُورٍ وَسَحْرِ^(٣) .
وقال أيضاً :

مَا بَعَيْنِي هَذَا الْغَزَالِ الْغَرِيرِ مِنْ فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فُتُورٍ^(٤)
وقال أيضاً :

وَمُهْتَزَّةَ الْأَعْطَافِ نَازِحَةَ الْعَطْفِ مُنْعَمَةَ الْأَطْرَافِ فَاتِرَةَ الطَّرْفِ^(٥)
وقال أيضاً :

سَطَا فَمَا يَأْمُدُّهُ خِلُّهُ أَغِيدُ سَاجِي الطَّارِفِ مُعْتَلُّهُ^(٦)
وقال أيضاً :

فُتُورُ الْعُيُونِ وَإِمْرَاضُهَا نُبُوُّ الْجُؤُوبِ وَإِقْضَاضُهَا^(٧)
وهذا كله جيد حسن عذب .

وليس لأبي تمام في معناه شيء .

(١) م « قال أبو تمام » وهو خطأ

(٢) ديوان البحترى ٦٢١ ، ١٠٠٤/٢ ،

(٣) ديوانه ١٠٧٩ / ٢

(٤) ديوانه ٢٦٩ ، ٨٨٤ / ٢ وفي م « من فتور »

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ١٣٦٩/٣

(٦) في ديوانه ٤٢٣ ، ١٨٠٣/٣ « أحوى سقيم الطرف »

(٧) ديوانه ١٢١٩ / ٢ « فتور الجفون »

وقال أيضاً :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيًّا وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّارُوبًا^(١)

عهدت بعض الشيوخ يَكْرَهُ قوله : «لوت» ، ويقول : كان ينبغي أن يقول : أشارت : أو أومأت ، أو نحو هذا . وكان بعضهم يحتج له ويقول : لم يمكنه ذلك في نظم البيت .

والذى أظنه «أنا» أنه أومأ إليها بالسلاط فردت عليه . والسلام الأول يشار فيه بمد الإصبع على استقامة . والرد : فمن الناس من يردُّ بِمَدِّ الإصبع على استقامة أيضاً . ومنهم من يَفْتِلُهَا وَيَلْوِيهَا كأنه يقول بإصبعه : وعليك . فيلويها إذا أراد هذا المعنى . وذلك مما نراه أبداً مشاهدة ، ونفعله .

وقد ذكر البحتري لى البَنَانَةِ في موضع آخر فقال :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةِ بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيَّتِ أَشْنَبِ^(٢)
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ . وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ^(٣)

فدل هذا على مثل ذلك . وإن كان المعنيان مختلفين في أنها لم تمد إصبعها مُشِيرَةً بها على استقامة كما يُشير المبتدئ بالسلاط ، وإنما أَلَوْتُ إصْبَعَهَا في الإشارة إليه إما يَمَنَةً أو شَأْمَةً بمعنى تنحَّ عنا . أو اعدل عنا ؛ فليس إلى ما التمسْت سبيل .

وفي هذا البيت سؤال آخر وهو قوله : «لَمْ تُخْضَبِ» ومن شأنهم أن

(١) ديوان البحتري ٩١ ، ١٠٩ / ١٤٩ دار المعارف

(٢) ديوان البحتري ١٢٢ ، ١٠٨ / ٢٨٢ دار المعارف

(٣) في الديوان « وآيت »

يصفوا بَنَانَ المرأةِ بِالْخِضَابِ نحو قول الشاعر :

وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

وقول الرَّاعِي :

• حُمُرُ الْأَنَامِلِ عَيْنٌ طَرَفُهَا سَاجِرٌ •

ومثله كثير^(١) . وعليه مذاهب الناس .

ولا نعلم أحداً شرط في البنان أنه غير مخضوب غير البحرى في هذا البيت ، وإنما يذكرون الخضاب أو لا يذكرونه .

وما أظن البحرى قال هذا عيًّا ولا جُزَافاً ، ولا قاله ؛ إلا أَنَّ البنانة لم تكن مَخْضُوبَةً ، فوصف الحال على مذاهب الناس ومذهبه في وصف الشيء على ما هو ، لأن هذا إذا أوردَهُ على ما هو لم تكُ فائدة ، فأقول :

إنه قد يجوز أن يكون -^(٢) والله أعلم - ذهب إلى أحد معنيين :

إما أن يكون خطر بباله عند نظم البيت قول الشاعر :

وإنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينٌ^(٣)

فقال هو : « وَأَيَّاسَتْ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبْ » ؛ لأن المرأة لا عهد لها مخضوبة البنان كانت أو غير مخضوبة ؛ ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

وَأَرَتْ عُهُودَ الْعَانِيَاتِ صَبَابَتِي آلاً جَرَى . وَوَمِضَ بَرَقِ خُلْبِ^(٤)

(١) راجع ديوان الماعاني ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) م « يكون والده أعلم ذهب » !!

(٣) البيت لكثير كـ في ديوانه ١ / ٢٦٥ وهو غير منسوب في الموشى ١٢٣

(٤) م ، ق « وأرى عهد . . آل جرى »

فَدَلَّكَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ خَطَرُ ذَلِكَ الْبَيْتِ بِبَالِهِ فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى .
أَيُّ مَنْ كَانَ يَذِمُّ عَهْدَ مَخْضُوبَةِ الْبَنَانِ فَهَذِهِ غَيْرُ مَخْضُوبَةٍ وَأَنَا أَذِمُّ عَهْدَهَا
أَيْضاً . فَهَذَا الْمَعْنَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - جَيِّدٌ لَائِقٌ .

وَالْمَعْنَى الْآخَرُ : أَنَّهُ يَكُونُ أَرَادَ أَنَّهَا عَزَفَتْ عَنِ الصَّبَا ، وَتَرَكْتَ الزَيْنَةَ ؛
لأنه قال : « أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ » . فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا انْتَجَزَهَا مَوْعِدًا
قَدِيمًا وَأَنَّ حَالَهَا الْآنَ غَيْرُ تِلْكَ الْحَالِ .

وهذا أيضاً وجه قوى دقيق . وكأنه أولى من المعنى الأول بالصواب . والله أعلم .
وقوله : « وَلَحِظْنا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطُّرُوبَا » بالنصب^(١) إِنَّمَا أَرَادَ أَلَوْتُ
بِالسَّلَامِ بَنَانًا خُضِييًّا ، وَلَحِظْتُ لِحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ .

ومن ابتدآت البحرى فى الشوق

قال :

أَقِيمْ عَلَى التَّشْوُقِ أَمَّ أَسِيرُ وَأَعْدِلْ فِي الصَّبَابَةِ أَمَّ أَجُورُ ؟^(١)

وقال أيضاً :

شَوْقٌ لَهُ بَيْنَ الْأَضَالِعِ هَاجِسُ وَتَذَكُّرٌ لِلصَّدْرِ مِنْهُ وَسَاوِسُ^(٢)

وقال أيضاً :

عَهْدُ الْمَشُوقِ بِوَصْلِ الْأُنثَى الْخُرْدِ يَكَادُ بِشَرْكَ نَجْمِ اللَّيْلِ فِي الْبُعْدِ^(٣)

وقال أيضاً :

لَبَّيْتُ فِيكَ الشَّوْقَ حِينَ دَعَانِي وَعَصَيْتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَانِي^(٤)

وقال أيضاً :

أَمَّا لِعَيْنِي كَلِيمَ الْهَمِّ تَغْمِضُ أَمِ الْكَرَى عَنْ جُفُونِ الْعَيْنِ مَرْحُوضُ^(٥)

وقال أيضاً :

يَبَيْتُ لَهُ مِنْ شَوْقِهِ وَنِزَاعِهِ أَحَادِيثُ نَفْسٍ أَوْشَكَتْ مِنْ زَمَاعِهِ^(٦)

أَيَّ أَسْرَعَتْ مِنْ إِزْمَاعِهِ عَلَى الرَّحِيلِ .

(١) ديوان البحرى ٥٠٨ ، ٢ / ٩٣

(٢) ديوانه ٢٨١ ، ٢ / ١١٣٢

(٣) ديوانه ١ / ٥١٤ دار المعارف

(٤) ديوانه ٣٩ ، ٤ / ٢٢٥٢

(٥) ديوانه ١٢١٧ / ٢ « طليح الشوق » و مرحوض : منقول

(٦) ديوانه ٤٦٨ ، ٢ / ١٣١٧

وقال أيضاً :

شَوْقُ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضَيُّقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ^(١)

وقد مر هذا البيت في باب البكاء والدمع^(٢).

* * *

وهذه كلها ابتداءات جياد لفظاً ومعنى .

ولا أعرف لأبي تمام في نحو هذا شيئاً .

(١) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢ / ١٣١٠ وفي م « تضيق منه »

(٢) راجع ص ٦٦

وفي ابتداء آت البحري، في معان شتى وهي كثيرة

قال :

رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِلَا لُبِّ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَحِيلَةِ مَا يُصْبِي^(١)

وقال أيضاً :

أَخْفَى هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَأَلَامُ مِنْ كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأُعْذَرُ^(٢)

وقال أيضاً :

يَزْدَادُ فِي غَيِّ الصَّبَا وَلَعُهُ فَكَأَنَّمَا يُغْرِيه مَنْ يَزَعُهُ^(٣)

وقال أيضاً :

بُودَى لَوْ يَهْوَى الْعَذُولُ وَيَعْشَقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعْلَقُ^(٤)

وقال أيضاً :

أَجِرْنِي مِنَ الْوَأَشَى الَّذِي جَارَ وَأَعْتَدَى وَغَابِرُ حُبٍّ غَارَ بِي ثُمَّ أَنْجَدَا^(٥)

وقال أيضاً :

بِاللَّهِ أُولَى يَجِينَا بَرَّةً فَسَمَا مَا كَانَ مَا زَعَمَ الْوَأَشَى كَمَا زَعَمَا^(٦)

(١) ديوان البحري ٤٠٢ ، ١ / ١٥٤ دار المعارف وفي م « مجتازاً بنات بلا »

(٢) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠ « في كد » وفي م « كد لك »

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، ٢ / ١٢٤٨

(٤) ديوانه ١٤٨ ، ٣ / ١٥٣٤ وفي م « يهوى في العذول » !

(٥) ديوانه ١٣٣ ، ٢ / ٦٧٠ « وغابر شوق »

(٦) ديوانه ٥٣٠ « بالله آلى » ، ٣ / ٢٠٤٦

وقال أيضاً :

تَغَيَّرَ ، أَوْحَالَ عَنْ عَهْدِهِ وَأَضْمَرَ غَدْرًا وَلَمْ يُبْدِهِ^(١)

وقال أيضاً :

جَائِرٌ فِي الْحُكْمِ لَوْ شَاءَ قَصَدَ أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَانِي السُّهْدَ^(٢)

مضت الابتداءآت بأنواع الغزل .

وأنا أذكر الآن ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام ، وأتلقط ذلك من باب الفراق والتوديع ، وسائر أبواب التشبيب^(٣) ؛ ليكون كل نوع من أنواع الوصف في باب واحد لا في أبواب متفرقة .

(١) ديوان البحترى ٥٣٢ ، ٢ / ٥٦٥ دار المعارف ، وفي م « وأضم غدرا »

(٢) ديوان البحترى ٢٥٦ ، ٢ / ٦٦٧ دار المعارف

(٣) م « أبواب الشيب »

ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه
وتشبيه النساء بالشموس ، والبدور ، والنجوم ، وغير ذلك

قال أبو تمام :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ
نَضًا ضَوْوُهَا صَبَغَ الدُّجْنَةَ وَأَنْطَوَى
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ
وَعَهْدِي بِهَا تُحْيِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ
وَأَقْرَعُ بِالْعُتْبَى حُمَيَّا عَنَابِهَا
وَتَقْفُو^(١) إِلَى الْجَدَوَى بِجَدَوَى ، وَإِنَّمَا
قُلُوبًا عَهْدُنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ^(٢)
أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ؟
وَتَشَعَّبُ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَتَصْدَعُ^(٣)
وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تَشَعَّشَعُ؟
يَرُوقُكَ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ

قوله : « حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا » أى هَيَّجَهَا الشوق وكانت طيرها ساكنة .
يريد أن ظعنهم هَيَّجَ الشوق بعد سكونه والدارُ جامعة .

و « ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ » . يريد طمس نورها نور الكواكب التي هي
نقش السماء ، كالجزع نقط البياض .

و « يوشع » . يريد يُوشَعُ بن نون . قيل : إن الشمس رُدَّتْ له ، في قصة
نُوشَر .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٩ وشرح التبريزي ٢ / ٣١٩

(٢) و يروى : « أعشار القواد »

(٣) و يروى « وتقفو إلى الجدى »

وقوله : « تُحْيِي الْهَوَى » . أَى بهجرها ، و « تُمِيتُهُ » بوصلها ونائلها ،
كما قال جرير :

فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(١)
أَى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ بالاجتماع .

« وَشَعَبُ أَعْشَارِ الْفُؤَادِ »^(٢) . تضمها . وتلائم بينها . وَأَعْشَارُهُ : أَجْزَاؤُهُ
من قول امرئ القيس

« فى أعشار قلب مُقَتَّل » *

^(٣) وإنما قيل أَعْشَارٌ ؛ لأنَّ العشرة نهاية فى كل شىء من العدد ، واحدا عشر . فإنما أراد جميع القلب .

وقوله « تَصْدَعُ » . أَى تشق . يريد^(٤) تلائم بين أجزائه مرّة . وتفرّق
مرّة أخرى بينها . مثل قوله : « تُحْيِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ » .

وقوله : « وَأَقْرَعُ بِالْعُنْبَى حُمِيًّا عِتَابِيهَا » . أَى أَعْتَبَ إِذَا عَاتَبْتَ ،
وَأَنْتَهَى إِلَى مَا فِيهِ رِضَاهَا . فجعل شِدَّةَ غَضَبِهَا عِنْدَ الْعِنَابِ حُمِيًّا كَحُمِيٍّ
الْخَمْرِ . وهى شِدَّتْهَا . وجعل الْعُنْبَى التى تكون منه حتى يَزُولَ غَضَبُهَا - قَرَعًا
كَقَرَعِ الْخَمْرِ بِالماء حتى تلين .

وقوله : « وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحَ حِينَ تُشْعِشِعُ » . أَى وهى - مع أنى كسرت
غَضَبُهَا وَقَمَعْتَهُ - يَقْهَرُنِي حُبُّهَا . ويغلبنى سُكْرُهَا . وعِلْكُنِي كَمَا تَسْتَقِيدُ
الرَّاحَ فَتَصْرَعُ بِالسُّكْرِ مِنْ يَقْرَعُهَا بِالْمِزَاجِ .

(١) ديوان جرير ٤٧٨

(٢) كذا فى م ، ق وهو الصواب ، وقد سبق فى هذا البيت « أعشار القلوب »

(٣) صدره : « وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بهميك » وهو من معلقته . وانظر إعجاز

القرآن للباقلانى ٢٥٨

(٤) م « تشق أَى يريد »

وهذه كلها معان صحيحة مستقيمة ، واستعارات لائقة بما استعيرت له .
فأما قوله :

وَتَقْفُو لِي الْجَدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا يَرَوْقُكُ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ
فلفظ حسن حلو ، ولكنه مثلُ شيئاً بشيء كان غيره بالتمثيل أليق ،
وذلك لما قال : « وَتَقْفُو لِي الْجَدْوَى » كان سبيله أن يقول : وإِنَّمَا يَبِلُ
الغَلِيلَ الْعَلْلُ بَعْدَ النَّهْلِ ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ؛ لأنَّ الْجَدْوَى هو
نائل المرأة ، وليست من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشعر المصْرَع الذي
إِنَّمَا يُرَوِّقُ السَّمْعَ فقط .

ولست أقول إنه خطأ ، ولكن ليس بالجميل اللائق . والجميل فيه قول
البحترى :

فَإِنْ تُتْبَعِ النُّعْمَى بِنُعْمَى فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّائِي فِي النُّظَامِ أَرْدَوَاجَهَا^(١)
فجعل اللَّائِي التي هي فرائد تحصل في اليد والعين والنفس - مثلاً لنعمة
المنعم وليس للأذن ههنا ولا هناك حَظٌّ .

وقال أبو تمام :

عَطَفُوا الْخُدُودَ عَلَى الْبُدُورِ [وَوَكَّلُوا ظَلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَدٍ^(٢)
وَوَثَّنُوا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صَيَانَةَ وَشْيِ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدٍ^(٣)
البيت الأول حسن حلو . وأخذ قواه : « وَثَّنُوا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صَيَانَةَ

(١) ديوان البحترى ٢١٨ ، ١ / ٤٢٧ دار المعارف « فإن تلتحق »

(٢) ديوان أبي تمام ١١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٦ والزيادة منه من ق

(٣) م « ومهل »

وشى البرود» من قول الكُمَيْت :

وَأَذْنَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنُ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ

أراد بالفداغم : الخدود اللَّحِيْمَة . أى يزَيِّنُهَا بِأَسَالَةٍ خدودهن . أو أن يكون أراد بالفداغم المواضع الممتلئة من الجسد بالشحم . فيزيِّنُ ما كان ممتلئاً بِأَسَالَةٍ خدودهن . وهذا غير حسن . والأول أشبه بلفظ البيت .
ومعناه أيضاً غير جيد ؛ لأن الخد الأسيل إذا اقترن بالخد اللَّحِيم قَبَّحَهُ وشَانَهُ . ولم يزنه ؛ لبيان فضله عليه . وفد ذكرت هذا في أغاليطه مشروحاً^(١) .

• • •

وقال أبو تمام :

وفى الخُدُورِ مَهْلاً لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ
لَأَلَى كَالنُّجُومِ الزُّهْرُ قَدْ لَبَسَتْ
مِنْ كُلِّ خَوْدٍ دَعَاها الْبَيْنُ فَأَبْتَكَّرَتْ
لَا أَظْلِمُ النَّأَى قَدْ كَانَتْ خَلَاثِقُهَا
غَيْدَاءُ جَادَ وَلَّى الْحُمْنِ سُنَّتَهَا
مَصْقُولَةٌ سَتَرَتْ عَنَّا نَرَائِبَهَا
به طَغَتْ فَرَحاً ، أَوْ أُلْبَسَتْ أَسْفَا^(٢)
أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدْفَا
بِكُرّاً . ولكنْ غَدَا هِجْرَانُهَا نَصْفَا^(٣)
مِنْ قَبْلِ وَشَلِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدْفَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا^(٤)
قَلْبًا بَرِيئًا يُنَاغِي نَاطِرًا نَطْفَا^(٥)

(١) راجع الجزء الأول ٢٣٥

(٢) ديوان أبي تمام ٢٠٠ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٦٠ « أو ألبست أسفا » معناه : لو علمت كيفية حننها لورثها وكسبها علمها به أحد شيئين : إما فرحاً يغضى إلى الطغيان ؛ إذ لا ترى لنفسها نظيراً ، وإما حزناً يؤيسها من نفسها شفقة على الناس ورقة لهم ، لأنها تراهم موقٍ صرعى عليها ، وى : لو أنها سفرت .

(٣) فى شرح التبريزى « أى دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهى حديث السن ، ولكن هجرانها قديم »

(٤) وفيه عن أبي العلاء المعرى : « استعار لى الحسن من المطر الولى ، وهو الذى يجىء بعد الومى لأن من شأن الثبت أن يكثر إذا أصابه الولى بعد الومى ، فدل بقوله لى الحسن على أن الجمال فى هذه المذكورة عجم »

(٥) النطف : الفاسد الدخلة الملتغى النية . قال المرزوق « المعنى أنها تريك ظاهراً من أمرها معك يخالفه الباطن ، فهى تتملق لك وتظهر الوجد وتبأكى لفراقك . ومعنى ذلك كله على قلب برىء وصدر من الحب سليم »

[^(١)] قوله : « صَدَفُ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدَقَا » ليس بالجيد ؛ لأنه قال : قد لبست صدف الإحصان ، فأراك أنها لابسته في الحال .

وقوله : « لَا الصَّدَقَا » ليس له وجه ؛ لأنَّ اللؤلؤ قد فارق الصدف وليس هو لابسه في الحال .

والجيد الصحيح المعنى قول البحترى :
إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةً فَشَرْنَ عَنْ لَوْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَقَا^(٢)

فشبه أجسامهن في وقت تجردهن من الثياب ، باللؤلؤ في الوقت الذي يقشر عنه الصدف .

والعذر لأبي تمام أن يقال : إنما أراد أنها خلقت لابسة صدف الإحصان لا الصدف ، أي ليست كاللؤلؤ الذي خلق في الصدف .

وببيت البحترى أجود .

وقول أبي تمام : « صدف^(٣) الإحصان » معنى لطيف .

وقوله : « لَوْ شَعَرْتُ بِهِ » أي لو شعرت بشدة وجده طغنت فرحاً ، أو « ألبست أسفاً على ما فات منه . وهذه طريقة ابن أبي ربيعة التي كانت تليق به ، ومع ذلك يُعَابُ بها .

وهذه أبيات متكلّفة ، وخاصة قوله : « فابْتَكَرْتُ بِكَرّاً وَلَكِنْ غَدَا هَجَرَانَهَا نَصَفَا » فإنه غير شهي ، ولا مريء اللفظ . ، ولا المعنى .

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحترى ٣٢٧ ، ١٣٨٠/٣

(٣) ق « صنف » !

* * *

ولله دَرُّ أَبِي عُبَادَةَ إِذْ يَقُولُ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ :

وَفِي الْخُدُورِ بُدُورٌ فَلَمَّا طَلَعَتْ إِلَّا تَصَرَّمَ ضَوْءُ الْبَدْرِ أَوْ كُسِفَا
مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْدَافٍ مُبْتَلَةٍ تَدْعُو الْهَوَى ، وَخُصُورٍ أُرْهِفَتْ قَصِفَا -
[قَدْ كُنْتُ أَشْكُو تَمَادِي جُبِّهَا حَدَثًا فَلَا أَنْ أَطْمَعُ فِي إِنْصَافِهَا نَصَفَا]^(١)
أَكَادُ مِنْ كَلَفٍ أُعْطِيَ الْحَمَامَ يَدًا إِذَا الْحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ هَتَفَا
مَا بَاشَرَ النَّارَ - مُشْبُوبًا تَضَرَّمَهَا - مَنْ لَمْ يُصِفْ تَحْتَ أَحْنَاءِ الْحَشَا كَلَفَا^(٢)
أَرَا جُعُ مِنْ شَبَابِي قَيْضٍ مُبْتَذَلٍ أَنْفَقْتُهُ فِي لُبَانَاتِ الصَّبَا سَرَفَا
لِلَّهِ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِبًا وَقَفَا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَمَا سَلَفَا

* * *

وقال أبو تمام :

وَرَفِيقَةَ اللَّحْظَاتِ يُعْقِبُ رِفْقَهَا بَطْشًا بِمُغْتَرِّ الْقُلُوبِ عَنِيفَا^(٣)
حُزْنَ الصِّفَاتِ : رَوَادِفًا ، وَسَوَالِفَا وَمَحَاجِرًا ، وَنَوَاطِرًا ، وَأُنُوفَا^(٤)
كُنَّ الْبُدُورَ الطَّالِعَاتِ فَأَوْسَعَتْ مِنَّا أَفْوَلًا بِالنَّوَى وَكُسُوفَا^(٥)
أَرَامُ حَتَّى زَعَزَعَتْهُمْ نَيْسَةٌ تَرَكَّتْكَ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ نَزِيفَا
كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَانَمَا لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا^(٦)

(١) ديوان البحري ١٤٣٧/٣ والزيادة من ق

(٢) م « النار مسبوقة » . لم يصف

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٦ وشرح التبريزي ٢ / ٣٧٩ وفي م « ورقية »

(٤) ويروي : « جزن » أي قد تجاوزن حد الصفات في الأشياء المذكورة

(٥) في الديوان وشرحه : « عنا أفولا » تقديره : فأوسعت أفولا وكسوفاً عنا : وفائدة « أوسعت »

أنها عمت بالكسوف عنا حتى لا يتجل شيء من جوانبها »

(٦) الوساطة ٧١

وهذه معان جيدة لائقة إلا قوله : « لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفاً » ؛ فإن الناس جميعاً استهجنوه . ولو كان اعتمد أن لا يترك قافية على الفاء إلا أوردتها - لما كان ينبغي أن يذكر الصوف وخاصة على هذا الوجه .

وقال البحرى :

إِنَّ فِي السَّرْبِ لَوْ يُسَاعِفُنَا السَّرُّ بُ شُمُوساً يَمْشِينَ مَشْيًا وَثِيدًا^(١)
يَتَدَاغَعْنَ بِالْأُكْفِ وَيَعْرِضُ نَ عَلَيْنَا عَوَارِضًا وَخُدُودًا
يَتَبَسَّمْنَ عَنْ شَتِيبِ أَرَاهُ أَفْحَوَانًا مُفَصَّلًا أَوْ فَرِيدًا
رُحْنٌ وَاللَّيْلُ قَدْ أَقَامَ رَوَاقًا فَأَقَمْنَ الصَّبَاحَ فِيهِ عُمُودًا
بِفَتَاةٍ مِثْلِ الْمَهَاةِ أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُودًا^(٢)
ذَاتِ حُسْنٍ لَوْ اسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُ سَنِ إِلَيْهِ لَمَا أَصَابَتْ مَزِيدًا
فَهِيَ الشَّمْسُ بِهَجَّةٍ ، وَالْقَضِيبُ الـ غَضُّ لَيْنًا ، وَالرُّنْمُ طَرَفًا وَجِيدًا

وحسبك بهذا حسناً ، وصحة ، وجودة . وخاصة هذا البيت الأخير وما جمع من التشبيه بأبرع لفظ ، وأحلى سبك ، ولكن أفسده بقوله : « أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُودًا » . [وإنما علقه من أبي تمام]^(٣)

وقال أبو تمام :

سَلَبْنَا غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ قَظَلُ لِلْبُّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبًا^(٤)
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ تَوَقَّدُ لِلْسَّارِي لَكَانَتْ كَوَاكِبًا

(١) ديوان البحرى ٤٥١ ، ١ / ٥٩٠ دار المعارف

(٢) في الديوان « مهابة » وفي م « تصد صدودا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ١٧ وشرح التبريزى ١ / ١٤٥

وهذا معنى قديم متداول ، وأحسن ما قيل فيه قول مُزَارِمِ الْعُقَيْلِي .
وَجُودٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ أَخَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِي^(١)
وهذا كثير .

وقال البحتري .

كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلَى وَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ^(٢)

فجاء بمعنى آخر فيه سؤال ؛ وذلك أنه لما قال : « كالبدر إلا أنها لا تجتلى »
كان هذا من أحسن معنى وألطفه ؛ لأن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ،
وهي لا تراها العيون ، ولا تجتلى [ثم قال : « والشمس إلا أنها لا تغرب »
وإنما قال لا تجتلى]^(٣) لأنها^(٤) محجوبة ، وإذا كانت في حجاب فهي في
غروب ؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب . فظاهر المعنى :
كالبدر إلا أن العيون لا تراها ، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها . وظاهر هذا^(٥)
القول - كما تراه - متناقض ، وأظنه أنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه
لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس . وإنما يقال لها إذا سافرت :
بعدت ، واغتربت ، وغربت إذا توجهت نحو الغرب .

وقد يقال للرجل اغرب عنا أي ابعد . ولو استعار لها اسم الغروب عن
الأرض التي تكون فيها إذا ظنعت عنها إلى أرض أخرى - كان ذلك حسناً
جلداً ، لا سيما وقد جعلها شمساً . كما قال إبراهيم بن العباس الصولي :
وَزَالَتْ زَوَالِ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا^(٦)

(١) الرضاة ٣٥٥

(٢) ديوان البحتري ٦٨٢ ، ٧٢/١ طبع المعارف

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « لأن تلك »

(٥) م « وهذا »

(٦) حماسة ابن الشجري ١٦٩

وقد يجوز أن يقول قائل : إنه أراد [أنها] لا تغرب تحت الأرض
كما تغرب الشمس . وهذه معاذير ضيقة لأبي عبادة . فإن لم يك قد أخطأ
فقد أساء [وإن لم يكن أساء فما أحسن^(١)]

وقال أبو تمام :

قَالَتْ وَقَدْ أَعْلَقْتُ كَفِّيْ كَفَّهَا حِلَالٌ وَمَا كُلُّ الْحَلَالِ بِطَيِّبٍ^(٢)
فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ
وهذا معنى حسن . وقد تقدم الناس فيه وأكثروا .

قال قيس بن الخطيم :

قَصَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ خَالِقُ أَنْ لَا يُكْنَهَا سَدَفٌ^(٣)
وأجود من هذا قول جرير :

كَأَنَّهَا مُزَنَّةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي صَوَّعَهَا الصَّدَفُ^(٤)
ووصل أبو تمام ذلك بأن قال :

وَإِذَا رَنَتْ خِلَتَ الظُّبَاءَ وَلَدْنَهَا رِبْعِيَّةٌ . وَأَسْتَرْضَعَتْ فِي الرَّبْرِ
إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جَنِيَّةُ الْأَبْوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ
قوله : « رِبْعِيَّةٌ » يريد أنها ولدت في الربيع أول الشتاء فهو أحسن
ما تكون . وأقوى . « وَأَسْتَرْضَعَتْ فِي الرَّبْرِ » . والربرب : القطيع من
[بقرة]^(٥) الوحش . كأنه يؤكد حسن عينها .

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان أبي تمام ١٢ وشرح التبريزي ١٠١٠ « أي قد جمع هذا الذي أحاط ل من نفسها
أنه حلال وأنه طيب يستلذ

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ٥٦ والأغاني ١٦٨ / ٢ والوساطة ٢٩٧

(٤) ديوان جرير ٣٨٦ « غراء واضحة »

(٥) الزيادة من م

وقوله :

إِنْسِيَّةٌ إِن حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جَنِيَّةُ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

فيه سؤال وهو أن يقال : قوله : « جنية الأبوين » هو كقوله : تمجية الأبوين ، أو قرشية الأبوين. وهذا أصح ما يكون من النسب ، فكيف يقول : ما لم تنسب ؟ والنسب إلى الجن كالتنسب إلى الإنس ، فكما تقول : إنسي فكذلك تقول . جني ، فكيف يكون ذلك نسباً ، وهذا غير نسب ؟

فالجواب أنه أراد إن حُصِّلَ نَسَبُهَا فَقِيلَ : فلانة بنت فلان من بني فلان - عَلِمَ أَنَّهَا مِنَ الْإِنْسِ . وإن أبصرها المبصر ولم يسأل عن نسبها ظن أنها من الجن من فَرَطِ حَسَنَتِهَا الزائد على حسن الإنس المعهود . فإِذَا قَالَ : « ما لم تُنْسَب » أي ما لم تنسبها^(١) إلى آبائها من الإنس . وقال المؤمل بن أميل المحاربي^(٢) :

جَنِيَّةٌ ، أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرُ

وأحسن في هذا كل الإحسان ؛ لأن الرمي عن غير وتر ليس من رمي الإنس

وقال [بشار]^(٣) :

إِنْسِيَّةٌ جَنِيَّةٌ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَجْلٌ قَدَرًا

فجعلها - لحسنها وجمالها - فَوْقَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .

وقال حسان :

جَنِيَّةٌ أَرْقَنِي حُبَّهَا تَذْهَبُ صُبْحًا وَتُرَى فِي الْمَنَامِ^(٤)

(١) م « أي ما ينسب إليها »

(٢) ق « وقال أبو دهيل الجهمي »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان حسان ٣٨٠ « أرقني طيفها » وفي ق « أرقني حننا »

فَأَمَّا قَوْلَ الشَّنْفَرَى :

« فَلَوْ جَنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ ^(١) » .

فإني أظنه أراد : لو عرضت الجنُّ لأحد من حُسْنِهِ عَرَضَتْ لها . وقد قيل فيه غير شيء ، وكلُّه رديء ، وليس مثله يذكر .

وقال أبو تمام :

أَيَّنَ التِّي كَانَتْ إِذَا شَاءَتْ جَرَى مِنْ مُقْلَتِي دَمْعٌ يُعْصِفُهُ دَمٌ؟ ^(٢)
بَيْضَاءُ تَسْرِي فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا . وَتَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ ^(٣)
يَسْتَعْذِبُ الرَّغْدِيدُ فِيهَا حَتْفَهُ فَتَرَاهُ - وَهُوَ الْمُسْتَمِيَّتُ - الْمُعْلَمُ ^(٤)
مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ بَلْ هِيَ غَايَةٌ فَالْحُسْنُ فِيهَا وَالْجَمَالُ مُقْسَمٌ
مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ ، أَطْلَقَ طَرْفُهَا فِي الْخَلْقِ فَهُوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحْكَمٌ

قوله : « بَيْضَاءُ تَسْرِي فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا » - هو مذهب الناس نحو قول امرئ القيس :

تُضِيُّ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا [مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ] ^(٥)

وقول مُزَاحِم : « صَدَعَنَ الدُّجَى » . وَأَشْبَاهُ هَذَا .

وقوله : « تَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ » . يريد أَنَّ نَوْرَهَا يَغْلِبُ عَلَى ضَوْءِ

(١) سبق مع تخريجه ص ١٤٥ من الجزء الأول .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٢

(٣) ويروى : « بَيْضَاءُ تَبْدُو . . . وَتَسْرِبُ فِي الضِّيَاءِ »

(٤) شرح التبريزي « يستعذب المقدم » والمعلم : الذي يجعل لنفسه علامة يعلم بها في الحرب .

(٥) الزيادة من ق ، وديوان امرئ القيس ١٣١

النهار حتى يصير كأنه مظلم . وهذا أيضاً معنى معروف ، من قولهم : لو برزت للشمس لكسفتها ، والنهار عند نور وجهها ليل . وأشباه هذا .

وقال في موضع آخر :

وَلَيْهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٌ^(١)

فقوله : «أظلم كلُّ شيءٍ دُونَهَا» - ليس من هذا الباب . وإنما أراد أن أمر الفراق أولَّهَّها فأظلمت الأشياء في عينها ؛ لِإِعْظَمَ ما وَرَدَ عليها . وهذا مثل قول الشاعر . وأنشد أبو تمام في الحماسة .

نَعَى لِي أَبَا الْمَقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَسْتَكَّتْ عَلَى الْمَسَامِعِ^(٢)

قوله : و «أضاء منها كلُّ شيءٍ مُظْلِمٌ» - مثل قوله : «تَبَدُّوْا فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا» .

وقوله : «مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ» أي محظوظة منه . كأنها قد قسم لها منه ، والقسم : النصيب .

وقوله : «مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ» - يريد حُمْرَةَ خَدَّهَا . فلم لم يقل : مَصْفُوعَةٌ بِالْقَمَارِ ، ويريد سَوَادَ شعرها ، وَمَخْبُوطَةٌ بِالشَّحْمِ يريد امتلاءً لجسمها ، ومَضْرُوبَةٌ بِالْقَطَنِ يريد بياضها . إن هذا لِأَحَقُّ ما يكون من اللَّفْظِ ، وَأَسْخَفُهُ ، وَأَوْسَخُهُ .

وقد جاء مثل هذا في كلام العرب ولكن على وجه حسن . قال النابغة :

مَقْدُونُفَةٌ بِدَخِيسِ اللَّحْمِ بَازِلُهَا [لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوُ بِالسَّدِ]^(٣)

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٨ « وأنار »

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ٢ / ٨٦٧ وفي الأصل : « أبوالمقدام »

(٣) ق « بدخيس النحض » والزيادة منها ومن الديوان ٢٦ والبيت في اللسان ٧ / ٣٨٠ ، ٩٣ / ١١

والدخيس : اللحم المكتنز . والنحض : اللحم . والصريف : الصوت . والقعو : البكرة

يريد أنها قُذِفَتْ بالشَّخْم ، أى كأنه رُمِيَ على جسمها رمياً .

وإنما ذهب أبو تمام إلى قول أبي نواس : «وَتَلَطَّمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ» ^(١)

وهذه كانت تلطم على الحقيقة في مأتم على ميت بأنامل مَخْضُوبَةٍ
الأطراف ، فجعلها عناباً تلطم به ورداً . فَأَتَى بِالظَرْفِ كُلَّهُ ، والحسن أجمعه ،
والتشبيه على حقيقته .

وجاء أبو تمام بالجهل على وجهه ، والحمق بأسره ، والخطأ بعينه .

وقال :

وَمَقْدُودَةٌ رُودٌ تَكَادُ تَقْدُمُهَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ ^(٢)
تَعْصِفُ خَدَّيْهَا الْعُيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ
إِذَا زَهَّدْتَنِي فِي الْهَوَى خِيفَةُ الرَّدَى جَلْتُ لِي عَنْ وَجْهِ يُزَهِّدُ فِي الزُّهْدِ

قوله : «مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ - بضم السين - من أقبح لفظة وأهمجها .

ومثله قوله :

«أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ» * ^(٣)

وهذا إذا سمعه الأعراب ضحكوا منه . بل الجيد قوله :

لَوْلَا الْعُيُونُ وَتُفَاحُ الْخُدُودِ إِذَا مَا كَانَ يَحْسُدُ أَعْمَى مَنْ لَهُ بَصَرٌ ^(٤)

(١) صدره : «يبيكى فيذرى الدر من نرجس» والبيت في ديوان أبي نواس ٣٥٠ والصناعتين

٢٠١ والوساطة ٣٨ ، ٣٢٠

(٢) ديوان أبي تمام ١١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٦١

(٣) تمام البيت ، كما في ديوان أبي تمام ١٨٧

أعرضت برهة فلما أحست بالنوى أعرضت عن الإعراض

(٤) ديوان أبي تمام ١٤٩ وشرح التبريزي ٢ / ١٨٤

وأول هذه القصيدة :

يا هذه أفصري ما هذه بشرُ
خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ كالرَّوْضِ لَيْسَ لَهَا
ولا الخَرَائِدُ من أترابِها الأخرُ^(١)
إِلَّا الحُلَى على أعناقِها زهرُ
بِدْرَةٍ حَفَّها مِنْ حَوْلِها دُرُ
أَرْضَى غَرَامِي فيها دَمْعِي الدُّرُ
صَبَّ الشَّبابُ عَلَيْها وَهُوَ مُقْتَبِلُ
ماءٍ من الحُسْنِ ما في صَفْوِهِ كَدُرُ

قوله : « خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ » ، فَإِنَّ الخُضْرَةَ ليست من ألوان ثياب
نساء البادية ، ولا من صِبْغِ نساء الأمصار إلا في القُرط ، لا يلبس إلا أَنْ
يكون أصل لون الثوب أخضر

وقد جعل^(٢) أبو تمام جميع لباس هؤلاء النسوة الأخضر ، وشَبَّهه بالروض
من أجل تشبيهه الحلى بالزَّهر ، وهو نبت حسن . وغرضه في ذكر الخُضْرَةِ
غرض صحيح إلا أَنه غير معروف .

وقال البحتري :

وَأَخْضَرَ مَوْشَى الْبُرُودِ وَقَدْ بَدَا مِنْهُنَّ دِيْباجُ الْخُدُودِ الْمُذْهَبُ^(٣)

ذكر الخُضْرَةَ لَأَنَّهُ لم يجد لوناً غيرها ؛ وذلك أَنَّ البياض ليس مما
توصف به ثياب النساء ، والسواد ثياب الحزن والمصائب . وقد جعل
خُدودهن ديباجاً مُذْهَباً ، وَالذَّهَبُ يشتمل على لون الحمرة ، والصَّفْرَةِ ،
والتَّوْرِيدُ هو من ألوان الخد . والكُحْلَى لا يلفظ . به ، والعرب لا تَدْكُرُهُ في

(١) م « وقد جمع »

(٢) ديوان البحتري ٦٨١ ، ٧١/١ طبع المنار

(٣) م « الحسن » !

الألوان ، وكذلك الأزرق لا تستعماه إلا في صفة الماء والصبح . ويقولون :
عَدُوُّ أَرْزَقَ ، أى حديد النظر ، وسانان أَرْزَقَ أى حديد . ولم يبق من
الألوان ما يخالف لونَ الخدود المذهبة كما قال إلا الخُضرة . فهذا وجه
ذكر البحرى الخضرة ؛ لأنه لو قال :

وَأَحْمَرُ مَوْشِيٍّ الْخُدُودِ وَقَدْ بَدَأَ مِنْهُمْ دِيْبَاجُ الْخُدُودِ الْمُذْهَبُ
لكان مدحاً بلونين متفقين .

* * *

وقال البحرى :

هَزَّ مِنْهَا شَرْخُ الشَّبَابِ فَجَالَتْ فَوْقَ خَصْرِ كَثِيرِ جَوْلِ الْوِشَاحِ^(١)
وَأَرْتَنَا خَدًّا يُرَاحُ لَهُ السَّوَرُ دُ وَيَشْتَمُهُ جَنَى الثَّفَاحِ
وَشَتِينًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلُؤِ النَّظِّ م وَيُزْرِى عَلَى شَتِيتِ الْأَفَاحِ
فَأَضَاءَتْ تَحْتَ التُّجَّةِ لِلشَّرِّ بِ وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِضْبَاحِ
وَأَشَارَتْ عَلَى الْغِنَاءِ بِالْحَا ظِ مِرَاضٍ مِنَ التَّصَابِي صِحَاحِ
فَطَرَبْنَا لَهُنَّ قَبْلَ الْمَثَانِ وَسَكِرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ
قَدْ تُدِيرُ الْجُفُونُ مِنْ عَدَمِ الْأَ بَابِ مَا لَا يَكْثُورُ فِي الْأَقْدَاحِ

قوله : « فَجَالَتْ فوق خصر » كلام حسن .

وقوله : « يُرَاحُ له السَّوَرُ » حسن أيضاً .

وقول أبى تمام : « كَانَتْ وَبَالًا عَلَى الْوَرْدِ » - أحسن منه وألطف ،
وأشبه بما يستعمل في هذا المعنى .

وقوله : « وَيَشْتَمُهُ جَنَى التُّفَاحِ » - ليس بالجيد ، بل هو ردىء ؛ لَأَنَّهُ لا يدخل فى الاستعارة أَن يشتم التفاح خدّها ، ولكنه يحمل على أَنه لو كان مما يشتم لاشتَمَّ خدّها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له .
و « يراح » أسهل من « يشتم » .

وهذا مثل قول [عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ] ^(١) بن الخَرَج :
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَارَ فِيهِ مَغَارًا ^(٢)
والفَار لا تتخذ فى الحافر مغاراً ، وإنما قال ذلك لعظم الحافر . ومثله أيضاً قولهم : جاء بِجَفَنَةٍ يقعد فيها خمسة . وإنما أراد لوقعدوا فيها لوسعتهم .
وهذا على كل حال أقرب من استعارة البحرى .
وقوله : « وَشَتَيْتَا يَغْضُ مِنْ لَوْلُؤِ النَّظْمِ » بيت فى غاية الجودة ،
والصحة ، والبراعة .

وكذلك قوله : « وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ » . وهو أجود من قول أبى تمام :
« وَتَبْدُو فى الضياءِ فَيُظْلِمُ » : وأوضح وأليق ، وأشدَّ مبالغةً فى الضوء .

* * *

وقال ^(٣) البحرى :

وَبِنَفْسِي مُسْتَعْرَبُ الْحُسْنِ فِيهِ حَيْدٌ عَنْ مُجِبِّهِ وَنِفَارٌ ^(٤)
فَاتِرُ النَّاطِرَيْنِ يَنْتَسِبُ الْوَرْدُ دُإِلَى وَجْنَتَيْهِ ، وَالْجُلْنَاسُ ^(٥)
مُدْنِبٌ يَكْثُرُ التَّجْنِي فَمِنْهُ الذُّ نَبُ ظُلْمًا ، وَمِنِّي الْإِعْتَذَارُ

(١) الزيادة من ق

(٢) المفضليات ٤١٤ والمعاني الكبير لابن قتيبة ١ / ١٦٩ والشرح منه .

(٣) م « وقول »

(٤) ديوان البحرى ١٠٤ ، ٢ / ٨٥٢ « حبة وأزودار » .

(٥) م « ينسب الورد » والجلناس : زهر الرومان .

وهذا من قول المومّل بن أميل المحاربي :
 * وَتَذْنِبُونَ فَنَاتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ^(١) *

وقال البحتري :

وَقَدْ نَهَيْتُ فُؤَادِي لَوْ يُطَاوَعُنِي عَنْ ذِي دَلَالٍ غَرِيبِ الْحُسْنِ مُفْرَدِهِ^(٢)
 عَنْ حُبِّ أَحْوَى أَسِيلِ الْخَدِّ أَبْيَضِهِ سَاجِي الْجُفُونِ، كَحِيلِ الطَّرْفِ أَسْوَدِهِ
 مِثْلِ الْكَثِيبِ تَعَالَى فِي تَرَائِكُمِهِ مِثْلِ الْقَضِيبِ تَثْنَى فِي نَاوُدِهِ

فجعل الخدّ ههنا أبيض من أجل قوله : « كحيل الطرف أسوده » .
 وابيضاض الخد عند كثير من الناس - إذا كان له ماء ورونق - أحسن
 من احمراره .

وقوله : « أَحْوَى » . إنما ذهب به إلى الظبي . وهو الذي في ظهره خط
 أسود ، فقال « أَحْوَى » مكان قوله « ظبي » لَوْ قَالَهُ .

وهذا لفظ ومعنى في غاية الحسن .

وقال :

بَيِّضَاءُ أَوْقَدَ خَدَيْهَا الصَّبَا وَسَقَى أَجْفَانَهَا مِنْ مَذَامِ الرَّاحِ سَاقِيهَا^(٣)
 فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ شَكْلٌ مِنْ تَلْهَبِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَخْنِيهَا

قوله : « أَوْقَدَ خَدَيْهَا الصَّبَا » يريد احمرارها . وهذا لفظ حسن ،
 ومعنى مستقيم .

(١) صدره : « إذا مرضنا أتيناكم نعودكم » ، كما نهاية الأرب ٣ / ٩٢ وهو غير منسوب في
 عيون الأخبار ٣ / ٤٥

(٢) ديوان البحتري ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ - ٢٤١٠

وقوله : «سَقَى أَجْفَانَهَا مِنْ مُدَامِ الرَّاحِ سَاقِيهَا » يريد تَفْتِيرَ
الْحَاضِلَهَا ، وانكسار أَجْفَانِهَا مِنَ الْغَنَجِ ، كما تتكسر أَجْفَانُ السَّكَرَانِ .
وهذا كقولهِ :

تَحْسَبُهُ نَشْوَانٌ إِمَّا رَنَا لِإِ فْتَرٍ مِنْ أَجْفَانِهِ وَهُوَ صَاحٌ^(١)
وَالْأَشْهُرُ^(٢) الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ تَشْبِيهِهُمْ أَجْفَانَ الْمَحْبُوبِ بِطَرْفِ الْوَسْطَانِ
لَا بِطَرْفِ السَّكَرَانِ . فذلك نحو قول الشاعر :

وَكَاثَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ^(٣)
وَسْنَانُ أَقْصَدُهُ النُّعَاسُ فَرْتَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ ، وَلَيْسَ بِنَائِمٍ^(٤)
ويجعلون طرف المحبوب هو الذي يُسْكَر ، ويقيمونه مقام الراح . وقد
أكثر البحتري من هذا الوصف ، وذلك قوله :

أَرْسَلَتْ شُعْلَيْنِ : مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تَدْوِي الصَّحِيحُ ، وَلَحْظٌ يُسْكَرُ الصَّاحِي^(٥)
حَيِّتُ خَدَيْكَ بَلْ حَيِّتُ مِنْ طَرْبٍ وَرَدًا يَوْرَدُ ، وَتُفَاحًا بِتُفَاحٍ
[وقوله :

قد تُدِيرُ الْجَفُونُ مِنْ عَدَمِ الْأَلِّ بَابِ مَا لَا يَدُورُ فِي الْأَقْدَاحِ]^(٦)

(١) ديوان البحتري ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٢) م « والأشهد » !

(٣) لعدي بن الرقاع كما في الكامل ١٢٧ / ١ والشعر والشعراء ٦٠٢ / ٢ وأمالى المرتضى ١١١ / ٥
وفي الأغاني ١٨١ / ٨ « الجاذر : جمع جَوْدَر ، وهي أولاد البقر الوحشية . وجاسم : موضع . ويروي
عاسم مكان جاسم . والوسنان : النائم . والوسن . النوم ، الواحدة منه سنة . والترقيق : الدنومن الشيء
يريد أن يفعله » .

(٤) له في اللسان ١١ / ٤١٩

(٥) ديوان البحتري ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ وفي م « تروى الصحيح » ! .

(٦) سبق ، ص ٩٧ .

وقوله :

- وَمَا أَسْكَرْتَنِي الرَّاحُ لَكِنْ أَغَانَهَا عَلَى بَعَيْنَيْهِ الْغَدَاةُ - مُدِيرُهَا^(١)

وقوله :

سَقَانِي بِكَأْسِيهِ ، وَعَيْنَيْهِ قَادِرًا بِأَلْحَاطِهِ دُونَ الْمُدَامِ عَلَى سُكْرِي^(٢)

وقوله :

مُسْكِرِي إِنْ شَرِبْتُ مِنْهُ بِعَيْنِي أَرْجُوَانُ مِنْ خَمْرِ خَدْيِهِ صِرْفُ^(٣)

ولو قال : « خندريس من خمر عينيه » كان ذلك صحيحاً مستقيماً ، ولكن « أرجوان من خمر خديه » أحسن وألطف .

ولما قال : « بيضاء أَوْقَدَ خَدَّيْهَا الصَّبَا » كان يجب أن يقول : في حمرة الورد شكل من تلهبها ، فلم يَقُلْ ، ونسب التَّلَهَّبُ إليها ، وإن كان للخدين ، وذلك من أجل قوله :

* وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْنِئِهَا *

ويجوز أن يكون ذهب بقوله من تَلَهَّبَهَا إلى تَلَهَّبَ نار الخدين ؛ لأنه قد دل عليها بالإيقاد .

وقال أبو تمام في حُمْرَةِ الْخَدِّ :

إِنَّ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةُ الْحَبْجِ لَمَيْنِ وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقٍ^(٤)
وَكَنَّ الْجُرَيْالَ شَيْبَ بِمَاءِ الدُّرِّ فِي خَدَّهَا بِمَاءِ الْعَقِيقِ

(١) ديوان البحرى ٦٠٥ « وما صرعتى الكأس » وفى ق « حتى أغانها » وكذلك فى ديوانه

٩٩٩ / ٢ طبع دار المعارف

(٢) ديوانه ١٥١ ، ٢ / ٤١٥ دار المعارف .

(٣) ديوانه ١٣٧٦ « إن سقيت » .

(٤) ديوان أبى تمام ٢١٦ وشرح التبريزى ٢ / ٤٣٢ ويروى : « لمفمة الحجلين » .

كذا رواية هذا البيت : « شيب بماء الدر في خدها^(١) بماء العقيق »
[وهو الصحيح] ^(٢)

والجريال : اللون الأحمر . وأراه أراد لون الخمر ، كما قال الأعشى :
« سَلَبْتُهَا جَرِيَالَهَا »^(٣) . أى حمرتها . وقد سئل عن هذا : فقال :
شربتها حمراء ، وبلتها بيضاء .

واستقامة اللفظ أن يكون أراد : وكان الجريال بماء العقيق ~~شيب بماء~~
الدر في خدها ، كما قال في نحو هذا اللفظ :
وَأَخْلَقُ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهَا بِصَفْوِ الرَّاحِ بِالنُّطْفِ الْعَذَابِ^(٤)
فإن كان هذا أراد فقد كان ماء العقيق يُغْنَى عن الجريال ؛ لأن
الدرَّ والعقيق جوهرا . واختلاط مانهما على الاستعارة حتى يشبه الخد
المورد - سائع .

وإن كان أراد بالجريال الخمر نفسها كما قال الشاعر :

« وَتَكَلَّمْتُ بِلسَانِهَا الْجَرِيَالُ »

- فإن الخمرة بحمرة لونها مستغنية عن ماء^(٥) العقيق ؛ لأنها أنصع
وأحسن

وهو أيضاً [جمع] ^(٦) بين شيبين لا يتشابهان :

(١) م « في خدها بالعقيق »

(٢) الزيادة من ق

(٣) تمام بيت الأعشى ، كما في ديوانه والسان ١٣ / ١١٤

وسبيطة ما تعشق بابل كدم الفحيح سلبها جريالها

(٤) ديوان أبي تمام ٥٥ وشرح التبريزي ١ / ٢٨٨

(٥) م « مستقية بماء »

(٦) الزيادة من ق .

والعادية الجارية في مثل هذا أن يقال : كَانَ خَدَّهَا الْخَمْرُ وَالْمَاءُ ، أَوْ
كَأَنَّهَا جَرَتْ فِي خَدَّهَا الْخَمْرُ وَالْمَاءُ ، فَأَمَّا الْخَمْرُ مَمْزُوجَةٌ أَوْ مَشُوبَةٌ بِمَاءِ الْعَقِيقِ
فَإِنَّهُ خَطَلٌ مِنَ الْقَوْلِ .

* * *

وقال أبو تمام :

رُودٌ أَصَابَتْهَا النَّوَى فِي خُرْدٍ كَانَتْ بُدُورَ دُجْنَةٍ وَشُمُوسَا^(١)
وَكَاثِمًا أَهْدَى شَقَائِقَهُ إِلَى وَجَنَاتِهِنَّ ضَحَى أَبُو قَابُوسَا
بَيْضًا يُدِرْنَ عُيُونَهُنَّ إِلَى الصَّبَا فَكَأَنَّهِنَّ بِهَا يُدِرْنَ كُؤُوسَا^(٢)
وهذه أبيات صالحة .

ثم جُنَّ بعد هذا فقال :

لَوْلَا حَدَائِثُهَا وَأَنْنَى لَا أَرَى عَرْشًا لَهَا لَطَنَنْتُهَا بِلَقْرِيسَا^(٣)
فَنَأَى شَيْءٌ يَزِيدُكَ عَلَى هَذِهِ الْحَمَاقَةِ .

* * *

وقال البحتري :

سَفَرَتْ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ عَنْ وَرَدٍ يُرْقِرُفُهُ الضُّحَى مَصْقُولِ^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٧٥ وشرح التبريزي ٢٦٤

(٢) في الديوان وشرحه : « بَيْضٌ تَلَوْرٌ »

(٣) غاية ما علق به التبريزي على هذا البيت قوله : « لَأَنَّ بَلْقِيسَ مُتَقَادِمَةُ الْمَهْدِ ، وَلَوْ بَقِيَتْ إِلَى

الآن لَصَارَتْ قَفَّةً !!! »

(٤) ديوان البحتري ١٧٨ ، ٢ / ١٨٢٩

وَتَبَسَّمتَ عَنْ لَوْلُوْ فِي رَصْفِهِ بَرْدٌ يَرُدُّ حُشاشَةَ الْمَتَبُولِ

أى شىء يزيدك على هذا الإحسان^(١) ؟

وأجود من هذا وأحلى - قول كثير :

وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَّتْ رِداءَ الْعَصْبِ عَنْ رَتْلِ بَرَادٍ^(٢)

وَعَنْ نَجْلَاءٍ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ^(٣)

وَعَنْ مُتَكَاوِسٍ فِي الْعَقْصِ جَنَلٍ أَثِيثِ النَّبْتِ، ذِي غُدُرٍ جِعَادٍ

مُتَكَاوِس : شعر كثير قد ركب بعضه بعضاً .

(١) فى حسانة ابن الشجرى ١٩٠ « وقال البحرى ولم يقصر عن غابة الإحسان : أسفرت ... »

(٢) ديوان كثير ٢ / ١٥٩ والأغاني ١١ / ٤٧ « ويوم الخيل » وأمالى الرضى ٢ / ١٧٨ .

وم ، ق : « يوم الخيل »

(٣) سبق فى ص ١٢٤ من الجزء الأول

ما لاقاه في وصف الثغور

وقال أبو تمام :

وَشَنَائِكِ إِنِّهَا إِغْرِیضُ وَلَا لِ تُوْمٌ ، وَبَرْقُ وَمِیضُ^(١)
وَأَقَاحٍ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضُ أَرِیضُ
وَأَرْتِكَاضِ الْكَرَى بِعَيْنَيْكَ فِي النَّوْمِ مِ فَنُونًا ، وَمَا لِعَيْنِي غُمُوضُ^(٢)
لَتَكَاءٍ دَنَنِي غِمَارٌ مِّنَ الْأَحْ مَدَاتٍ لَمْ أَذِرْ أَبْهَنَ أَخُوضُ

وهذه لعمر الله - يَجِئُ في غاية الحسن [والحلاوة] ^(٣) والملاحة .

وقوله : « وَأَقَاحٍ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ » كلام مستقيم . والبَطَاحُ : ما اطمأن
من الأرض وأنهبط ^(٤) . والندى ، والعشب فيه أبقى . ورياض الحزن
أحسن . فأما قول الأعشى :

« مَا رَوْضَةٌ مِّنْ رِّیَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ^(٥) »

فإن الحزن ههنا : موضع كانت إبلى الملوك ترعى فيه على ما ذكر .

وقوله : « هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضُ أَرِیضٍ » ليس بالجيد اللائق ؛
لأن الآفَاحِي هي من الروض ، والرَّوْضُ إنما يهزه ويحرّكه الندى ، والنسيم ،
لَا أَنَّ يَهزُّ بعضه بعضاً .

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨٧

(٢) م « فتنونا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « والهبط »

(٥) ديوان الأعشى ٣ ؛ وعجزه : « خضراء جاد عليها مسبل هطل »

والأريض^(١) : هو المتمكن في موضعه ، الجيد النبات .

وقال البحرى :

لها غرائبٌ دَلُّ ما يَزَالُ لَهَا على الغَرامِ به حَثٌّ وَتَحْرِيطُ^(٢)
تُفَاحُ خَدٍّ إِذَا أَحْمَرَّتْ مَحَاسِنُهُ مُقْبِلُ بِخَفِيٍّ اللَّحْظِ مَعْضُوضُ
وَواضِحَاتِ تُرَيْكَ الدُّرِّ مُتَسِقًا كَأَنَّهُنَّ إِذَا اسْتَغْرَيْنَ إِغْرِيطُ^(٣)
لو كان يَكْفِيكَ عِلْمُ الشَّيْءِ تَجْهَلُهُ فَقَدْ كَفَاكَ مِنَ التَّضَرِّيحِ تَعْرِيطُ^(٤)

فقوله : «تُرَيْكَ الدُّرِّ مُتَسِقًا» أحسن ، وأصح من قول أبي تمام :

«وَلَا لِتُومٍ» . غير أن أبا تمام شَبَّه الشَّغَرَ في بيته بثلاثة أشياء . وقد فعل

البحرى ذلك فقال :

بَاتَ نَدِيمًا لى حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحِ^(٥)
كَأَنَّمَا يَضْحَكُ • عَنْ لَوْلُوٍ مُنْظَمٌ ، أَوْ بَرْدٌ ، أَوْ أَقَاحُ

فشبه الشجر بثلاثة أشياء ، وشرط في اللؤلؤ أنه منظم ، كما قال في

البيت الآخر :

«تُرَيْكَ^(٦) الدُّرِّ مُتَسِقًا» ، حتى استوى التشبيه بالائِغْرِيطِ .

(١) م « والأرض » !

(٢) ديوان البحرى ٢ / ١٢١٧ « بنا بث » ، م « حث وتغريض » والتصويب من ق

(٣) م « استغرين »

(٤) ق « لقد كفاك »

(٥) ديوان البحرى ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٦) م « يريد » !

وقد شبه الثغر بالبرد والأقاحى فى مصراع فقال :
يَضْحَكُنَّ عَنْ بَرْدٍ ، وَنَوْرٍ أَقَاحٍ وَيَشْبَنُ ظَلَمَ رُضَابِهِنَّ بِرَاحٍ^(١)

ووصله ببيت هو فى حسنه وحلاوته فقال :

وَإِذَا بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ سَفَرْنَ عَنْ هَمِّكَ : مِنْ وَرْدٍ ، وَمِنْ تَفَاحٍ
وقد شبه البحرى أيضاً بياض ثغر المرأة بالبرق ، وبضوء المصباح ،
فقال :

أَضَوْهُ بَرَقٌ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُهُ مِصْبَاحٍ أَمْ أَبْتَسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِى^(٢)
ثم قال بعده :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُبَيَّضًا إِذَا ضَحِكَتْ عَنْ أَبْيَضِ خَضِلِ السَّمْطَيْنِ لَمَّاحٍ^(٣)
وهذا أحسن كلام ، وأصححه ، وأحلاه .

ولكن البديع فى تشبيه الثغر بالبرق قول العُدَيْلِ بن الفَرَّخِ العَجَلِي :
ضَحِكَتْ فَقُلْتُ : غَمَامَةٌ بَرَقَتْ لَنَا بِشِعَابِ مَكَّةَ بَرَقَهَا لَا يَبْرَحُ^(٤)
فشرط أن بَرَقَهَا مقيمٌ لا يبرح . وهذا أَلْطَفُ ما يكون من المعانى وأحسنها .
وقد أحسن البحرى كل الإحسان فى قوله :

وَشَتِيئًا يَخُضُّ مِنْ لَوْلُؤِ النَّظِّ حَمْرٍ وَيَزْرِى عَلَى شَتِيئِ الْأَقْلَاحِ^(٥)

(١) ديوان البحرى ١ / ١٢٤ طبع بيروت ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف .

(٢) ديوانه ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ « ألمع برق سرى » .

(٣) فى الديوان « إذا ابتسمت » وفى ديوان المعانى ١ / ٢٣٨ « فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت

(٤) ق « بشعاف »

(٥) ديوان البحرى ٣٨٢ ، ١ / ٤٥٨ دار المعارف ، وفى م « ويندى على »

ومن إحسانه المشهور لفظاً ومعنى قوله :

وَلَا أَلْتَقَيْنَا وَالنَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً^(١)
فَمِنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاوِطُهُ^(٢)

والعرب تشبه الثغر باللؤلؤ . والإغريض . وهو ما^(٣) يتشقق عنه الطلع من النخل ، [و] بالأقاحى . وهو أشبهها بالثغرهَيْئَةً ، وشكلاً ، وبياضاً ، وتَفْلُجاً . وتُسَبِّهُه بالبرد . وبشوك السَّيَال ، وهو شجر . ولا يريدون اللون ، وإنما يريدون الشَّكْل والتَفَرُّق ، قال الأعشى :

بَاكَرَتْهَا الْأَغْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْمِ فَتَجَرَّى خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ^(٤)
الْأَغْرَابُ : أَقْداح الفِضَّة بَاكَرَتْهَا وفيها الخمر

[وقد] قال أبو تمام :

وَعَلَى الْعَيْسِ خَرْدٌ يَتَبَسَّنُ نَ عَنِ ، الْأَشْنَبِ الشَّتِيبِ الْبُرَادِ^(٥)
كَانَ شَوْكُ السَّيَالِ حُسْنًا فَأَضْحَى دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ الْفَتَادِ^(٦)
فالبراد : هو البارد ، والأشْنَبُ أيضاً : البارد ، والشنب : البرد .

وإنما جمع بينهما لاختلاف اللفظ

وقال أبو تمام :

وَلَوْ تَبَسَّمَ عُجْنَا الطَّرْفَ فِي بَرْدٍ وَفِي أَقَاحٍ سَقَتَهُ الْخَمْرُ وَالضَّرْبُ^(٧)
مِنْ شَكْلِهِ الدَّرُّ فِي رَصْفِ النَّظَامِ وَمِنْ صِفَاتِهِ الْفِتْنَتَانِ : الظَّلْمُ ، وَالشَّنْبُ

(١) ديوان البحري ١٧٩ ، ٢ / ١٢٣٠ وديوان المعاني ١ / ٢٣٨

(٢) في الديوان « لَوْلُو تَجْلُوهُ »

(٣) م « وهاما »

(٤) ديوان الأعشى ٥ واللسان ٢ / ١٣٦ ، ٣٧٤ / ١٣

(٥) ديوان أبي تمام ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٣٥٩ وأمانى المرتضى ٢ / ١٧٨

(٦) في الديوان وشرحه « فأمسى »

(٧) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٧

قوله : « في أقاح سقته الخمر والضرب » معنى حسن جدًا . ولائق بالمعنى .
والظلم : ماء الأسنان . والشنب : برؤها .

وتزعم الرواة أن أحسن ما قيل في وصف الثغر قول بشر بن أبي خازم^(١) :
يُفْلَجْنَ الشِّفَاةَ عَنْ أَفْحُوَانٍ جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ^(٢)

وهذا - لعمري - يستحق التقديم والتفضيل . وليس بدونه قول النابغة :
كَالْأَفْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ . وَأَسْفَلُهُ نَدَى^(٣)

بل قول النابغة أجمع للمعنى ؛ لأن قوله : « كَالْأَفْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ » - بإزاء قول بشر : « جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ »

وقول النابغة : « جفت أعاليه ، وأسفله ندى » زيادة حسنة .

ولكن بيت بشر أبرع ؛ لأنه مستغن بنفسه ، وبيت النابغة متعلق على البيت الذي قبله .

(١) م « خازم »

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ٦٣ وديوان المعاني ١ / ٢٣٨

(٣) ديوان النابغة ٣٧ وديوان المعاني

ما قالاه في وصف القدود ، والخصور ، والأخصاف
وثقل الأرداف ، وحسن المشى

قال أبو تمام :

وَمَقْدُودَةٌ رُودٍ تَكَادُ تَقْدُهَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ^(١)
تُعْصِرُ خَدَّيْهَا الْعَيُونَ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالًا عَلَى الْوَرْدِ^(٢)

وقال :

وَنُحُوطِيَّةٌ شَمْسِيَّةٌ رَشَّيَّةٌ مُهْفَهَفَةٌ الْأَعْلَى ، رَدَّاحُ الْمُحَقَّبِ^(٣)
تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَتَشْعِبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبٍ
بِمُخْتَلِلِ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْوَرِ وَمُقْتَتَلِ صَافٍ مِنَ النَّغْرِ أَشْنَبِ
مِنَ الْمُعْطِيَّاتِ الْحُسْنَى ، وَالْمُؤْتَيَّاتِ مُجْلِبِيَّةٌ ، أَوْ فَاضِلًا لَمْ تُجْلِبِبِ

وهذه معان حسنة ، وقول حلو .

والرَّدَّاح : العظيمة العَجْز .

وقوله : تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ ، وتشعبه - بمعنى واحد . ولولا قوله :
« بِالْبَثِّ » لصلح أَنْ يَكُونَ تَشْعِبُهُ : تَضُمُّ أَجْزَاءَهُ ، وتلائم بينها ؛ لِأَنَّ
شَعْبَ مِنَ الْأَضْدَادِ^(٤) : يَكُونُ جَمَعَتْ وَفَرَّقَتْ ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ : تُصَدِّعُ شَمْلَ

(١) ديوان أبي تمام ١١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٦١

(٢) راجع ص ٩٥

(٣) ديوانه ٢٣ وشرح التبريزي ١ / ١٥٤

(٤) راجع الأضداد لابن الأنباري ٤٣

القلب أى تفرقه إذا شاعت ، وتَشَعُّبُهُ أى تضمه وتجمعه ، كما قال فى موضع آخر :

وَعَهْدِي بِهَا تُحْيِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ وَتَشَعِّبُ أَعْشَارَ الْقُوَادِ وَتَصْدَعُ^(١)

أى تحيى الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

وقوله : « ساج » أى يختل بنظره . ومقتتل صاف ، يريد قتل الحب ؛ يقال : أَقْتَتَلَهُ الحبُّ ، وَأَقْتَتَلَتْهُ الجنُّ ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظين بقوله : مُخْتَتَلٌ ، ومُقتَتَلٌ .

وقوله : « مُجْلِبَّةٌ » من الجلباب وهو : الخِمَار ، وقد يكون أيضاً : الثوب . « أَوْفَاضِلًا لَمْ تُجْلَبِبْ » ، والفَاضِلُ : هى الْمُتَفَضِّلَةُ فى ثوب واحد ، وهو الذى تلبسه^(٢) المرأة لِلْبَذَلَةِ وَالْإِعْتِمَالِ .

وقال :

مِنْ كُلِّ ضَاحِكَةِ التَّرَائِبِ أُرْهِفَتْ إِرْهَافَ خُوطِ الْبَانَةِ الْمَيَّاسِ^(٣)
بَدْرٌ أَطَاعَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النَّوَى خَطًّا ، وَشَمْسٌ أُولَعَتْ بِشِمَاسِ^(٤)
وَإِذَا مَشَتْ تَرَكَتْ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ^(٥)
وَالْخِطُّ : ما يعتمده الإنسان ، وَالْخَطُّ : ما لا يعتمد^(٦) .

(١) سبق ص ٨٣

(٢) م « البسته »

(٣) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٣ وأرهِفَتْ : أى رق خلقها .

(٤) فى الديوان وشرحه « التوى ولعاً »

(٥) هذا البيت فى الأصل مؤخر عن شرح البيهقي .

(٦) اللسان ١ / ٥٩

وقوله : « ضاحكة الترائب » : يرير ما على صدرها من الحلى . والترائب عظام الصدر .

وقال :

إِنْ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطَعَمَةُ الْحِجَّةِ لَيْنٌ ، وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقٍ^(١)
وَهِيَ لَا عَقْدٌ وَدَّهَا سَاعَةُ الْبَيْنِ ن ، وَلَا عَقْدٌ خَصَرِهَا بُوَيْثِيقٍ

قوله : « مطعمة الحجلين » ، والحجل : الخَلخال ، والمُطعمُ : المرزوق من الطَّعم . جعل امتلاء لحم ساقها طعماً لخلخالها ؛ لأنه يَعَضُّ به .

وقوله : « وهي لا عقد ودَّها ساعة البين » [أراد : ولا عقد ودَّها ساعة البين] بوَيْثِيقٍ ، ولا عقد خصرها بوَيْثِيقٍ على كل حال . ولكنه لما أخبر عنها^(٢) خبراً واحداً ، ونسق بأحدهما على الآخر - صار الظرف ، وهو ساعة البين ، على ظاهر اللفظ . كأنه يضمهما^(٣) معاً ، فيكون عقد خصرها غير وثيق أيضاً في ساعة البين . وهو قبيح على جوازه وسوَّغِه .

وقال البحتري :

فِيهِنَّ مَشْغُولٌ بِهِ الظَّرْفُ هَارِبٌ بَعَيْنَيْهِ مِنْ لَحْظِ الْمُحِبِّ الْمُخَالِيسِ^(٤)
خَبِيرٌ عَنْ غُصْنٍ مِنَ الْبَانِ مَائِدٍ إِذَا أَهْتَزَّ فِي ضَرْبٍ مِنَ الدَّلِّ مَائِيسٍ

وهذا غلط البحتري الحلو . وإنما قال : « هارب بعينه » ، فخصهما

(١) م « في حليم » وسبق ص ١٠١ « خيمهم »

(٢) م « عنها »

(٣) م « يضمها »

(٤) ديوان البحتري ١١٦ ، ٢ / ١١٢٣

دون غيرهما ؛ لأن الحسن^(١) إنما هو في العين ، وعلاقة الحب إنما تكون عند النظر إلى العين^(٢) .

وقال :

وَقَدْ بَانَ فِيهِمْ غُصْنُ بَانَ إِذَا بَدَا ثَوَى مُخْبِرًا عَنْ مِثْلِهِ أَوْ مِثَالِهِ^(٣)
يَسُوءُكَ أَلَّا عَطَفَ عِنْدَ أَنْعِطَافِهِ وَيُشْجِيكَ أَلَّا عَدَلَ عِنْدَ أَعْتِدَالِهِ^(٤)
كَأَنَّهُ أَرَادَ بِالمثل الشيء نفسه ، والمِثَالُ : الشَّيْءُ ، أى ثوى مُخْبِرًا عن
غصن بان مثله ، أو شبهه . إلى هذا ذَهَبَ .

وقال :

أُعْطِيتَ بَسْطَةً عَلَى النَّاسِ حَتَّى هِيَ صِنْفٌ فِي الْحُسْنِ ، وَالنَّاسُ صِنْفٌ^(٥)
أَعْتِدَالٌ بِجَمِيلٍ مِنْهُ أَنْخَنَاتٌ وَتَشْنُ فِيهِ الْفَخَامَةُ لُطْفٌ^(٦)
نَعْمَةُ الْغَصَنِ إِنْ تَأَوَّدَ عِطْفٌ مِنْهُ عَنْ هِزَّةٍ تَمَاسَكَ عِطْفٌ^(٧)
مُسْكِرِي إِنْ سُقِيتُ مِنْهُ بِعَيْنِي أَرْجَوَانُ مِنْ خَمَرٍ خَدِيدِهِ صِرْفٌ^(٨)
وهذا من إحسانه المشهور .

(١) م « إلا أن الحسن »

(٢) م « إلى العين » !

(٣) في الديوان ١٦٢٣/٣ « مخبر »

(٤) كذا في م ، ق وفي الديوان : « إلا العطف . . . إلا العدل »

(٥) ديوان البحري ٣٢٩ ، ١٣٧٥ « صنف والناس في الحسن صنف »

(٦) في الديوان « ويثنى فيه »

(٧) م « عن حمة تماسك »

(٨) سبق ص ١٠١

وقال :

لَمَّا مَشَيْنَ بِدَى الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ
فِي حُلَّتِي حَبِرَ وَرَوِضٍ فَالتَقَى
وَشِيَانٍ : وَشَى رُبَى ، وَوَشَى بُرُودٍ^(١)
وَسَفَرَنَ فَاُمْتَلَأَتْ عُيُونُ رَاقِهَا
وَرَدَانٍ : وَرَدُ جَنَى ، وَوَرَدُ خُدُودٍ^(٢)
وَضَحِكُنَ فَاغْتَرَبَ الْأَقَاحَى مِنْ نَدٍ
غَضٍّ ، وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ ، بُرُودٍ^(٣)
وهذا أيضاً من إحسانه المعروف .

وقوله : « اغترب » يريد الضحك . والمستعمل اسْتَغْرَبَ فِي الضَّحْكِ
إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ ، وَأَغْرَبَ أَيْضاً ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

فَمَا يَغْرُبُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْسَبُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا^(٤)

ولم أسمع في الضحك اغترب . إنما ذاك من الغربة والبعد . فقلوه :
« اغترب الأقاحى من ندى غض » يريد النور نفسه . « وَسَلْسَالُ الرُّضَابِ »
يعنى : الثغور ، كأنه جعلهما جميعاً من الأقاحى ، وفصله فقال : من ندى
غض ، ومن سلسال الرضاب ، وسلسال الرضاب هو ندى غض أيضاً ، إلا
أنه جعل الفرق بينهما أن هذا أندى ، وأجرى من ذاك .

وأظن المُسْتَغْرَبَ فِي الضَّحْكِ إِنَّمَا أُخِذَ مِنْ غُرُوبِ الْأَسْنَانِ إِذَا بَدَتْ
كُلُّهَا فِي الضَّحْكِ ، وَهِيَ أَطْرَافُهَا ، وَغَرِبَ كُلُّ شَيْءٍ : حُدُّهُ

أَوْ أَنَّ يَكُونُ اسْتَغْرَبَ فِي الضَّحْكِ أَيْ امْتَلَأَ ضَحْكًا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَغْرَبْتُ

(١) ديوان البحترى ص ٨ ، ٢ / ٦٩٧ دار المعارف

(٢) م « ورد ضحى جنى وورد »

(٣) كذا في م ، ق وفي م « فاعترف الأقاحى » وفي الديوان : « من ندى »

(٤) ديوان ذى الرمة ٦٥٥ « ينسون » وفي م « فاعترفون »

السَّقاء إِذَا مَلَأْتَهُ ، قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ :
وَكَانَ ظَنُّهُمْ غَدَاةَ تَحْمَلُوا سُفُنٌ تَكْفَأُ فِي خَلِيجٍ مُغْرِبٍ^(١)

وسبيل هذا البيت أن يلحق في «باب الثغور» .

وقوله : «فالتقى ورَدَان : وَرَدُ جَنَى ، وَوَرَدُ خُدُودٍ» - إن كان أراد هذا الورد المعروف ، فمن أين بنى الأراك وَرَدٌ ؟ إلا أن يريد بعض الأنواع^(٢) ، والحر من الأنوار فإنها كثيرة . وإياها - إن شاء الله - أراد .

ومن عجيب ما أوردَه في حُسْنِ القَدِّ قوله :

تَهْتَزُّ مِثْلَ أَهْتِزَّازِ الْغُصْنِ اتَّعَبَهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْبِيِّ سَحَّاحٍ^(٣)

وقال :

بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبَ قَوَامَهَا وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالَ الْأَحْوَرَ^(٤)
تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلَّهَا وَتَمِيسُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ فَتَخْطُرُ^(٥)
وَتَمِيلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبَا فَيَقِيمُهَا قَدْ يَوْنَتْ تَارَةً وَيُذَكِّرُ

وقال :

هَلِ الدَّلَفَاءُ مُخْبِرَتِي أَهْجَرًا أَرَادَتْ بِالتَّجَنُّبِ ، أَمْ دَلَالًا؟^(٦)
ذَكَرْتُ بِهَا قَضِيبَ الْبَانِ لَمَّا غَدَتْ تَخْتَالُ فِي الْحُسْنِ اخْتِيَالًا
تُشَاكِلُهُ أَنْعَافًا ، وَأَهْتِزَّازًا وَتَحْكِيهِ قَوَامًا ، وَأَعْتِدَالًا

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ٣٥ واللسان ٢ / ١٣٥

(٢) ق «بيض أنواع الحر من»

(٣) ديوان البحري ٥٨ ، ١ / ٤٢٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠

(٥) في الديوان «في ظل الشباب وتخطر»

(٦) ديوانه ٧٧٦ ، ١٧٢٨ «هل الحسناء»

وهذا ما لا يكاد يسمع أحلى ، ولا أعذب ، ولا أبرع منه .

وقال :

أَلَامٌ عَلَى هَوَى ظَمِيَاءَ ظُلْمًا وَقَلْبِي فِي يَدَيِ ظَمِيَاءَ عَانٍ^(١)
إِذَا أَنْصَرَفَتْ أَضَاءَتْ شَمْسُ دَجْنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنُ بَانٍ

قوله : « أَضَاءَتْ شَمْسُ دَجْنٍ » . أى إذا انصرفت مُؤَلِّةً بوجهها كان ضوءها كضوء الشمس من تَحْتِ الدَّجْنِ ، وهو لباس الغيم الأفق . وهذا أحسن ما يكون من المعنى^(٢) . وألفظه . أى إذا غاب وجهها حين تَوَلَّى فَأَنَا مِنْهَا أَيْضاً في ضياء كضياء^(٣) الشمس من تحت الدَّجْنِ .

وقال أبو تمام :

أَذْنْتُ نِقَاباً عَلَى الْخَدَيْنِ ، وَأَنْتَسَبْتُ لِلنَّاطِرِينَ بِقَدْ لَيْسَ يَنْتَقِبُ^(٤)

وهذا حسن جداً .

وقال أبو تمام :

لِيَالِي أَضَلَلْتُ الْعَزَاءَ وَجَوَلْتُ بِعَقْلِكَ آرَامُ الْخُدُورِ الْخَوَازِلُ^(٥)
مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُبِرَتْ لَهَا وَشُحاً جَالَتْ^(٦) عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانَسَ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

(١) ديوان البحرى ٢١٢ ، ٢٢٢٨/٤ « هوى الحسناء . . في هوى الحسناء عان »

(٢) م « المغانى »

(٣) م « كظياء »

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٧

(٥) ديوان أبي تمام ٢٥٦ وشرح التبريزى ٣ / ١١٥ ويروى « وخذلت » و « حولت »

و « الخدور » المقاتل ، وفى ق « لعقلك آرام »

(٦) م « جالت عليه »

قوله : « جَوَلْتُ » من أجل قوله : « الْخَوَازِلُ » وَهْنٌ ^(١) اللَّوَاتِي تَخْلُفْنَ من جملة السرب على أولادهن ، فأراد أن يُطابقَ بَيْنَ « الْجَوْلَانِ » و « التَّأَخَّرِ » . وهو طباق غير جيّد ، ولا لائق .

وقوله : « مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشُحاً » - من أقبح الخطأ وأفحشه ؛ لأنّ الخلخال لا يكون في موضع الشاح ؛ لأنّ الشاح : ما تتقلّده المرأة من سير ، أو خيط تنظم فيه خرزاً ، أو حلياً من فضة أو غيرها ، تنزيئ به فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرجل . والخلخال لا يكون في هذا الموضع إلا إذا مسخها الله ، وأقامها .

[^(٢) وقد أخطأ في البيت الثاني أيضاً فقال : « قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلِكْ ذَاوِيلُ » وإنما قيل للرّماح : « ذَوَائِلُ » لئنها وتثنيتها ، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التي من أكمل أوصافها التّثني واللين والانعطاف ، كما قال « تميم بن أبي ابن مقبل » :

يَهْزُرْنَ لِلْمَشْيِ أَوْصَالاً مُنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا ^(٣)
أَوْ كَاهْتِزَّازِ رُدَيْنِي تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنُهُ لَيْنَا

وقد ذكرت هذا مشروحاً في أغاليطه ^(٤) .

ولله در أبي عبادة إذ يقول :

عَدَتْ قُضْبَانُ أَسْجِلَةٍ عَلَيْهَا لِفَرَطِ الْجَدْلِ أَوْ شِحَةِ تَجُولِ ^(٥)

(١) م « وهي »

(٢) الزيادة من ق .

(٣) ديوان ابن مقبل ٣٢٧ .

(٤) راجع ج ١ / ١٥١ .

(٥) ديوان البحري ٣٠٠ ، ١٨٢٣

يُقَوِّمُ مِنْ تَشْنِيْهَا أَعْدَالُ تَكَادُ تَقُولُ مِنْ هَيْفٍ : نُحُولُ^(١)
 مَشِيْنٌ عَلَى خَمَائِلِ ذِي طُلُوحٍ وَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الْحُجُولُ
 فَقُلْتُ : أَزِيدُ مِنْ سَقَمٍ فُوَادِي ؟ وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلٍ؟^(٢)

فهذا - والله - هو الشعر ، لا تَعْلِيْلَاتُ أَبِي تمام بطباقه وَتَجْنِيْسِه ، وفرط
 تَقَعْرُه ، وكثرة إَحَالَاتِه . وما زلت أسمع الشيوخ يفضلون هذا البيت الأخير
 على كل ما سمعوه في الغزل .

وهذه القصيدة من قلائده . وفيها يقول قبل هذه الأبيات :

بَعِيدَةٌ مَطْلَبٌ ، وَجَمَادُ نَيْلٍ فَهِيَ لَا تُنَالُ ، وَلَا تُنِيلُ
 إِذَا خَطَرْتُ تَارَّجَ لِحَايَبَاهَا كَمَا خَطَرْتُ عَلَى الرَّوْضِ الْقَبُولُ
 وَيَحْسُنُ دَلُّهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

وقال أبو تمام :

وَنَاصِرَةَ الصَّبَا حِينَ اسْبَكَّرْتُ طِلَاعَ الْمِرْطِ وَالذَّرْعِ الْيَدِي^(٣)
 تَشْكِي الْأَيْنَ مِنْ نِصْفٍ سَرِيعٍ إِذَا قَامَتْ ، وَمِنْ نِصْفٍ بَطِيٍّ
 وهذا ما لا مَدْفَعَ لجودته وحسنه ، وكأنه صفوة خاطر أبي تمام . إذا
 كان بِجِمَامِهِ يَأْتِي به وبأمثاله ، فإذا أَعْيَا ، وَكَلَّ زَمَانًا - رَمَى بِالْأَوْسَاخِ
 وَالْأَفْذَارِ وَالْغُثَاءِ .

(١) ق « يكاد يقول » وفي الديوان « يكاد يقال »

(٢) في الديوان « أقول أزيد »

(٣) ديوان أبي تمام ٢٤٣ وشرح الأنبريزي ٣ / ٢٥٣ « اسبكرت : تم شباها . ويرى « البدي »

وهو البديع العجيب »

وقوله : « طَلَّاعُ المِرْطِ » أى تملأ المِلْحَفَة تماماً وكمالاً ، كأنها تطلع عليها ، أى تعلوه . والدرع : القميص التام . واليدى : الواسع .

وقال البحتري :

نَوَاصِيعُ كَسِيُوفِ الصَّقْلِ مُشْعَلَةٌ ضَوْءًا ، وَمُرْهَفَةٌ فِي الْجَدَلِ إِرْهَافًا^(١)
إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّطْرِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنْ لَوْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا
كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ قَرَّبْنَ مِنْ طَرَفِي ضِدَّيْنِ فِي الْحَسَنِ تَثْقِيلًا ، وَإِخْطَافًا^(٢)
رَدَدْنَ مَا خَفَفَتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَآزِرِ فَاسْتَثْقَلْنَ أَرْدَافًا
وحسبك بهذا حُسْنُ لَفْظٍ ، وحلاوة نَظْمٍ ، وصحَّةُ مَعْنَى .

وألطف من قوله : « قَشَرْنَ عَنْ لَوْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا » - قول أبي تمام :
لَآئِي كَالنُّجُومِ الزُّهْرِ قَدْ لَبِسَتْ أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدَفَا^(٣)
وببيت البحتري أبرع وأحلى .

وقال البحتري أيضاً :

غَدَتْ أَتْرَابُهَا يَنْهَضْنَ هَوْنًا لثَقْلِي مِنْ رَوَادِفِهَا الثَّقَالِ^(٤)
مَشِينَ ضُحَى بِأَقْدَامِ لَطَافٍ وَسُوقٍ فِي خَلَائِلِهَا خِدَالِ
إِذَا اجْتَبَنَ الْحُلَى رَأَيْتَ بَيْضًا أَوَانَسَ كَاللَّائِي فِي اللَّائِي^(٥)

(١) ديوان البحتري ٣٣٧ ، ١٣٨١ وفى م « تواضع لبيوف »

(٢) فى الديوان « وقد قار بن « . . . تبتلا »

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٦٠

(٤) ديوان البحتري ١٧٠٨ / ٣ « بشقل »

(٥) اجتبن : لبس

وقال :

أَطَاعَ لَهَا دَلَّ غَرِيرٌ ، وَوَاضِحٌ
وَالْحَاطِظُ عَيْنٍ مَا عَلِقْنَ بِفَارِغٍ
وَهَذَا مِنْ مَشْهُورِ أَبِي عِبَادَةَ .

[وقال أبو تمام] (٣) :

وَمِنْ جِدِّ غَيْدَاءِ التَّثْنَى كَأَنَّمَا
كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عِقْدٍ مَلَاخَةٌ
وَمِنْ نَظَرَةِ بَيْنِ السُّجُوفِ عَلِيلَةٌ
وَمِنْ فَاحِشِ جَعْدٍ ، وَمِنْ كَفَلٍ نَهْدٍ
مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوِي مِنَ النَّوَى
أَتَتْكَ بَلِيَّتَيْهَا مِنَ الرَّشَاءِ الْفَرْدِ (٤)
وَحُسْنًا ، وَإِنْ أُمَسْتَ ، وَأَضَحْتَ بِلَا عِقْدٍ
وَمُحْتَضَنِ شَخْتٍ ، وَمُبْتَمِّمِ بَرْدٍ (٥)
وَمِنْ قَمَرٍ سَعْدٍ ، وَمِنْ نَائِلٍ ثَمْدٍ (٦)
تُغَطِّي عَلَيْهَا ، أَوْ مَسَاوِي مِنَ الصَّدِّ

شَخْتُ : دقيق يتمكن الذراع من احتضانه ، كأنه ينقذ عنها ضخم
البطن وموضع (٧) [الكشح] ويستحب فيها الضمير .

(١) ديوان البحري ٥٩ ، ١٦١٥

(٢) م « ما علقت بفاتر »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ٢٧ وشرح التبريزي ٢ / ١١١ واليت : صفحة العنق

(٥) م « بين السيوف » والمحضن : موضع الاحتضان

(٦) التمد : القليل

(٧) م « البطن والموضع ويستحب »

ما قالاه في : شدة الحب ، والوجد ، والتشوق ، والغرام ،
والحزن ، وانتجاز المواعيد ، وإخلاصها ، ونحو ذلك

* * *

في الحزن والوجد

قال أبو تمام :

حُزْنٌ عَدَاةُ الْحُزْنِ هَاجَ غَلِيلُهُ فِي أَبْرِقِ الْحَنَانِ مِنْكَ حَنِينٌ^(١)
سِمَةُ الصَّبَابَةِ زَفَرَةٌ ، أَوْ عَبْرَةٌ مَتَكْفِلٌ بِهِمَا حَشَاً ، وَشُؤْنُ
لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَّعَى هَضْبُ الْحِمَى وَصَفَا الْمُشَقَّرُ أَنَّهُ مَخْزُونٌ

وهذا المعنى غاية في حسنه وجوده . وإنما حداً على قول الأخص :
إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمًا^(٢)
ولكنه عبر عنه بعبارة^(٣) أغرب فيها حتى صار كأنه ليس ذلك المعنى
وهو هو بعينه .

والعِزْهَاءُ : الذي قد عَزَفَ عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا .

* * *

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٤ وفي م .

« الجنان منك جنيته وقال : سمة الصبابة »

الآبيات متصلة في ق والديوان .

(٢) البيت له في الشعر والشعراء ٥٠٢/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٣٩ ، وهو غير منسوب في

اللسان ١٧ / ٤١٠

— (٣) م « عبارة »

وقال البحترى :

زَعَمَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ الَّذِي يَهْ
كَذَبَ الزَّاعِمُونَ قَدْ يَحْسُنُ الْحُ
وَيَ مِرَاضَ الْعُيُونِ غَيْرُ رَشِيدٍ^(١)
بُ يَمَنْ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ حَدِيدٍ

وقال :

ولو أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدَنَ إِلْفًا
لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ^(٢)

وقال :

حَقًّا أَقُولُ لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي
بِجَوَى مُقِيمٍ لَوْ عَلِمْتُ غَلِيلَهُ
وَالْحَبُّ سُكْرٌ لِلنَّفُوسِ يَسُرُّنِي
وَأَطْلَتِ مُدَّةَ غَيْبِ الْمُتَمَادِي^(٣)
لَوَجَدْتِهِ غَيْرَ الْهَوَى الْمُعْتَادِ
سَهْوُ الْعَوَائِدِ عَنْهُ وَالْعَوَادِ^(٤)
وهذا معنى آخر حمّن جدًا .

وقد قال أبو تمام

بِهِ عِلَّةٌ صَمَاءٌ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ
لِبُرْءٍ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ^(٥)
ومعنى البحترى أجود وأحلى .

وقال أيضاً :

بَلْ مَا أَوْدُ بِإِذْنِي أَفْرَقْتُ مِنْ
وَأَعُدُّ بُرْئِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةً
وُجِدَ وَلَا أَنِّي بَرَدْتُ غَلِيلِي^(٦)
وَالْبُرْءُ أَكْبَرُ حَاجَةِ الْمَخْبُولِ^(٧)

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٨ دار المعارف « العاذلون . . يصيه نجل العيون »

(٢) ديوانه ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٧ دار المعارف وفي م « أن الجياد فقدن »

(٣) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ « لو بلوت »

(٤) في الديوان « صحو العوائد »

(٥) ديوان أبي تمام ١١٦

(٦) ديوان البحترى ١٧٨ ، ١٨٣٩

(٧) م « رزية » والديوان : « رزية »

وفى الشوق والصباية

قال أبو تمام :

لَا شَوْقَ مَا لَمْ تَصِلْ مِنْهُ بِأَلَّتِي هَجَرْتِكَ وَجَدًّا كَالْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ^(١)
يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ ، وَيُرَى إِذَا لَمْ يَحْتَدِمْ ، وَيُغْصُّ إِنْ لَمْ يُشْرِقْ
قوله : ما لم تصل [منه] أى من الشوق . وجدًّا : أى من الوجد .
كَالْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ : أى فتكون إذا مليت^(٢) [به] كالأبَاءِ الْمُحْرَقِ من الوجد .
وقوله : «يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ» . كأنه جعل الاضطرام أشدَّ من الغلى ،
والغلى هو اضطرام أيضاً .

و«يُرَى» معناه يحرق . وَالْأَحْتِدَامُ : شدة الحر ، ويقال : وجدت
للحر حذمة .

يقول : هو يحرق وإن لم يشتد حره .

«وَيُغْصُّ إِنْ لَمْ يُشْرِقْ» . فَتَنَزَلَ مِنَ الْغُلْيَانِ ، وَالْاضْطِرَام ، وَالْوَزَى ،
وَالْأَحْتِدَامُ - إِلَى الْغَصَصِ ، وَالشَّرْقِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِخَطَأٍ وَلَا هُوَ بِالْجِدِّ ،
وَلَا الْحَلْوِ ، وَلَا الشَّهْيِ .

وقال البحتري :

وَحَرَّضَ شَوْقِي خَاطِرُ الرِّيحِ إِذْ سَرَى وَبَرَّقَ بَدَأُ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ لَامِعُ^(٣)

(١) ديوان أبي تمام ٢١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٠٦ وق «منه فى التى» وفى الديوان «ما لم تصل
وجدًا بالتي * تأبى وصالك كالآباء»

(٢) م «صليت» والزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

وما ذاك أنَّ الشوقَ يَدْنُو بِنَازِحٍ ولا أنى في وِصلِ علوة طامِعٍ
خَلَا أنَّ وَجْدًا ما يُغِبُّ ، وَلَوْعَةً إذا أَضْطَرَمَتْ فَاضَتْ عليها المَدَامِعُ^(١)

وهذه طريقة البحترى التى يخبر فيها بالشئ على ما هو فيغنى^(٢) على كل
بديع ، واستعارة إذا اعتمدها ؛ وذلك لحسن عبارته وتلخيصه .

وقوله : « خَاطِرُ الرِّيحِ » : من الخَطَرَانِ كما قال فى موضع آخر :
كما خَطَرْتُ عَلَى الرُّوضِ القَبُولُ^(٣) .

وقال :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَدْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الْأَضْلُعُ^(٤)
وَهَوًى تُجَدِّدُهُ اللَّيَالِي كُلَّمَا قَدَمْتُ ، وَتُرْجِعُهُ السَّنُونُ فَيَرْجِعُ

وقال :

هَلْ أَنْتَ مِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ مُنْقِذِي أَوْ أَنْتَ مِنْ شَكْوَى الصَّبَابَةِ عَائِدِي^(٥) ؟
شَوْقٌ تَلَبَّسَ بِالْفَوَادِ دَخِيلُهُ وَالشَّوْقُ يُسْرِعُ فِي الْفَوَادِ الْوَاجِدِ

ومما أحسن فيه البحترى وأغرب - قوله فى شدة الحب وتمكنه :

غَيْرَ حَبٍّ لِسُلَيْمَى لَمْ يَزِدْ فِيهِ إِسْعَافٌ ، وَلَمْ يَنْقُصْهُ ضَنْ^(٦)
ثَبَّتَتْ تَحْتَ الْحَشَا آخِيَةً مِنْهُ لَا يَنْزِعُهَا الْمُهْرُ الْأَرْنُ^(٧)

(١) فى الديوان « أن شوقاً » وفى م « إذا اضطربت فاضت عليه »

(٢) ق « فيغل »

(٣) سبق البيت فى صفحة ١١٨ .

(٤) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢ / ١٣١٠ وفى ل « و جوى إليك »

(٥) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥١ « أنت فى سقه الصباية عازرى » أم أنت من برح الصباية »

(٦) ديوانه ٦١٣ ، ٤ / ١٥٤ م « غير حبى » ومن أرن : أى نشط

(٧) ق « أخية » وفى الديوان ٦١٣ « لا ينزعها المهر »

وقد بالغ أيضاً الذى يقول :

أَحْبَبُكَ مَا لَوْ كَانَ بَيْنَ قَبَائِلٍ مِنَ النَّاسِ أَعْدَاءٌ - لَجَرَّ التَّصَافِيَا^(١)

وأبلغ من هذا كله وأجود - قول الأعشى :

كفى بالذى تُولِينُهُ لَوْ تَجَنَّبَا شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا كَانَ أَشِيْبَا^(٢)

ولكنما كانت تَوَابِعُ حُبَّهْمَا تَوَالِي رِبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا

فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا إِلَيْهِ بَلَاءُ السُّوءِ إِلَّا تَحَبَّبَا

وكان حماد الراوية يتعجب من قوله : « فتم على معشوقه » ، ويقول :

هذا^(٣) - والله - غاية العشق ، ونهاية الإحسان فى النسب .

يقول : كفى بالذى تولينه من البعد والقطيعة شفاء له من سقم الحب لو تَجَنَّبَ ، ولكنه لا يقدر على ذلك .

وقوله : « تَوَابِعُ حُبَّهَا » أى ما تتابع وتوالى من حبها كتوالى الربيع ، وهو : السَّقْبُ الذى نُتِجَ فى أوّل الربيع ، يتنقل مِنْ سِنٍّ إِلَى سِنٍّ حَتَّى قَوَى ومَرَنَ ، وأنقاد^(٤) . جعل هذا مثلاً لزيادة حبه شيئاً فشيئاً حَتَّى تَمَكَّنَ ، فذلك معنى قوله : « تَوَالَى » .

وقد روى « تَأَوَّلَ رِبْعِي » من حال إلى حال ، مِنْ آلَ يَتَوَلَّى .

وقال « أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِي » فى هذا المعنى ، وجاء به أَكْشَفَ وَأَبْيَنَ وَأَحْسَنَ

مما جاء به الأعشى ، فقال :

لَا مُنْكَرٌ لِقَبِيحٍ مِنْكَ أَعْرِفُهُ إِلَى أَرَاهُ - إِذَا أَرْضَاكَ - إِحْسَانَا

أُنْخَلْتُ النَّفْسَ مَسْرُورًا بِذِكْرِكُمْ حَتَّى كَانَ الذى قَدْ كَانَ مَا كَانَا

(١) لم أعرف قائله

(٢) ديوان الأعشى ص ٨٨

(٣) م هو

(٤) راجع الصحاح لابن فارس بتحقيق ص ٣١٥

ومن هذا أخذ أبو الشَّيْص - والله أعلم - قوله :
وَأَشْنَنْنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا ما من يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ^(١)

ولكنه تناعى في التذلل فأحسن المعنى كلَّ الإحسان ، ولكنَّ الحرَّ
الكَرِيمَ الْإِنْفَ : « كَثِيرٌ بن عبد الرحمن » إذ يقول :

وَلَمَّا رَأَتْ وَجْدِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادٍ
أَدَلَّتْ بِصَبْرِ عِنْدَهَا وَجَلَادَةٍ وَتَحَسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جَلَادٍ
فِيَا عَزُّ صَادِي الْقَلْبِ حَتَّى يَوَدَّنِي فُوَادُكُ ، أَوْ رُدِّي عَلَى فُوَادِي^(٢)

وكان هذا مما ينشده «أبو العباس ثعلب كثيراً» ويستحسنه . ذكر
ذلك الأَخْفَش .

[و] قوله : « صَادِي الْقَلْبِ » أى دَارِيهِ . وَالْمُصَادَاةُ : الْمُدَارَاةُ .

وقال « كثير » أيضاً ، وأحسن كل الإحسان :
وَكُنْتُ أَلُومُ الْجَارِعِينَ عَلَى الْبُكَاءِ فَكَيْفَ أَلُومُ الْجَارِعِينَ وَأَجْرَعُ؟
وَلِي كِبْدٌ قَدْ بَرَّحَتْ بِي مَرِيضَةٌ إِذَا سُمَّتْهَا الْهَجْرَانُ ظَلَّتْ تَصَدَّعُ

وَأَظُنُّ «أبا الشَّيْص» أخذ قوله :
أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ [إِذَا كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ]^(٣)

من قول كُثَيْرٍ :
مُجَاوِرَةٌ قَوْمًا عِدَى لِي صُدُورُهُمْ أَلَا حَبْدًا مِنْ حُبِّهَا مَنْ تُجَاوِرُ

(١) في الأغاني ١٥ / ١١٠ « من يكرم »

(٢) م « حين يودني »

(٣) الأغاني ١٥ / ١٠٩ والزيادة من ق .

وقد أحسن أيضاً الإحسان كله - الذي يقول :

وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ ، ولم يحدث سِوَاكَ بَدِيلٌ^(١)
صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّيُّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْآيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

وقال أبو تمام يذكر الوعد وإخلافه :

وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُودَرُ مِنْ الْعَيْنِ وَرَدَ الْخَدَّ ، وَرَدَ الْمَجَاسِدِ^(٢)
غَدَتُ مُغْتَدَى الْغَضْبَى وَأَوْصَتْ خِيَالَهَا بِحِرَّانَ نِضْوِ الْعَيْسِ ، نِضْوِ الْخَرَائِدِ
وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا ، وَلَيْسَ بِفَاسِدِ
سَاوَى بِهِذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَأْسِ بَارِدِ
وهذه أبيات سخيصة المعاني ، قد أتى فيها بكل قببح وفحش ، لأنه

قال :

رَمَتْهُ بِخُلْفٍ بَعْدَمَا عَاشَ حِقْبَةً لَهُ رَسْفَانٌ فِي قُيُودِ الْمَوَاعِدِ
وبعد ذلك بيّن بأن الوعد كان مُبَاضَعَةً ، وأنه لما حَقَّقَ المطالبة غضبت ،
وذلك قوله : « غَدَتُ مُغْتَدَى الْغَضْبَى » .

وقوله : « وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ » . فقال هو : « وَكَمْ نَكَحُوا
حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدِ » ، فاحتجت عليه ، واحتج عليها .

وهذه خصومة ومناظرة على ذلك الباب شديدة مُسْتَقْصَاة ما أظن أحداً
سبقه إلى مثلها .

(١) أمالي القالي ١ / ٢١٧ وحامسة أبي تمام بشرح المرزوق ٢ / ١٢٩٦

(٢) ديوان أبي تمام ١١٦ وفي شرح التبريزي ٢ / ٦٩ ويرى : من الإنس يمضي في رفاق

وقوله بعد هذا :

سَاوَى بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَأْسِ بَارِدٍ^(١)

هو أيضاً غضب منه لمنعها إتياء مما التمس . ومثل هذا إنما يفصح به

الشاعر إذا هَزَلَ وَمَجَن . وإنما وصل هذه الأبيات بما افتتحه من قوله :

قِفُوا جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانٍ نَاشِدٍ
لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ الْمُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ وَبَيَّنَّهُمْ إِطْرَاقَ ثُكْلَانٍ فَاقِدٍ^(٢)
وَأَبْذَمُوا لِضَيْفِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ مِنْهُمْ قَرَى مِنْ جَوَى سَارٍ ، وَطِيفٍ مُعَاوِدٍ^(٣)
سَقْتُهُ دُعَافاً عَادَةً الدَّهْرِ فِيهِمْ وَسَمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سَمِّ الْأَسَاوِدِ
بِهِ عَلَّةٌ صَمَاءٌ لِلْبَيْنِ إِنْ لَمْ تُصَيِّخْ لِبُرءٍ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ

ومن يقف على المعاهد ، ويصف ما به من الهم ، والحزن ، والجوى ،
وَأَنْ عَادَةَ الدَّهْرِ فِيهِمْ سَقْتُهُ الدُّعَافَ - وهو السم - ، وَأَنْ بِهِ عَلَّةٌ لِلْبَيْنِ
صَمَاءٌ لَمْ تُصَيِّخْ لِبُرءٍ : أى لم تصغ إليه ، ولم تقرب منه - فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ
بعد ذلك كُلَّهُ : إنه كان التمس من المرأة الفاحشة ، وناظرها^(٤) عليها ،
وغضب من منعها إتياء . هذا غاية ما يكون من السخف والحمق .

فإن قيل : إن المعاهد التي وقف عليها لم تكن معاهد هذه المرأة ذات
الِكَلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ ، وإن هذه إنما كانت معه في الرفاق وهم سائرون ،
فاستوقفهم لتجديد عهد بديار كان فيها أحباب أول .

(١) م « عن لوعة . . . نطفة الماء »

(٢) م « أطرق الركب »

(٣) في ديوان أبي تمام وشرحه « الحزن منى بعدهم »

(٤) م « وناظر »

قيل : هذا غلط من التأويل ؛ لأنه قال : « به علة صماء للبين لم تصخ لبرء » ، فأوجب بهذا القول أن حُبّه باق غير منصرم .

وإذا كان لم يبرأ حبه من امرأة أولى ، فكيف يقف صَحْبُه على معاهدها وفيهم امرأة أخرى يهاواها ، وقد طالبها سَنَةً ، وهى تَعِدُّه ، وذكر أنها أوصت خيالها [به] ^(١) ، وأنه حَرَّان ؟ هذا محال . لم يكن الحب إلا لهذه المرأة ذات الكلمة [رحم الله غفلته] .

وقوله : « نضوا العيس » لطول السفر . و« نَضُّوا الخرائد » ، يعنى الخيالات .

ولله در « أبى عبادة » إذ يقول :

لَوْ تُسْعِفِينَ - وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً -
لَعَدَلْتُ حَرَّ جَوْى بِبَرْدِ رُضَابٍ ^(٢)
وَلَيْتَنِي شَكَوْتُ ظَمَأَى إِنَّكَ لَلَّتَنِى
قَدَمًا جَعَلْتِ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِي ^(٣)
وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّكَ حَتَّى إِنْنِي
أَخْشَى مَلَأْمَكَ أَنْ أَبْثُكَ مَا بِي ^(٤)

وقال البحترى :

إِذَا رَاجَعْتُ وَضَلًا عَلَى طُولِ هِجْرَةٍ
تَرَاجَعْتُ شَيْئًا مِنْ بَلَاىَ إِلَى سُقْمِي ^(٥)
وَقَدْ زَعَمْتُ أَنْ سَوْفَ تُنْجِجُ مَا وَأَتُ
وَطَنِي بِهَا الْإِخْلَافُ فِي ذَلِكَ الزَّعْمِ ^(٦)
خَلِيلِي مَا لِي : لَا شِفَاءَ مِنَ الْجَوَى
وَلَا نَعْمُ مَرْجُوَّةُ التُّنْجِجِ مِنْ نُعْمِ ^(٧)

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحترى ٣٤١ ، ١ / ٢٩٥

(٣) م « من الشراب شراب »

(٤) ق « أخشى عتابك »

(٥) ديوان البحترى ٢٠١٤ / ٢ ، ١٩٠ « رجعت »

(٦) ق « تنجز ما وأت » والوإى : الوعد

(٧) م ، ق « ما فى لا شفاء »

وقال :

بِنَفْسِي مَنْ تَنَأَى ، وَيَدْنُو أَدْكَارُهَا وَيَبْذُلُ عَنْهَا طَيْفُهَا وَتَمَانِعُ^(١)
خَلِيلِي : أَبْلَانِي هَوَى مُتَلَوِّنْ لَهُ شِيْمَةُ تَابِي ، وَأُخْرَى تُطَاوِعُ

وهذا - لعمري - حسن . وأحسن منه قول « كثير » لأنه تمني الحال التي

وصفها البحتري فقال :

وَاللَّهِ مَا يَدْرِي غَرِيمٌ لَوَيْتُهُ أَيْشَدُّ إِنْ لَافَاكِ أَمْ يَتَضَرَّعُ^(٢)

بَخِلْتِ فَكَانَ الْبَخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً فَلَيْتَكَ ذُلُونَيْنِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ

وقال [البحتري] (٣) :

مَاذَا عَلَى الْآيَامِ لَوْ سَمَحْتَ لَنَا بِشَوَاءِ أَيَّامٍ لَدَيْكَ قَلَائِلِ؟^(٤)

فَأَوَيْتِ لِلْقَلْبِ الْمَعْنَى الْمُتَبَلَّى بِهِوَكَ ، وَالْبَدَنِ الضَّئِيلِ النَّاحِلِ

وقال [أيضاً] :

فِدَاؤُكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي فَإِنَّهُ حُشَاشَةُ حُبٍّ فِي نُحُولِ عِظَامِ^(٥)

صِلِي مُغْرَمًا قَدْ وَاتَرَ الشَّوْقُ دَمْعَهُ سَجَامًا عَلَى الْخَدَّيْنِ بَعْدَ سَجَامِ^(٦)

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

(١) ديوان البحتري ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢

(٢) في م ، ق « لافاني » ولكن الحديث عن « عزة » ويروى : « كريم مطلته أيشد إن قاضاك » كما في المحاسن والمساوي للبيهقي ٣٥١/١ وانظر الأغاني ١٧٤/١٤ والموضح ١٦٩ .

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٢٩ ، ٣ / ١٦٤٧

(٥) ديوانه ١٠ « حشاشة جسم ... عظامي » وفي ق « فإبها » ، وفي ٣ / ٢٠٠٠ : « حشاشة نفس »

(٦) م « قد أوتر »

وقال :

وَدِدْتُ وَهَلَ نَفْسُ أَمْرِي بِمُلِيمَةٍ إِذَا هِيَ لَمْ تُعْطِ الْهَوَى مِنْ وَدَادِهَا^(١)
لَوْ أَنَّ سُلَيْمِي أَسْمَحَتْ ، أَوْلُو أَنَّهُ أُعِيرَ فَوَادِي سَلْوَةٍ مِنْ فَوَادِهَا^(٢)

وقال :

أَيَّنَ الْغَزَالُ الْمُسْتَعِيرُ مِنَ النَّقَا كَفَلًا ، مِنْ نَوْرِ الْأَقَاحِي مَبَسِمًا^(٣)
ظَلِمْتُ جَوَانِحُنَا إِلَيْهِ وَرَبُّهَا فِي ذَلِكَ اللَّعَسِ الْمُمَنِّعِ وَاللَّمَى^(٤)
مُتَعَتِّبٌ فِي حَيْثُ لَا مُتَعَتِّبٌ إِنْ لَمْ يَجِدْ جُرْمًا عَلَى تَجَرَّمَا^(٥)
أَلِفَ الصُّدُودَ فَلَوْ يَمُرُّ خَيَالُهُ بِالصَّبِّ فِي سِنَةِ الْكَرَى مَا سَلَمَا

وقال :

أَرَى ثِقَّةَ الرَّاجِي مُوَاصِلَةَ الْمَهَا تَكَاءَ دَهَا ، أَوْ آدَهَا شَكُّ خَائِفِ^(٦)
كَأَنَّ الَّذِي يَكْذِبُنْهُ نَحْبُ نَازِرٍ يُقَضِّينَ مِنْهُ ، أَوْ أَلِيَّةُ حَالِفِ^(٧)
فَلَيْتَ لُبَانَاتِ الْمُحِبِّ رُدْدَنَ فِي جَوَانِحِهِ ، أَوْ كُنَّ عِنْدَ مُسَاعِفِ
وهذا حسن جدًا .

وقال :

إِذَا قُرْبَتْ فَهَجَرْتُ مِنْكِ يُبْعِدُنِي وَإِنْ بَعْدَتْ فَوَصَلْتُ مِنْكِ يُدْنِي^(٨)

(١) ديوان البحري ١٠٩ ، ٢ ، ٦٧٤ دار المعارف « بملوية تعط المني »

(٢) في الديوان « سليمي أسجحت »

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ ، ١٩٥٨ - ١٩٥٩

(٤) ق « تظمي جوانحنا » وفي الديوان : « مرأشفنا إليه »

(٥) م « لا متعب »

(٦) ديوانه ٣٧٤ ، ١٣٩٠ وفي م « الراجي موافقة »

(٧) في الديوان « كأن النوى » وفي ص م « تحت »

(٨) ديوانه ٤١٧ ، ٤ ، ٢٢٤٧

تَصَرَّمَ الدَّهْرُ لَا جُودَ فَيُطْمَعُنِي فِيمَا لَدَيْكَ . وَلَا يَأْسُ فَيُسَلِّبُنِي
فَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِضْيَانِ قَلْبِكَ لِي يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِبُنِي^(١)

وهذا إحسانه المشهور . ويقال : إنه أخذه من قول « الخليل » :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ
وما أحسن ما قال بَشَّار :

وَإِذَا قُلْنَا لَهَا : جُودِي لَنَا خَرَجَتْ بِالصَّمْتِ مِنْ لَا ، وَنَعَمْ^(٢)

* * *

وقال أبو تمام في النائل النزر القليل ما هو فوق كل حسن وحلاوة :
تَأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ مَاءَ قَرَاخٍ يُمْدَقِ^(٣)
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهَتْ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَاةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ^(٤)

* * *

وقد تصرف البحتري في جملة معاني هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً .
ومن ذلك قوله :

ظَلَمْتَنِي تَجَنُّبًا وَصُدُودًا غَيْرَ مُرْتَاعَةِ الْجَنَانِ لِظُلْمِي^(٥)

(١) م « عدا إذا » وكذلك في الديوان

(٢) الأغاني ٢ / ٢٦ « وإذا قلت » وكذلك هي في ق

(٣) ديوان أبي تمام ٢١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٠٧ « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا فيلا ممنوعاً غير خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصاق الوصال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبها أبداً معذباً من جهتها ٢٢ وفي م ، ق « تمتق »

(٤) أى نيلها عندي قليل كأنه عائر من ريح فاة المسك . وروى التبريزي عن الممرى : « نزرا كما استنكحت » أى عطاء نزراً لا غناء فيه كالرائحة التى تقلت من فاة مسك لم تفتت ، أى بعد نائلها ، كشمة من هذه الفاة ، ولا تغنى هذه الشمة عنا ، فذلك نائلها »

(٥) ديوان البحتري ٣١٧ ، ١٩٤٠ / ٢

وَيَسِيرٌ عِنْدَ الْمَتُولِ إِذَا مَا
أَجِدُ النَّارَ تُسْتَعَارُ مِنَ النَّاسِ
وقوله :

لَوِشْتُ عُذَّتْ إِلَى التَّنَاصُفِ فِي الْهَوَى
أَحْنُو عَلَيْكَ فِي فُؤَادِي لَوَعَةٌ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غَيْرِكَ رَدَّنِي
وَأَعِزُّ ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقِي
وقوله :

وَبِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ
تَزَوَّدْتُ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَجِدْ بِهَا
وَمَا كَانَ حَظُّ الْعَيْنِ فِي ذَاكَ مَذْهَبِي
أَعِيدُكَ أَنْ تُمْنَى بِشَكْوَى صَبَابَةٍ
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوَى
وقوله :

نَظَرْتُ ، وَكَمْ نَظَرْتُ فَأَقْصَدْتَنِي
فُجَاءَاتُ الْبُلُورِ عَلَى الْغُصُونِ^(٨)

(١) م « عند القتيل . . آثمت فيه »

(٢) ديوان البحري ٢٣ ، ١٥٩٩/٣

(٣) في الديوان « أحنو إليك »

(٤) م « وله عليك »

(٥) ديوانه ٤٠٢ ، ١ / ١٠٤ دار المعارف

(٦) في الديوان « أكسبتنا »

(٧) م « أن تعرف » في الديوان « ولو نفعتنا منك »

(٨) ديوان البحري ١٣٨ ، ٢٢٦٦/٤ وفي م « وكم من نظرت »

وَرُبَّةَ نَظْرَةٍ أَقْلَعْتُ عَنْهَا بِسُكْرِ فِي التَّصَابِي ، أَوْ جُنُونٍ
فِي اللَّهِ مَا تَلَقَى الْقُلُوبُ إِلَّا هَوَائِمُ مِنْ جَنَابَاتِ الْعُيُونِ
وَقَدْ يَتَسَّ الْعَوَاذِلُ مِنْ فُؤَادٍ لَجُوجٍ فِي غَوَايَتِهِ حَرُونِ
وقوله :

قَالَ بَطْلًا ، وَأَقَالَ الرَّأْيَ مَنْ لَمْ يَقُلْ : إِنَّ الْمَنَابِيَا فِي الْحَدَقِ^(١)
إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قَدْ ثَوَى لِحِمَامٍ فَاحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشَقَ
يَمْلَأُ الْوَأَشَى جَنَانِي دُعْرًا وَيُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ^(٢)
حُبَّهَا أَوْ فَرَقًا مِنْ هَجَرِهَا وَصَرِيحُ الذَّلِّ حُبٌّ أَوْ فَرَقٌ
قَوْلُهُ : «يُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ» - مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَانِي وَأَحْلَاهَا ،
وَأَجْرَاهَا فِي عَادَاتِ كُلِّ عَاشِقٍ - فَأَرَادَ يَعْنِي اخْتِلَاقَ الْحَدِيثِ ، وَهُوَ
اخْتِرَاصُهُ أَيْ يُنْصَبِنِي ، وَيَحْزَنُنِي ؛ لَشِدَّةِ حُبِّي لَهَا ، وَخَوْفِي مِنْ دَجَرِهَا .
وَالْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ : «أَوْ» فِي الْبَيْتِ مَقْحَمَةٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ
حُبَّهَا وَفَرَقَ هَجَرِهَا ، وَصَرِيحُ الذَّلِّ حُبٌّ وَفَرَقٌ ، وَلَمْ يَرِدْ بِإِدْخَالِ الْأَلْفِ أَحَدُهُمَا
وَقَالَ «آخِر» فِي نَحْوِ هَذَا :

تُكَذِّبُنِي فِي الْحَبِّ سَلَمَى ، وَلَيْسَ لِي شُهُودٌ ، وَأَنْتِ بِالشُّهُودِ عَلَى صِدْقِي
سِوَى ذَوْبِ جِسْمِي ، وَأَنْتِ كَاثِبٌ بِشَاشَتِي وَرَوْعَةٍ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ

[قَوْلُهُ : «رَوْعَةٍ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ»]^(٣) نَحْوُ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

• وَيُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ •

(١) ديوان البحتري ٣٢٢ ، ١٤٧٢

(٢) ق «الوَأَشَى حَيَاتِي»

(٣) الزيادة من ق

وهذا البيت حسن التقسيم .

كان بعض شيوخ الأدب تعجبه^(١) التقسيمات في الشعر . وكان مما

يعجبه قول عباس بن الأحنف :

وَصَالُكُمْ مَجْرٌ . وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ . وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ^(٢)

ويقول : هذا أحسن من تَقْسِيمَاتِ إِقْلِيدِس .

وقال أبو العباس ثعلب : سمعت « سيد العلماء » يستحسنه . يعنى

ابن الأعرابي^(٣) .

ونحو هذا ما أنشده المبرد لأعرابي : وليس هو عندى من كلام

الأعراب ، وهو بكلام المولدين أشبه :

وَأَذْنُو فَتُقْصِيْنِي ، وَأَبْعُدُ طَالِبًا رِضَاهَا فَتَعْتَدُ التَّبَاعِدَ مِنْ ذَنْبِي^(٤)

وَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا . وَصَبْرِي يَسْرُّهَا وَتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِي . وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي^(٤)

(١) ق « وكان محمد بن موسى بن شاعر المنجم تعجبه »

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ٩٩

(٣) ق بعد ذلك تعليق أدرج في أصل الكتاب ، وهو : « وقال عبد السلام : أنشدني

أبو الحسن : عمر بن أبي عمر السنجري قال : روى لنا ابن طباطبا ، رضى الله عنه في آخر كتاب « عيار الشعر » - للبحرئى ، ولم أجده في شعر البحرئى -

وفى أربع منى حلت منك أربع فما أنا دار أيتها هاج لى كرى

أوجهك فى عيني أم الريق فى فى أم التلق فى سمى أم الحب فى قلبى ؟

ولكنهما فى عيار الشعر ١٢٨ لقائل غير معين . ونقلهما أبو هلال العسكري فى الصناعتين عنه

كذلك من غير نسبة . وهما غير منسوبين فى نهاية الأرب ٢ / ٣٣ وهما لابن الرومى فى المنتظم ٥ / ٦٦

(٤) هما فى ثلاثة آخر فى الكامل ١ / ٢٤٥

(٥) فى ق بعد هذا البيت « وهما زيادة بيت أنشده المبرد وهو :

فهل عندكم من حيلة تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

وهو أدون الأبيات الثلاثة »

وقول البحرى :

وَلِي هَفَوَاتٌ بَاعِثَاتٌ لِي الْجَوَى
كَأَنَّ الْعُيُونَ الْفَاتِنَاتِ تَعَاوَنَتْ
يُعْرِضُنِي مِنْ بَرَحِهِ لِلْمَتَالِفِ^(١)
عَلَى تِرَةٍ عِنْدَ الْعُيُونِ الدَّوَارِفِ^(٢)

وقوله :

وَإِذَا كَسَرْنَ جَفُونَهُنَّ نَظَرْنَ مِنْ
تَظْمًا إِلَيْهِنَّ الْقُلُوبُ ، وَقَدْ تَرَى
مَرْضَى - يَشْفُكَ سِحْرُهُنَّ - صِحَاحِ^(٣)
فِيهِنَّ رَى الْحَائِمِ الْمُلْتَاحِ^(٤)
وَالْحُبُّ سَقَمٌ لِلصَّحِيحِ إِذَا غَلَا
فِيهِ الْمَحَبُّ ، وَنَشْوَةُ لِلصَّاحِي^(٥)
بَكَرَ الْعَنُوقُ فَكَفَّ غَرْبَ بَطَالَتِي
وَبَدَا الْمَشِيبُ فَرَدَّ غَرْبَ جِمَاحِي
قَدْ آتَى أَنْ أَعْصَى الْقَوَايَةَ إِذْ نَصَا
صَبِغُ الشَّبَابِ ، وَأَنْ أُطِيعَ الْأَلاحِي

وقوله .

جُنُونِي إِلَى سَعْدِي ، وَسُغْدِي خَلِيَّةَ
إِذْ لَبِستُ كَانَتْ جَمَالَ لِبَاسِهَا
وَصَفْوَى إِلَى سَعْدِي ، وَسُغْدِي تَجَنَّبُ^(٦)
وَتَسْلُبُ قَلْبَ الْمُجْتَلِي حِينَ تُسْلَبُ^(٧)
وَكَمْ سَتَرَتْ حُبًّا عَنِ النَّاسِ زَيْنَبُ^(٨)

(١) ديوان البحرى ٣٧٤ ، ٢ / ١٣٩٠

(٢) م « العيون الروادف »

(٣) ديوانه طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف

(٤) ق والديوان « الهائم الملتاح »

(٥) ق والديوان « سقم للحبيب »

(٦) ديوانه ٦٠٧ ، ١ / ١٣٤ « جنون في ليل ولى خلية » وصغوى في ليل رلى »

(٧) م « تسلب حب » وفي الديوان « لب »

(٨) م « على الناس »

غَضَارَةُ دُنْيَا شَاكَلَتْ بِفُنُونِهَا مُعَاقِبَةَ الدُّنْيَا الَّتِي تَتَقَلَّبُ
وَجَنَّةُ خُلْدٍ عَذَّبَتْنا بِدِلْهَاجِهَا وَمَا خِلْتُ أَنَا فِي الْجَنَانِ نَعْدَبُ^(١)

وهذا البيت يزيد على إحسان كل محسن في الغزل^(٢)

ولا خفاء بفضل «أبي عبادة» على «أبي تمام» في هذا الباب .

(١) في الديوان « بالحنان »

(٢) في ق بعد ذلك « والرواية : وجنة دنيا . ولا خفاء في تفضيل ... »

ما قيل فى ائتلاف المحبين

قال البحترى :

وَجَدْتِ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمَصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ^(١)

وهذا حسن جداً ، وأظنه أخذه من قول «بشار» :

وَإِذْ نَلْتَقِي خَلْفَ الْعَيْنِ كَأَنَّنَا سُلاَفُ عُقَارٍ بِالنَّقَاحِ مَشُوبُ^(٢)

أخذه أيضاً من قول «ابن أبى عيينة»^(٣) فقال :

ذَاكَ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِرَاجَا نِ كَأَصْفَى خَمَرٍ بِأَعْدَبِ مَاءِ^(٤)

وقول البحترى أيضاً أجود من البيتين . وأخذه «عباس بن الأحنف» فقال :

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ يُمْنَاهَا مُعْطَفَةٌ عَلَى فَوَادَى ، وَيَسْرَهَا عَلَى رَاسِ^(٥)

وَقَوْلُهَا : لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي أَوْلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالاً لِعَبَّاسٍ

أَوْلَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا ، وَكَذْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ فَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسِ

(١) ديوان البحترى ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ٢ / ٦٤

(٢) ديوان بشار ١ / ١٨٥ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٣

(٣) م «غنية»

(٤) أمالى المرتضى ٢ / ٦٤ فى الأغاني ١٧ / ١٣ بعد البيت : «قال محمد بن يزيد : وقد أخذ

المعنى غيره منه ، ولم يسمه وهو البحترى فقال :

جعلت حبك من قلبى بمنزلة هى المصافاة بين الماء والراح

(٥) ديوان العباس بن الأحنف ١٥٦ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٤

وَأَخَذَهُ «عَلَى بَنِ الْجَهْمِ» ، وجعله في العِنَاقِ [فقال] ^(١) :
 وَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ كَأَنَّنا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ ^(٢)
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَحْلَى ، وَالْطَفُ مَعْنَى - قَوْلِ «بَشَّار» :
 لَقَدْ كَانَ مَا بَيَّنَّنِي زَمَانًا وَبَيَّنَّنَهَا كَمَا بَيَّنَّ رِيحَ الْمُسْلِكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ ^(٣)
 وَقَالَ «عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ» فِي الْعِنَاقِ وَالِاخْتِلَاطِ :
 كَأَنَّنِي عَانَقْتُ رِيحَ حَانَةٍ تَنْفَسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ ^(٤)
 فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ
 وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ «الْعَبَّاسِ» الْأَوَّلِينَ .

وقال البحرى :
 وَلَمْ أَزْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِنَا قِ لَفِّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيًّا ^(٥)
 وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون إن هذا البيت أجود ما قيل في
 العناق ؛ لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ . وأحسن نظم .
 ومثله قول «آخر» وجدته في الأناشيد . ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه :
 وَضَمَّ لَا يُنْهَنُهُ . وَأَعْتِنَاقُ كَمَا أَلْتَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ ^(٦)

(١) الزيادة من ق .

(٢) ديوان على بن الجهم ١٤٤ وحماة ابن الشجرى ١٩٦ وأمال المرتضى ٦٣ / ٢

(٣) ديوان بشار ٣١٤ / ٢ وأمال المرتضى ٦٤ / ٢

(٤) نقلهما المرتضى في أماليه ٦٢ / ٢ وهما في حماة ابن الشجرى ١٩٦ والمختار من شعر بشار ٢٩٥ ونسبا لابن المعتز في أمال النقال ١ / ٢٢٦ وفي م «كأننى علقى»

(٥) ديوان البحرى ٩٢ ، ١٥٠ / ١ «وأنس ليلتنا»

(٦) نقله المرتضى من هنا ٦٣ / ٢ ومن عجب أنه قدم له بقوله : «ولآخر فى مثل هذا المعنى ،

ولسنا ندرى هل سبق البحرى أو تأخر عنه !!

وبيت «البحترى» أجود سبكاً ، وأحلى لفظاً ؛ لقوله : «لَفَّ الصَّبَا» ؛
لأن القضيبي إنما يلتف بالقضيبي بالريح .

وقد قال «بشار» في نحو هذا ، وأظن هذين منه أخذاً :
إِنِّى أَشْتَهَى لِقَاءَكَ وَاللَّهِ فَمَاذَا عَلَيْكَ مِنْ لُقْيَانِى^(١)
قَدْ تَلَفُ الرِّيحُ غُصْنًا مِنَ الْبَا نِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ
وقال «على بن الجهم» في وكيد الالتزام :

سَقَى اللَّهَ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجَعَةٍ وَأَذْنَى فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَذَّبٍ^(٢)
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةٌ مِنْ الرَّاحِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ
وهذا أيضاً حسن لفظاً ومعنى .

وأحسن ما قيل فى المضاجعة قول «امرى القيس» :

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُعْتَ مَكْحُولًا مِنَ الْعَيْنِ أَتْلَعَا^(٣)
وَجَدَكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعَا
فَبِتْنَا نَذُودُ الْوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّنَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا
تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتُدْنَى عَلَى السَّابِرِ الْمُضْلَعَا
إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا
وهذا لا شيء أجود منه ، ولا أحلى ، ولا أبرع ؛ وقد أخبر بالامر على ما كان .

(١) أمالى المرتضى ٢ / ٦٣ « عليك أن تلقانى » .

(٢) ديوان على بن الجهم ٨٥ وحاسة ابن الشجرى ١٩٦ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٢ والمختار من

شعر بشار ٢٩٥

(٣) حاسة ابن الشجرى ١٩٥ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٢ وفى ديوانه ١١٣ وق « مكحول المدامع »

وقد أحسن أيضاً «عبد بنى الحشاحس» في قوله :
 وَبِتَنَّا وَسَادَاتَنَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقَفِ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا^(١)
 فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بَالِيَا^(٢)

ولست أعرف لأبي تمام في هذا الباب شيئاً .

(١) ديوان سحيم ١٩ - ٢٠ وبينهما أبيات . وهو في اللسان ٣ / ١٥٢ وفي م « وسادتنا على »
 والعلاجاة . شجرة اختلف في وصفها . والحقف : ما اعوج من الرمل واستطال .
 (٢) ديوان المعاني ١ / ٢٦٠ واللسان ٣ / ٢٠٧ ، وأنهج البرد : أى أخذ في البلى .

باب فى نوح الحمام

قال أبو تمام :

أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الإِظْلَامُ^(١)
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا ؛ فَإِنَّ بُكَاءَهَا ضَحِكُ ، وَإِنَّ بُكَاءَكَ أَسْغِرَامُ
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِثِهِنَّ فَلَيْتَهُنَّ حِمَامُ^(٢)

قوله : « أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » . أى وهت . وانحل نظامها .

وقوله : « حِينَ تَضَعُضُ الإِظْلَامُ » : أى حين تَقْوُضُ إِلَّا أَقْلَهُ .

وَالنَّشِيجُ : البكاء .

وههنا معارضات عورض بها أبو تمام فى هذه الأبيات . وهى أن قيل :

قوله : « أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » إنكار على نفسه البكاء من أجل
دعاء حمامة ، كأنه يُخَسِّسُ^(٣) أمرها ، فما وجه قوله : « فَلَيْتَهُنَّ حِمَامُ ؟ »
فسهّل أمرها أولاً . ثم أعظمه هذا التعظيم آخرًا . هذا عين المُناقضة .
ثم من ذا رآه قتله بكاء الحمام^(٤) حتى يجعلهن حِمَامًا ؟ وزعم أن بكاءها
ضَحِكُ . وَالْحَمَامُ إنما ينوح لفقد إلفه وفراخه فيطيل الترنُّم والنَّوح ،
فكيف يكون ذلك ضَحِكًا أَوْ كَالضَّحِكِ ؟

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣ / ١٥٢ والزهرة ٢٤٢ وىروى « أتحدت »

و « أتضعضت » . . تصمصع « والتصمصع : التفرق والاضطراب

(٢) الصناعتين ١١٨ وعيون الأخبار ١ / ١٥٠

(٣) م « يحسن »

(٤) م « حمامة »

فقيل للمعارضين : وأى دليل في [قوله] ^(١) : « أتضعضعت عبرات عينك أن ^(٢) دعت ورقاء » - على أنه خَسَس ^(٣) أمر الورقاء وهي الحمامة ، وحقره حتى يكون قوله : فإنهن ^(٤) حمام - نقضاً لهذا المعنى .

فقالوا : هذا مذهب من مذاهب العرب معروف في تهوين أمر الحمامة ، وتعنيف من يبكي لبكاؤها . ومن ذلك قول « البحرى بن عزاfer الحرشى » :
 إِنْ غَرَّدَتْ يَوْمًا بِوَادِ حَمَامَةٍ بَكَيتَ ، وَلَمْ يَغْذُرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ
 فقوله : « إِنْ غَرَّدَتْ حمامةٌ بكيت » - تهوين لأمر الحمامة في تغريدها ، أى ذلك لا يوجب البكاء . وهذه الألف تسمى ألف التوبيخ .

ونحوه قول « ابن الدُمَيْنَة » :

أَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءُ فِي رَوْدَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غُصْنِ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ ^(٥)
 بكيت كما يبكي الوليدُ ، وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا ، وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 فقال : « بكيت كما يبكي الوليد » يعنى الصَّبِي .

ومثله قول « الأَحوص » :

أَنَّ نَادَى هَدِيدًا يَوْمَ فَلَجٍ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي فَنَنِ حَمَامٍ
 ظَلَلَتْ كَانَ دَمْعَكَ دُرٌّ سِلْكٍ هَوَى نَسَقًا ، وَأَسْلَمَهُ النَّظَامُ

ونحوه قول « آخر » من بنى قُشَيْر - وأنشده أبو حاتم :

أَتَجَزَعُ أَنْ وَرُقُ الْحَمَامِ تَغَرَّدَا بِكَي شَجْوَه . أَوْ جَاوَبَ الْيَوْمَ هَذَا ^(٦)

(١) الزيادة من ق

(٢) م « أى »

(٣) ق « حسن »

(٥) الأغاني ١٥ / ١٥٦ والحيوان ٣ / ٣٨٠ والزهرة ٢٤١ والأول في الكامل ٢ / ٥٠٦ وديوان

ابن الدمينه ٨٥

(٦) م « أو جادت »

ومثله في أشعارهم [كثير] ^(١) موجود .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو تمام في قوله : « أتضعضعت عبرات عينك »
كأنه يوبّخ نفسه على البكاء من أجل بكاء حمامة . ولما قال : « فإنهن
حمام » ، كانت هذه مناقضة ظاهرة .

وهذه ^(٢) - لعمري - معارضة . غير أن أبا تمام قد يجوز أن لا يكون
اعتمد تهوين أمر الحمامة كما اعتمد هؤلاء الشعراء ، وأن يكون توبيخه ^(٣)
لنفسه ليس على هذا الوجه ، بل إنما أراد : لا تبك لبكاء الحمام ؛ فإنك
تسمعه دائماً يُغرّد ، فإن كنت كلماً سمعته بكيتَ وحزنت - طالَ بكأؤك
وحزُنك . وذلك كما قال الآخر ^(٤) :

أَأَنْ زُمَّ أَجْمَالُ ، وفارقَ جِيرةً وصاحَ غرابُ البَيْنِ - أَنْتَ حَزِينُ؟

وقد عيبَ هذا الشاعر في هذا ^(٥) المعنى ، وقيل : إذا كان هذا لا يحزن
فأى شيء يحزن ؟

ولا شك في أن ظاهر هذا القول قبيح ؛ لمخالفته ما في عادات الناس .
إلا أني أظن هذا الشاعر ما ذهب في هذا القول إلى تهوين هذه الأشياء ،
وتحقيقها ، وإنما أراد أن مثل هذا يقع دائماً ، فإن ^(٦) كان كلماً شاهدته ورأيتَه
حزنت - طالَ حزُنك .

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذا »

(٣) م « يكون توبيخه »

(٤) م « لما قال » وفي ق « قال كثير » والبيت لكثير في الموشى ١٠٦

(٥) ق « بهذا » وقد عابته بذلك : عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، كما في الموضح ١٦٠ - ١٦١

(٦) ق « وإن كنت »

وقد قال «مُرَّةُ النَّهْدِيِّ» :

أَنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنِ وَادٍ حَمَامَةً تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءَ عَيْنَيْكَ غَاسِقُ^(١)
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ بَلِيلٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْكَ إِلَّا فُ مَفَارِقُ
وَلَمْ تَرِ مَشْغُوفًا بِشَيْءٍ تَحِبُّهُ . سِوَاكَ وَلَمْ يَعْتَشِقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ^(٢)

فقال : «أَنْ سَجَعْتُ» يُوَبِّخُ نَفْسَهُ عَلَى الْبُكَاءِ لِبُكَاءِ حَمَامَةٍ . وَلَمْ
يَذْهَبْ فِي ذَلِكَ إِلَى تَخْصِيسِ أَمْرِهَا ، بَلْ إِلَى مَا قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ [قوله] ^(٣) : «كَأَنَّكَ
لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ» . أَيْ قَدْ حَزَنْتَ لِذَلِكَ^(٤) كَثِيرًا ، وَبَلَيْتَ لِلْحُزْنِ عَلَى
مَفَارِقَةِ الْإِلْفِ دَائِمًا ، وَرَأَيْتَ مَنْ حَالُهُ كَحَالِكَ أَبَدًا ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَقْصُرَ .
فكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَبْيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ جَائِزٌ أَنْ لَا يَكُونُوا هَوَّنُوا أَمْرَ
الْحَمَامَةِ ، إِنْ كَانُوا اعْتَمَدُوهُ ، عَلَى أَنَّهُ هَيْنٌ عِنْدَهُمْ وَعَلَى^(٥) الْحَقِيقَةِ ، إِنَّمَا ذَهَبُوا
فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرْدَعُوا نَفْسَهُمْ عَنِ الْبُكَاءِ ، فَغَيْرُ مَنْكَرٍ مِمَّنْ أَرَادَ أَنْ يَرْدَعَ
نَفْسَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْ يُهَوِّنَ السَّبَبَ الْجَالِبَ لِذَلِكَ^(٦) الشَّيْءَ وَيُحَقِّقَهُ ، وَإِنْ
كَانَ عَظِيمًا .

غَيْرَ أَنْ أَبَا تَمَامٍ أَوْقَعَ التَّوْبِيخَ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا فَعَلُوا ، وَذَهَبُوا إِلَى تَهْوِينِ
أَمْرِ الْحَمَامَةِ ، وَذَهَبَ هُوَ إِلَى تَعْظِيمِهِ فِي قَوْلِهِ : «فَإِنَّهُمْ جِمَامٌ» . فَوَافَقَهُمْ
فِي التَّوْبِيخِ ، وَخَالَفَهُمْ فِي الْمَعْنَى ، كَقَائِلِ قَالَ لِرَجُلٍ : أَمَثَلُكَ يَسَامِي عَمْرًا ؟

(١) م «عاشق» وذكر القائل أنه اللوام بن عقبة ١ / ١٣١ وفي حساسة ابن الشجري ١٧٢ للصمة
ابن عبد الله القشيري ، ومن غير نسبة في أمالي البيهقي ٥٠

(٢) م ، ق «لعشقتك»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ق «أى قد سمعت ذلك كثيراً»

(٥) ق «عل»

(٦) م «إلى ذلك»

ويقول له قائل آخر كهذا القول سواء ، ويكون أحدهما مُصَغَّرًا [له] ^(١)
عن مُسَامَاةَ عمرو ، والآخر مُكَبَّرًا معظماً ، فيستويان في اللفظ . ويختلفان
في المعنى .

وقد تقدم الناس أبا تمام في مثل قوله : «فإنهن حِمَامٌ» ، وقد ذكروا
أن تَغْرِيدَ الحمام يُبْلَى ، ويُمِيت ، وَيَقْتُل . وهو المذهب الأعم الأكثر ،
فمن ذلك قول «نُصَيْب» :

مَحَلَّةٌ طَوْقٍ كَانَ مِنْ غَيْرِ شَرِيَةٍ بِمَالٍ ، وَلَمْ تَغْرَمْ لَهُ جُعَلَ دِرْهَمِ
أَمُوتُ لَتَبْكَاها أَسَى إِنَّ عَوْلَتِي وَوَجَدِي بِسُعْدَى شَجْوَهُ غَيْرُ مُنْجِمِ ^(٢)

وقال [آخر] ^(٣) :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللّوَى عُذْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصَوَاتِكُنَّ حَزِينُ ^(٤)
فَعُذْنَ فَلَمَّا عُذْنَ كِدْنَ يُمْتَنِنِي وَكَدْتُ بِأَخْرَانِي لَهُنَّ أُبِينُ

[وقال آخر :

وهِيجَتْنِي - فَأَهْتَجْتُ لِلشَّوْقِ وَالصَّبَا - مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ عَالٍ رَنِينَهَا
تَعَمْتُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ صَبَابَةً إِذَا مَا دَعَتْ وَهْنًا وَغَنَتْ غُنُونَهَا] ^(٥)

(١) م «مصدأ عن» .

(٢) أُمَالُ المَرْتَضَى ١ / ٣٣٠ «لمبكاها أَسَى» ومنجم : مقلع .

(٣) الزيادة من ق .

(٤) الأُمَالُ ١ / ١٣٢ والزُهْرَةُ ٢٤٠ من غيرة نسيه ، وفي نهاية الأرب ٢ / ٢٦٣ لمجنون ليل .

وتنسب لعبد الله بن الدمينه كما في ديوانه ٣٩ ، ٢٢٤

(٥) الزيادة من ق وفيها «عنونها» والغنون : الأصوات .

وقال [آخر] :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ مِنْ غِيْظَةِ اللَّوَى رِدَى الْمَاءِ لَا تُؤْخِذْ عَلَيْكَ الْكَظَائِمُ^(١)
 حَمَائِمُ قَدْ أَبْلَيْتَنِي ، وَقَتَلَنِي كَانَ لَمْ يَهْمُ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ هَائِمُ
 وذكر هذا أنهم^(٢) أَبْلَيْتَنِي ، وقتلته ، فما وجه الإنكار على أبي تمام قوله :
 « فإِنَّهُمْ حَمَامٌ » ؟

فإن قيل : إنما أراد هولاء الشعراء إِمَاتَةَ الحب ، وقتل الحب الذي هو
 التذليل والتَّيْمِيمُ ، ولم يريدوا القتل الذي هو الإيتان على النفس ، ولا
 الموت الْوَجِيَّ [والحمام]^(٣) ليس من هذا في شيء ؛ لَأَنَّهُ قَدَرُ الْمَوْتِ الْمَقْدُورِ ،
 وقضائِهِ الْمَحْتُمِ . يقال : قد حُمَّ الْأَمْرُ إِذَا قُضِيَ وَقَدَّرَ . قال « الرَّاعِي » :
 « وَمَا حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقَدَّرُ^(٤) » .

قيل : إذا استعمل الموت على المجاز فقضاء الموت ، وقدره أيضاً يستعمل
 على المجاز ؛ لَأَنَّهُ إِذَا قُلْتَ عَلَى الْمَجَازِ : فِي هَذَا الْأَمْرِ إِذَا ارْتَكَبْتَهُ قَتَلِي ،
 أَوْ مَوْتِي - قُلْتَ أَيْضاً عَلَى الْمَجَازِ : فِي هَذَا الْأَمْرِ حِمَامِي . وقد ذَكَرَ الْحَمَامُ
 عَلَى الْوَجْهِ كَمَا ذَكَرَ الْمَوْتَ وَالْقَتْلَ . فقال [الفزاري .
 « وَأَوْرَدَنِي يَوْمَ الْعَذِيبِ حِمَامِي » .

ولم يمت يوم العذيب . ومثله كثير موجود [^(٥)] .

وأما إنكارهم قوله^(٦) : « فَإِنْ بَكَاءَهَا ضَحْكُ » . وقولهم : إن الحمامة

(١) الكظائم : في اللسان ١٥ / ٢٥ « وكل ما سد من مجرى ماء أو باب أو طريق : كظم »

(٢) م « أنه »

(٣) الزيادة من ق

(٤) صدره « تغير قوى ولا أضر » كما في اللسان ١٧ / ٦

(٥) الزيادة من ق

(٦) م « قوطم »

تغرد لفقد إلفها وفرخها ، وتكثر الذوح عليهما . فكيف يكون ذلك ضحكاً ؟
 فالجواب عن هذا : أن ذلك التفرّد بعينه قد يُسمع منها وإلفها معها ،
 وتفعله وهي في عُشّها مع فرخها . والمشاهدة لهذا أكثر وأعم . ويسمى ذلك
 التفرّد نوحاً ؛ ألا ترى إلى قول الشاعر :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْتِكِ إِفْلُكَ حَاضِرٌ وَغُضْنُكَ مَيَّادُ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟^(١)
 وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيُحُ
 ولهذا قال وَرَدُ بْنُ الْجَعْدِ :

أَحْتَأُ يَا حَمَامَةَ بَطْنٍ وَادٍ بِأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَصْدُقِينَا^(٢)
 غَلَبْتُكَ فِي الْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي أَوْاصِلُهُ ، وَأَنَّكَ تَهْجَعِينَا^(٣)
 وَأَيُّ إِنِّ بَكَيْتَ بِكَيْتَ حَقًّا وَأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَكْذِبِينَا^(٤)

فمن ههنا قال أبو تمام : « لَا تَنْشَجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بَكَاءَهَا ضَحِكٌ » . أى
 ليس هناك بكاء على الحقيقة ، ولا حزن على الصّحة ، وإنما يشجرك تغريدها
 لأن لها تلحيناً وترجيعاً كأنه صوت نائح ؛ ومن أجل ذلك أدعت الأعراب
 أن فرخ حمام كان على عهد نوح يقال له^(٥) الهديل - صاده بعض جوارح
 الطير . فيزعمون أنه ما من حمامة إلا وهي تبكي عليه . وهذا من خرافات
 الأعراب . وإنما قالوا ذلك لما رأوا الحمام على كل حال يغرد هذا التغريد

(١) البيت الأول في الكامل ٨٤٨ / ٣ لعرف بن محلم ونهاية الأرب ٢ / ٢٦٤ ، والثاني له في
 سبط اللؤلؤ ١ / ٣٧٢ وما في فوات الوفيات ٢ / ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٧ / ١٤٢ - ١٤٣ والأول غير
 منسوب في الزهرة ٢٤١ .

(٢) الأبيات في الزهرة ٢٤٢ لنهان البشمي ، وفيها : « بطن قو بهذا الوجد أنك تصدقينا » .

(٣) م « بالبكاء » .

(٤) م « وأنى وإن » وفي الزهرة :

وأنى أشتكى فأقول حقاً وإنك تشتكين فتكذبينا

(٥) م « لها » .

الشَّجِيَّ فسموه نوحاً وبكاءً [واحتراقاً] ^(١) واخترعوا له هذا الحديث ،
وذكروه في أشعارهم ^(٢) .

فمن ذلك قول الكميت :

وَمَا مِنْ تَهْتِفِينَ لَهُ بِنَصْرِ
بِأَقْرَبِ جَابَةِ لَكَ مِنْ هَدِيلٍ ^(٣)

وقال نَصِيب :

فَقُلْتُ: أَتَبْكِي ذَاتُ طَوْقٍ تَذَكَّرْتُ
أَيَّ أَوْدَى قَبْلَ تَبْعٍ .

وقال نصيب أيضاً :

هَتُوفُ الضُّحَى وَرَفَاءُ يَذْكُرُكَ الْهَوَى
وَقَوْلُهُ : شَجْوَهُ أَيَّ بِشَجْوِهِ .

وقال آخر :

أَيُّبُكِ هَدِيلًا بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى
عَلَى الطَّلَحِ قُمْرِي الْحَمَامِ الْمُغْرَدِ

وقال آخر :

إِنِّي تُذَكِّرُنِي سَلَمَى مُطَوَّقَةً
تَدْعُو هَدِيلًا عَلَى أَفْتَانِ أَغْصَانِ

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . ولا يكادون يخرجون في نوح الحمام
عن أن يجعلوه على الفرخ القديم ، أو على إلفٍ مُفَارِقٍ ؛ وذلك لرقّة

(١) الزيادة من ق .

(٢) ق « في أسماهم » .

(٣) البيت له في اللسان ٢١٦ / ١٤ « لنصر بأسرع » وفي م « من هذيل » .

(٤) ق « تنكرت هديلا » وقبل البيت في اللسان ٢١٥ / ١٤ « قال نصيب ، وقيل هو لأبي وجزة » .

تغريدها ، وشدة تشوق من يسمع ذلك إلى إلفه . قال رجل من بني نهشل :
أبيكى حمام الأييك من فقد إلفه [وأصبر عنها إننى لصبور^(١)]
وقال جميل [٢] :

أبيكى حمام الأييك من أجل إلفه وأصبر ، مالى عن بُشينة من صبر
وقال آخر :

ألا يا حمام الأييك مالك بأكياً أفارقت إلفاً ، أم جفاك حبيب ؟^(٣)
ومع هذا فقد جعلوا تغريدها أيضاً غناء ، لأن من الغناء ما يشجوك
فيحزنك ، ومنه ما يسرك فيطربك ؛ ولهذا ما جعلوا^(٤) نوح الحمام تفجعاً ،
وسموه غناء ، وبكاء في حال واحدة . ومنه قول الأخوص :

أهـاج لك الصبابة أن تغنت مطسوقة على فنن بكور
تفجع فوق غضن من أراك وشخت لبايتها فنن نصير
فجعل غناءها تفجعاً .

وقال على بن عُميرة الجرمي :

لقد هاج ذكرى أم عمرو حمامة بنعمان غنتنا غناء مرجعا
بكت ساق حر بالمرأويح ، وأنتحت بها الريح في وادٍ أراض وأمرعا^(٥)

فقال : غنتنا ، ثم قال : بكت ساق حر . فجعل غناءها بكاء .

(١) أمالي القالي ١ / ١٣١ والزهرة ٢٤١ .

(٢) الزيادة من ق .

(٣) الزهرة ٢٤١ .

(٤) ق « ويطربك والحكماء جعلوا » .

(٥) أراض : كثرت رياضه . وأمرع : أخصب وكثر عشب .

وقال آخر :

تَغَنَّتْ بِرَأْدٍ مِنْ ضَحَاهَا فَأَسْمَعَتْ أَخَا طَرْبٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَوَازِلُهُ^(١)
 إِذَا سَجَعَتْ كَرَّتْ بِجَرَسٍ كَأَنَّهُ وَتَحَوُّبُ ثُكْلَى زَايَلَتْ مِنْ تَزَايِلُهُ^(٢)
 فجعل بكاءها كَتَحَوُّبٍ^(٣) ثُكْلَى .

وقال النابغة :

بِكَاءِ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةً عَلَى فَنَنِ تُغْنِي^(٤)
 فجعلها باكية ، مفجَّعة ، مُغْنِيَّة .

وقال نَصِيب :

لَقَدْ كِدْتَ تَبْكِي أَنْ تَغْنَّتْ حَمَامَةٌ عَلَى رَأْدَةِ الْأَفْنَانِ نَاعِمَةِ الْأَصْلِ
 تَهْزُ بِهَا الرِّيحُ الضَّعِيفَةُ غُصْنَهَا مِرَارًا فَتُدْنِي فَرْعَهُ ثُمَّ تَسْتَعْلِي
 بِهَا تَفَةً لَا تَبْرَحُ الدَّهْرَ وَالْهَيَا عَلَى إِثْرِ إِلْفٍ ، أَوْ تَنُوحُ عَلَى شَكْلِ
 فقال : تغنت ، ثم جعلها والِهَا ، ونائحة على شكل ، أى على شبه ومثل .

وقال نَصِيب :

وَقَدْ هَاجَنِي لِلشُّوقِ نَوْحُ حَمَامَةٍ هَتُوفِ الضُّحَى هَاجَتْ حَمَامًا فَغَرَّدَا
 طَرُوبٍ غَدَّتْ مِنْ حَيْثُ بَانَتْ فَبَاكَرَتْ بِعَوَلَتِهَا غُصْنًا مِنَ الْأَثْلِ أَغْيَدَا
 تَغْنَّتْ عَلَيْهِ ذَاتُ شَجَرٍ مُرْنَةً بِصَوْتٍ يَشُوقُ الْمُسْتَهَامَ السُّصِيدَا
 فقال : هاجني نَوْحُ حمامة ، ثم قال : تَغْنَّتْ .

(١) الرأْد : رقيق الضحى . وقيل رأْد الضحى : ارتفاعه حين يملو النهار .

(٢) الجرس : الصوت . والتحوب : البكاء في جزع وصياح . وفى م « تحرب » وزايلت : فارقت .

(٣) م « كتحرب » .

(٤) ديوان النابغة ١٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٤٣ .

وقال نصيب أيضاً :

لعلك بالك أن تغت حمامة
من الورق يدعوها إلى شجوها الضحى
يميد بها غصن من الريح مائل
فتبكي ، وتبكي حين تذو الأصائل
فجعلها باكية مغبة .

ومثله قول ابن ميادة :

يذكرنيها أن تغت حمام
تجاوبن في حدّ النهار بعولة
لهنّ على خضر العضاة عويل
وأخرى توافي الشمس كلّ أصيل

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أدّم الأطباء به ترنم سندا
غنت على فني فأسعد شجوها
وبكاء نائحة به ترنم^(١)
ورق أجبن كما استجاب الماتم^(٢)

وقال رجل من بني نصر بن معاوية :

أهاج لك الأحزان نوح حمامة
فقال : نوح حمامة ، ثم قال : تغت .
تغت بليل في ذرى ناعم نصر
فقال : نوح حمامة ، ثم قال : تغت .

وقال سعد بن الجراح بن سفيان بن صامت الحارثي :

وحمامة أوفت بأخضر ناعم
عرف الحمام لها الغناء فرنمت
تبكي على غصن من الأغصان
فاعتادني نكس من الأحزان

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢١٧ :

وتخالها في رسمه تتيم
ورقاء ظلت في الغصون ترنم

أدّم الأطباء به تراعي خلفه
وثني صباة قلبه بعد البلى

(٢) في الديوان « غردت على » .

وقال حُذَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

فَأَوْفَتْ عَلَى غُضَنِ ضُحْيَا فَلَمْ تَدَعْ لِبَاكِئٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوِّمَا^(١)
تَغْنِي إِذَا غَنَّتْ بِأَجْزَاعٍ يَيْشِيَّةٍ أَوْ الرَّخْمِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَنْبِمَا^(٢)

وقال أَبُو شَيْبَةَ الْجَرْمِيُّ :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْغُضَنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ^(٣)
تَعَلَّتْ عَلَى الْأَفْنَانِ فِي تَلَعِ الضُّحَا فَهَاجَتْ حَزِينًا بِالْبُكَاءِ وَوَلَّتْ

وقال يَزِيدُ بْنُ عَمَّارِ الْهَلَالِيِّ :

وَذَاتَ فَرْخَيْنِ غَنَّتْ فِي مُسَوِّقَةٍ عَجَمَاءَ مُعَرِّبَةٍ مَا ضَرَّهَا الْعَجَمُ
بَكَتْ فَأَبْكَتْ مَرِيضَ الْقَلْبِ ذَا شَجَنِ وَلَيْسَ يَجْرِي لَهَا دَمْعٌ فَيَنْسَجِمُ

وقال أَبُو مَخْلَدٍ الرَّاسِبِيُّ :

وَلَكِنِّهَا لَمْ تُذَرِ دَمْعًا وَقَدْ بَكَتْ وَعَيْنُكَ تُذَرِي الدَّمَعَ سَحًّا شُؤْنُهَا

وقال رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَالِمِ بْنِ مَالِكِ الثَّقَفِيِّ :

وَيَوْمَ الدَّوَى أَجْرَى دُمُوعَكَ إِذْ دَعَتْ حَمَائِمُ فِي فَيْءِ الْأَرَاكِ صَوَائِحُ^(٤)
حَوَائِمُ مَا تُذَرِي الدُّمُوعَ إِذَا بَكَتْ وَهُنَّ بِأَسْرَارِ الدُّمُوعِ بَوَائِحُ

(١) ديوان حميد بن ثور ٢٦ والكمال ٣ / ٨٤٩ .

(٢) قيهما : « إذا شئت غنني بأجزاء أو النخل » وبينهم : واد ، كما في معجم البكري ٤ / ١٣٨٧ .

(٣) من غير نسبة في الزهرة ٢٤١ .

(٤) م « صوارع » .

وقال حَرْبُ بن الحَكَم بن المُنْذِر بن الجَارُود :

وَقَبْلِي أَبْكَى كُلَّ مَنْ كَانَ بَاكِياً هَتُوفُ البَوَاكِى والدَّيَارُ الْبَلَاغُ^(١)

بَوَاكِ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَوَائِحُ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ^(٢)

وقال على بن عَمْرَةَ الجَرْمِي :

هَتُوفُ الضُّحَى مَعْرُوفَةُ اللَّحْنِ لَمْ تَزَلْ تَقُودُ الْهَوَى مُهْدِي لَنَا وَنَقُودُهَا^(٣)

جَزُوعٌ . جَمُودُ الْعَيْنِ ، دَائِمَةُ الْبُكََا وَكَيْفَ بَكََا ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا

مَطْوَقَةٌ لَمْ يَضْرِبِ الْقَيْنُ فِضَّةً عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَعْطَلِ مِنَ الْحَلَى جِيدُهَا^(٤)

فهذا ما عليه العرب وغيرهم في أن الحمام وغيره من الطير لا دموع لها .

وقال رباح العُقَيْلِي . فجعل لها دموعاً . وذلك سهو منه أو جهل ، وأنشده

أبو حاتم :

وَمَا هَاجَ لِي إِلَّا عَشِيَّةً وَاسِطٍ حَمَائِمُ غَيْطَانِ الْأَرَاكِ وَقُوعُ

تَجَاوَيْنَ فِي أَطْلَالِ أَفْنَانٍ أَثْلَةٍ بِمَغْرُورِقَاتٍ فَيَضُھُنَّ دُمُوعُ^(٥)

وَإِنِّي لِأَرَعَى السَّرَّ مِنْ أُمِّ عَاصِمٍ وَلَسْتُ لِعَهْدٍ صَالِحٍ بِمُضِيعٍ

فَقَالَ : « بِمَغْرُورِقَاتٍ تَفِيضُ^(٦) مِنْهُنَّ الدَّمُوعُ » .

(١) في الزهرة من غير نسبة ٢٤٥ « كان ذا هوى » .

(٢) في الزهرة « وهن على الأطلال » .

(٣) لبعض الأعراب في الزهرة ٢٤٣ « صدوح الضحى هياجة اللحن . . قيود الهوى تهدي لها وتقودها » .

(٤) في الزهرة « لم تطرب العين فضة » !

(٥) م « فضهن » .

(٦) م « مفض » .

وقال آخر :

فَعُدْنَ بِمَرْقَارِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ حُمِيًّا ، أَوْ يَهِنَّ جُنُونًا^(١)
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكَيْنَ فَلَمْ تَقْطُرْ لَهُنَّ جُفُونًا

وهذا قد أفصح - كما ترى - بأن كل حمام رآه يبكي قبل هذه الحمام - رأى له دموعاً . هذا مخض الجهل ، وأظنه أراد أن يقول : فلم تر عيني ، قبلهن بواكياً . فقال حماماً كما قال جهنم بن خلف : فلم أرَ باكيةً مثلها [تُبكي] ودَمَعَتُهَا مَا تُرَى^(٢)

لم يرد باكية من الحمام ، ولا من الطير ، وإنما أراد باكية من الإنس مفعلة مثل هذه الحمامة . والله أعلم .

وهذا الفصل ليس من الاحتجاج لأبي تمام في أبياته . وقد كان يجوز أن أنعده ، وأقتصر^(٣) أيضاً على بعض الشواهد التي تقدمته ، ولكن وجدت ذلك متمماً للباب فأوردته .

وقال أبو تمام :

لَشِنْ أَرْقًا الدَّمْعَ الْعَيُونُ وَقَدْ جَرَى لَقَدْ رَوَيْتَ مِنْهُ خُلُودٌ نَوَاعِمُ^(٤)
كَمَا كَادَ يَنْسَى عَهْدَ ظَمِيَاءَ بِاللَّوَى وَلَكِنْ أَمَلْتُهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ^(٥)

(١) لابن الدمينه كما في ديوانه ٣٩ ، وهما من غير نسبة في أمالي القالي ١ / ١٣٢ .

(٢) البيت من قصيدة له في الحيوان ٣ / ١٦٩ والزيادة منه .

(٣) م « وأقتصره » .

(٤) ديوان أبي تمام ٢٨٥ وشرح التبريزي ٣ / ١٧٦ ويروى : « الدمع النيور » و « أعطش

الدمع العيون » ومعنى أرقاً : سكه ومنه من السيلان .

(٥) ويروى « لقد كاد » .

بَعَثَ الْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِماً فَقُلُّ فِي فؤَادِ رُغْنَهُ وَهُوَ هَائِماً
لَهَا نَغَمٌ لَيْسَتْ دُمُوعاً فَإِنْ جَرَتْ مَضَتْ حَيْثُ لَا تَمْضِي الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ^(١)

قوله : « لئن أَرَقَّا الدمعَ العيونُ وقد جَرَى » . يريد لئن قطعت العيون
التي ترقبني دمعي وقد جرى ، أَى في حال جريه - لقد رَوِيَتْ منه حدودُ
أحبابي .

وهذه حال مفهومة معلومة قلَّما يخلو منها [أحد] وهو أن يدور الدمعُ
في مآقه ، ويستحي أن يُرى باكياً ، فيكفُّ العبرة ويردّها .

ولم يوضح المعنى ويلخصه .

والجيد النادر ، واللفظ الحسن ، والعبارة الصحيحة - قولُ البحتري :
نَهَتْهُ رُقْبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعَلَّقَ : مَا يَغِيضُ ، وَمَا يَسِيلُ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جارٍ في عادات الناس ، مشاهدٌ معلوم ،
وما علمت أحداً نظمه نظم البحتري .

والجيد الحسن أيضاً لفظاً ومعنى - قوله^(٢) :

مَا لِي خَضِرٍ يَنْحَنَ فِي قُضْبِ الْخُضْ رِ عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ مَفْقُودٍ^(٣)
عَاطِلَاتٍ ، بَلْ خَالِيَاتٍ يُرَدُّ نَ الشَّجَا فِي قَلَائِدٍ وَعُقُودِ
زِدْنِي صَبُوءَ ، وَذَكَّرْنِي عَهْ دَا قَدِيماً مِنْ نَاقِضٍ لِلْعُودِ
مَا يُرِيدُ الْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ عَمِيدٍ صَبٌّ بِغَيْرِ عَمِيدِ
كُلَّمَا أُخْمِدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ هَجَنَهَا بِالْبُكَاءِ وَالْتَفَرِيدِ

(١) ويروى : « فَإِنْ عِلَتْ » .

(٢) م « وقوله » .

(٣) ديوان البحتري ٦٩٢ ، « مَا لِي خَضِرٍ يَنْحَنُ فِي الْقُضْبِ » .

قوله : « عاطلات بل حاليات » . يريد أطواق الحمام . هو لها [شبيهه] ^(١) بالحلي ، وهنّ منه عواطل .

وما قال أحد في هذا المعنى أحسن . ولا أبرع ، ولا أحلى من قول أمية ابن أبي الصلت في حمامة نوح :

فلما فرشوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقِدَ السَّخَابُ ^(٢)
تُورُّثُهُ إِذَا مَاتَتْ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهَا أَسْتِلَابُ

وقول البحتري : « يُرَدُّنَ الشَّجَا فِي قِلَانِدٍ وَعُقُودٍ » حسن ؛ لأنّ
الباكية الحزينة ذات الشجوا لا تلبس الحلي ، وإن كان عليها تَسَلَّبَتْ منه .
وأحسن منه قول الآخر :

مَطْوَقَةٌ تُبْكِي ، وَلَمْ أَرِ بَاكِياً بَدَا مَا بَدَا مِنْ شَجْوِهَا لَمْ تَسْلُبْ
أَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِي فَقَالَ :

لَوْ تَسْتَطِيعُ تَسَلَّبَتْ مِنْ طَوْفِهَا لَوْ كَانَ مَنْتَحَلًا مِنْ الْأَطْوَاقِ
وقال البحتري :

وَوُرْقٍ تَدَاعَى بِالْبَكَاءِ بَعْضُنَ لِي كَمِينِ أُمَى بَيْنَ الْحَشَا وَالْحِمَايِمِ ^(٣)
وَصَلَتْ بِدَمْعِي نَوْحُهُنَّ وَإِنَّمَا بَكَيْتُ لَشَجْوِي ، لَا لِشَجْوِ الْحَمَائِمِ

وهذا أيضاً جيد حسن .

ولست أعرف لهما في ذكر الحمام غير هذا ^(٤) .

(١) زيادة لازمة .

(٢) السخاب : القلادة .

(٣) ديوان البحتري ٤٤٨ .

(٤) م هـ هـ .

باب

في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان
التي حمداها ، والتذكر لها ، والأسى عليها
ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء وأوصافهن

وأذكر أولاً ابتداءتهما في هذا الباب .

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتَ إِلَّا مَوَاهِبَا وَكُنْتَ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا^(١)

وقال :

أَحْسِنَ بِلَيَّامِ الْعَقِيقِ ، وَأَطِيبِ وَالْعَيْشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ^(٢)

وقال البحتري :

لَيَّالِينَا بَيْنَ الْمَوَى قَزَرُودِ مَضَيْنَ حَمِيدَاتِ الْفِعَالِ فَعُودِ^(٣)

بيت أبي تمام الأول أجود من الأبيات الثلاثة .

ولفظ البحتري لا زيادة على حسنه وجودته .

(١) م « ويفضل » .

(٢) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١ / ١٤٥ .

(٣) ديوانه ١٢ وشرح التبريزي ١ / ٩٧ .

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٨٠ طبع بيروت ، ٢ / ٧٧٧ دار المعارف .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبًا وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبًا^(١)
 سَنُغْرِبُ نَجْدِيدًا لِعَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْآيَامِ إِلَّا غَرَائِبًا
 وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ أَهْدَى بِهِ الْهَوَى إِلَى ذِي الْهَوَى نُجْلَ الْعُيُونِ رَبَائِبًا
 كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ تُخَيِّلُنَّ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبًا

قوله : « وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ » يريد موضعاً زار فيه الكواعب اللواتي ذكرهن ؛ فإن ذلك الموضع يسقط فيه الشوق فلأن يكون مُعْتَرِكاً للوصول أولى . والعُدُّ له أن يقال : إنه إنما كان معتركا للشوق بعد تلك الحال التي تَقَصَّتْ فهو أبداً مشتاق إلى ذلك الموضع إذا ذكر له .

وقال :

أَحْسِنُ بَيَّامَ الْعَقِيقِ وَأَطِيبِ وَالْعَيْشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ
 وَمَصِيفِهِنَّ الْمُسْتَظَلَّ بِظِلِّهِ سِرْبُ الْمَهَا ، وَرَبِيعِهِنَّ الصَّيْبِ
 أَصْلُ كُبْرِدِ الْعَصْبِ نَيْطَ إِلَى ضُحَى عَقِيقِ بَرِيحَانِ الرِّيَاضِ مُطِيبِ^(٢)

(١) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١٤٥/١ .

(٢) نيط : علق . وقوله : كبرد العصب : أي هو حسن فيه نقوش ، وأصل المصب : الغزل ،

ثم قيل لضرب من البرد عصب : لأنها من الغزل تكون كما في شرح التبريزي ٩٩/١ .

وِظْلَالِهِنَّ الْمُشْرِقَاتِ بِخُرْدٍ بَيْضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الْأَكْعَبِ^(١)
وهذا - لعمرى - حَسَنٌ مُعْجِبٌ .

وقال أيضاً أبو تمام .

وَلَقَدْ أَرَاكِ فَهَلْ أَرَاكِ بِغِبْطَةٍ وَالْعَيْشُ غَضٌّ ، وَالزَّمَانُ غُلَامٌ^(٢)
أَعْوَامَ وَصَلِي كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَانَهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ أَنْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ أَعْقَبَتْ بِجَوَى أَسَى فَكَانَهَا أَعْوَامٌ^(٣)
ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلَهَا فَكَانَهَا وَكَانَهُمْ أَحْلَامٌ
فَقوله : « كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى » ، أى إنا كنا نَذْكُرُ الفراقَ
فَنُبَادِرُ السُّرُورَ واللذات فكان ذلك يقصر من طولها . وأَيَّامُ السُّرُورِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ قِصَارٌ ، اعترض فيها خوف الزوال أو لم يعترض .

وهذا من مشهور إحصان أبي تمام لفظاً ومعنى .

وقال البحتري :

عَيْشٌ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ تَأَيَّدَتْ [أَيَّامُهُ] وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ^(٤)
وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ لَهْفًا ، وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ
وهذا إحصان يزيد على كل إحصان .

(١) الظلال . جمع ظلة ، وهى البناء المشرف ، وقوله : غامضات الأكعب : يعنى أنهم منعمت
ليس لأكعب أرجلهم حجم .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥١ / ٣ .

(٣) فى الديوان وشرحه : « هجر أردفت » .

(٤) ديوان البحتري ٢٩٦ والزيادة منه .

وقال البحرى :

/ سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَتْنَا الْجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ^(١)
 لَيَالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَضَاءَ بِمُصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَغْرَقُ^(٢)
 تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى لَيْلَى فَمَا شَنَى بِمَاءِ الزُّبَى مَنْ بَاتَ بِالمَاءِ يَشْرَقُ^(٣)

- وهذا من أحسن معنى وأحلاه . وقوله : « إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ » . أى
 كما عهدناه ، لا كما هو فى الوقت من الخراب .

وقوله : « تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى لَيْلَى » . أى فلم^(٤) أبرأ من الداء كما أن
 من شرق بالماء لم يدفع شرقه الماء ولو تناهى فى الكثرة حتى يبلغ الزُبَى وهو
 من قولهم : بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى^(٥) : جَمَعَ زُبْيَةً . وهى حُفْرَةٌ تحنر للأسد
 فى أعلى ما يمكن من المواضع فلهذا ضرب [بها]^(٦) المثل فى كثرة الماء
 فقليل : بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى .

فالشَّرْقُ بالماء لا يُزِيلُهُ الماء كما قال عديُّ بن زيد :

لَوْ بَغِيرِ المَاءِ حَلَقَى شَرِقُ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالمَاءِ أَعْتَصَارِ^(٧)
 فقال البحرى ذلك ليؤكد بقاء حبه ، أى لا يكون بُرْئى من حبها
 أن أَتَدَاوَى منها بها كما لا يَدْفَعُ الماءُ شَرِقَ من شَرِقَ بالماء .

(١) ديوان البحرى ٥١٨ ، ١٤٩٣ .

(٢) فى الديوان « بِإِصْبَاحٍ مِنْ » .

(٣) فى الديوان « فَمَا اشْتَى الرِّبَى » .

(٤) م « أى فلما برأ » .

(٥) مجمع الأمثال ١ / ٩١ .

(٦) زيادة لازمة .

(٧) البيت له فى اللسان ١٢ / ٤٤ .

وقال البحتري :

فَسَقَى الْعَصَا وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ^(١)
 وَفَصَّارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحِ وَرَقِيبِ^(٢)
 خُضْرًا تَسَاقَطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ أَهْتَزَّازُ قَضِيبِ^(٣)
 كَانَتْ فُنُونٌ بَطَالَةٌ فَتَقَطَّعَتْ عَنْ هَجْرٍ غَانِيَةٍ ، وَوَحْطٍ مَشِيبِ

فقوله : « خضر تساقطها الصبا » - معنى في غاية الحسن ، وتمثيل في نهاية اللطف .

ومن حلو معانية ، ومشهور إحسانه قوله :

بَعْضُ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّقْنِيدِ لَيْسَ ذُمْ الْوَقَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(٤)
 مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَلَكِنْ نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ
 وقال أيضاً :

لِيَالِيْنَا بَيْنَ اللَّوَى فَمُحَجَّرٍ سَقِيتِ الْحَيَا مِنْ صَيِّبِ الْمُزْنِ مُنْطَرِ^(٥)
 مَضَى بَلْ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ وَنَشْوَةُ اللَّهِ بَابِ ، وَمَعْرُوفُ الْهَوَى الْمُتَنَكَّرِ
 فَإِنْ أَتَذَكَّرْ حُسْنَ مَا فَاتَ لَمْ أَجِدْ رُجُوعًا لِمَا فَارَقْتُهُ بِالتَّذَكُّرِ
 نَضَوْتُ الْأَسَى عَنِّي أَصْطَبَارًا وَرُبَّمَا أَسَيْتُ فَكُمْ أَصْبِرْ ، وَلَمْ أَتَصَبَّرِ

(١) ديوان البحتري ١٧٦ ، ١ / ٢٤٦ دار المعارف .

(٢) في الديوان « شرت لنا » !

(٣) لا يوجد هذا البيت في طبعي الديوان القديمتين .

(٤) ديوان ٦٩١ ، ١ / ٦٣٢ .

(٥) ديوانه ٢١٤ ، ٢ / ١٠٦١ طبع المعارف .

وقال أيضاً :

عَهْدُ لِعَلَوَةٍ بِاللَّوَى قَدْ أَشْكَلَا مَا كَانَ أَحْسَنَ مُبْتَدَأُهُ وَأَجْمَلَا^(١)
أَذْسَى لِيَالِينَا هُنَاكَ وَقَدْ حَلَا مِنْ لَهْوِنَا فِي ظِلِّهَا مَا قَدْ حَلَا^(٢)
عَيْشُ غَرِيرٍ لَوْ مَلَكَتْ لِمَا مَضَى رَدًّا إِذَا لَرَدَدْتُهُ مُسْتَقْبَلَا

قوله : « عيش غرير » . أى رقيق ناعم . قال جرير :

بَيْضُ تَرْبِيهَا النَّعِيمُ ، وَخَالَطْتُ عَيْشًا كَحَاشِيَةِ الْفِرْنَدِ غَرِيرَا^(٣)
الْفِرْنَدُ : الحرير . والفِرْنَدُ : ماء السيف . والحاشية : جانب الثوب .
وَإِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْنَدُ نَفْسَهُ .

وقال أبو تمام :

لِيَالِينَا بِالرَّقَّتَيْنِ وَأَهْلُهَا سَقَى الْعَهْدَ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ الْعَهْدُ^(٤)
صَحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلُهُ فَلَا رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ ، وَلَا جَعْدُ^(٥)
ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وَظَهَرُهُ فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عَوْضًا بَعْدُ
قوله : « الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ » . فالْعَهْدُ جمع عُهْدَةٍ ، وجمع عُهْدٍ : عِهَادٌ ،
وهو المطر يَأْتِي إِثْرَ مَطَرٍ . فَأَرَادَ سَقَى الْعَهْدَ الَّذِي عَهْدُنَاكَ هَذَا الْمَطَرُ^(٦) بِأَسْرِهِ :
أَوَّلُهُ ، وَوَسْطُهُ ، وَآخِرُهُ . وَأَرَادَ سَقَتْكَ الْعِهَادَ كُلِّهَا . ومثله قوله :

(١) ديوان البحري ١٤٢ ، ١٦٥١ .

(٢) م « وقد خلا . . ما قد خلا » .

(٣) ديوانه ٢٨٩ .

(٤) ديوان أبي تمام ١٢١ وشرح التبريزي ٢ / ٨٥ .

(٥) م « ولا رجل » وقال التبريزي ٨٧ « يقول : لا سهل يمتنع من إخراج النبات إذا سقاه هذا الصحاب ، ولا حزن » .

(٦) م « هذا الأمطر بأسره » .

* سَقَى عَهْدَ الصَّبَا سَيْلَ الْعِيَادِ^(١)

وهذا مستقيم . والأول ليس بالجيد .

وقد فسر هذا قوم بما يبعد عن المعنى ، ولا يليق به ، وخلطوا فيه^(٢) .

قال أبو تمام :

سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ . وَالْعِرَاقِ^(٣)
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَالْأَخِ الْعَذْبِ الْمَذَاقِ^(٤)
/ لِيَأْمِلَ نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنْهَا فِي وَثَاقٍ
وَأَيَّامًا لَنَا وَلَهُ لِدَانًا غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرَّقَاقِ^(٥)
كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عُفْرِ لَدِينَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقِ عَنْ تَلَاقٍ^(٦)

وهذا كلام حلو عذب .

وقوله : « سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ » . لأنه فارق العراق وهو كاره ،
فسلم سلام مودع متأسف ، شديد النفس للشوق والأسف ؛ فلذلك قال :
« ترجف الأحشاء منه » .

* * *

(١) ديوان أبي تمام ٧٨ « عهد الحمى » وعجزه : « وروض حاضر منه وباد » .

(٢) راجع الأقوال التي نقلها التبريزي في شرحه ونقلها ناثره في الجزء الثاني ٨٤ - ٨٧ .

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٤٢٥/٢ .

(٤) في الشرح « والفتى الحلو المذاق » .

(٥) م « وأيام لها ولنا لدان » .

(٦) في شرح التبريزي عن المعري : « يقال : لقيته عن عفر ، فقل هو مقدار شهر ، وقيل :

لا حذ له . يقول : نحن في أيام القرب لـ يمل حسنا بعضاً ، فإذا لقيته باكراً ثم رحت إلى لقائه ، فكان
التلاقى عن وقت بعيد ، وقد قرب المدة بقوله : وإن كان التلاقى عن تلاق ؛ لأن ذلك يجوز أن يكون في
أقصر حين » .

وبيت أبي تمام النادر في هذا الباب قوله :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها ، وكأنهم أحلام^(١)
وبيت البحتري قوله :

والعيش ما فارقت فذكرته لهفأ ، وليس العيش ما تنساه^(٢)
وبيت أبي تمام أسير ، وبيت البحتري اللطف معنى .

وهما في سائر ما مرَّ لهما في هذا الباب - متكافئان .

ومن حلو كلام البحتري في معنى الأيام قوله :

ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع^(٣)
وأحلى منه وأبدع - قول أبي حية النُميري :
إذ الأيام مُقبلة إلينا وظلُّ أراكَةِ الدنيا ظليل^(٤)

وفي هذا الباب لأبي تمام إساءة في قصيدته التي أولها قوله :
« أما إنه لولا اللوى ومعهده »

وذلك قوله :

فيا مشهداً يستهزمُ البينُ بأسوه إذا عند أيام الهوى ومشاهده
ويا ليلة لو يعرف الدهر طيبها لصيرها ثغراً تناعى مراصده

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وسبق ص ١٦٠ .

(٢) ديوان البحتري ٢٩٦ و ٢ / ١٢٨٦ طبع المعارف .

(٣) ديوانه ٧٢٧ « لولا أنها » .

(٤) م « إذا » والبيت له في أمالي المرقضي ٤٤٥/١ « مقبلة علينا » .

وهذا من أقبح ما يكون من الكلام ، وأهجن^(١) ما يكون من المعاني ،
وأبعد ما تكلفه أهل الاستعارة من الأغراض .

يقول : ولو علم الدهر طيبَ هذه الليلة لجعلها ثغراً له مَرَاصِد .
والمَرَاصِدُ : مواضع الحرس .

وقوله : تناغى . يريد حراس المَرَاصِدِ يخاطب بعضهم بعضاً ، ويُنذِرُ
واحدُ آخر . وأصلُ المُنَاغَاةِ : الكلام الرَّخِيمُ الخَفِيُّ ، مثل مُنَاغَاة الصَّبِيِّ .
وربما فعل ذلك أهل المَرَاصِدِ المتقاربة : يُوجِي بعضهم إلى بعض ، وينبئه
بعضهم بعضاً على ما يَتَخَوَّفُونَهُ ويتوقَّعونَهُ . يقول : فلو علم الدهر طيبَ هذه
الليلة لجعلها ثغراً يحرسه من أن تلحقه آفة أو جائحة تُزِيلُهُ وتُبْطِلُهُ .

وهذا مما ينبغي أن تَسْمَعَهُ وتضحك منه ، كما أن جيده يُسْمَعُ ويُعْجَبُ
منه . ومن أجل هذا التفاوت العظيم في شعره - تفاوت الناس في التعصب
له ، والتعصب عليه . فما ينبغي أن يُقْبَحَ إحسانه^(٢) ، ولا [أن] نُحَسِّنَ
إِسَاءَتَهُ .

(١) م « وأهجنه وما يكون » .

(٢) م « يقبح لإحسانه ولا تحسن » .

ما جاء عنهما في طروق الخيال

/ هذا باب الفضل فيه للبحثى على أبي تمام . وما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون ؛ هو أشعر الناس والحاسن الحل والخيال^(١)

ولم يأت عن أبي تمام فيه إلا أبيات يسيرة منها قوله في قصيدة :

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكُهُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنَمْ^(٢)
ظَبْيٌ تَقَنَّنَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَأَ مِنْ الْحُلُمِ^(٣)
ثُمَّ اعْتَدَى وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ ، وَإِنْ كَانَ مَعْسُولًا مِنَ السَّقَمِ

قوله : « زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكُهُ » - ليس بالجيد ؛ لأنه إذا أزاره^(٤)

الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره^(٥) الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقمته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام بل أقمته أنا^(٦) ويروى : « إذا نام فكر الخلو ».

وقوله : « لَمْ يَنَمْ » . لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يسكن ، ولم يفتر ، كما يقال^(٧) : فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أى لا يفتر عنه ، ولا يُقَصِّر .

(١) كذا بالأصل .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٦٨ وشرح التبريز ٣ / ١٨٥ وأمال المرتضى ١ / ٥٤٢ وأمال النقال

١ / ٢٢٩ وحامسة ابن الشجرى ١٧٦ وطيف الخيال ١٧ وفي الديوان وشرحه « فكر الخلق » .

(٣) في الديوان وشرحه « فى آخر » .

(٤ ، ٥) م « زاره » .

(٥) راجع نقد الشريف المرتضى لهذا الكلام فى كتاب طيف الخيال ١٧ - ٢٠ ، ٩ - ١٣ .

(٦) م « كما قال » .

وقوله : « من آخر الليل » . ولم يقل من أول الليل . يريد أنه لا ينام بالليل ، وأنه يسهره ، وأنه يهوّم في آخره تهوياً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت .

وقوله : « وإن كان مغسولاً من السقم » . [أى] وإن كان حُلواً من الأسقام . أى كأنه ممزوج بالعسل . ويرويه قوم : / « وإن كان مغسولاً من السقم » . وليس بشيء .

وهذه أبيات حسان . وغرض صحيح .

وقال أبو تمام أيضاً :

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّغْلِ مِنْ رَمَ لَمَّةَ بَيْنَ الْجَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ^(١)
نَمْ ، فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْ نَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ

وقد أكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه بذكره ، وأفرطوا في استحسانه . وقالوا^(٢) : كشف عن العلة في طُروق الخيال ، وبَيَّنَّ عن المعنى .

والبيت حسن . وإنما أخذ معناه من قول جرّان العود :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ^(٣)

فمقوله : وهو مشغول . أى . إنه لم يترك على الحقيقة . فبنى من هذا قوله : « مازارك الخيال » وبنى من قوله : « أتاك به حديث نفسك » - ولكنك

(١) ديوان أبي تمام ٤٥٩ ، وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٢ وطيف الخيال ٢٠ : ١٢ الزهرة ٢٦٣ .

(٢) م « وقال » .

(٣) ديوان جرّان العود ٥ . سقيال الزورق . - و . مائة أبيات شحري ١٦٨

بالفكر زرت [طيف] الخيال . فالمعنى كله لجران ، وإنما غير أبو تمام اللفظ^(١)
وقد قال الكميت :

فَلَمَّا أَتَبَّهْتُ وَجَدْتُ الْخَيَالَ أَمَانِي نَفْسِي وَأَفْكَارَهَا
أَي وجدت الخيال أنا الجالبُ له بِأَمَانِي . وهذا ذلك المعنى بعينه .

وقد أورد أبو تمام المعنى على حَذْوِ ما قاله جِران سواء فقال :
استزارته فكرني في المنام فَاتَانِي فِي خَفِيرٍ وَاسْتَيْتَمَ^(٢)
/ قد ذكر أن فكرته أتته بالطيف زائراً كما قال جِران : « أذاك به حديث
نفسك » .

ووصل أبو تمام بيته بأن قال :
اللَّيَالِي أَخْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ^(٣)
يَا لَهَا زُورَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرَّ . وَأَحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ^(٤)
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
ليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة^(٥) .

وقال أبو تمام :
حَمَمْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الْوَلِيدِ^(٦)

(١) راجع نقد المرتضى لهذا في طيف الخيال ٢١ .

(٢) ديوان أبي تمام ٤٦٠ .

(٣) حساسة ابن الشجري ١٧٧ وأمال المرتضى ٥٤٢/١ وفي ديوانه « فالليالي أخفى بقلبي إذا

جرعته النوى » .

(٤) في الديوان « يا لها ليلة » .

(٥) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢١ ، ١٨ .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠٤ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣ .

رَأَانَا مُشْعَرِي أَرْقٍ وَحُزْنٍ وَبُغْيَتُهُ لَدَى الرَّكْبِ الْهُجُودِ^(١)
 سُهَادٌ يَرْجَحُنُ الطَّرْفُ مِنْهُ وَيُولِغُ كُلَّ طَيْفٍ بِالصُّدُودِ

يرجحن : أى يتناقل فى حركته كالمعنى فى سيره الثقيل إذا عدل يمنة
 وشأمة مثل السحابة المُرْجَحِنَةَ لكثرة مائها . وإنما يريد يُقَلَّ أَجْفَانِهِ عند
 النظر من طول السهر .

ولا أعرف لأبى تمام فى طرق الخيال غير ما ذكرته .

فأما البحترى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه ، وأكثر ، وأجاد ،
 وأبدع ، وتصرف فى معان لم يأت أحد بمثلها ، وقد استفتح قصائد كثيرة
 بذكر الخيال ؛ لشدة شغفه به ، فأحسن فى ابتدائه كلها ، / وزاد على
 الإحسان . فمن ذلك قوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبُ جَاءَ يُهْدِي مِنْ حَبِيبِ^(٢)

وقوله :

أَجْدَكَ مَا يَنْفُكُ يَسْرِى لِزَيْنَبَا خِيَالُ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا^(٣)

وقوله :

قَدْ كَانَ طَيْفُكَ مَرَّةً يُغْرِى بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرِكَابِي^(٤)

(١) فى شرح التبريزى « يقول : لم يحشنا طيفها لأننا لم نَم وإنما يطلب من ينام » .

(٢) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٨٢ ، ١ / ١٩٦ وحماسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢٢٠ ، ١ / ٨٨٩ وفى م « فإن كان » .

وقوله :

طَيْفُ أَلَمٍ فَحَيًّا عِنْدَ مَشْهَدِهِ قَدْ كَانَ يَشْفِي الْمَعْنَى مِنْ تَلَدُّدِهِ^(١)

وقوله :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ أَلَمٌ بِنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ^(٢)

وقوله :

عَجَبًا لِطَيْفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ وَلَوْضَلِكِ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ^(٣)

وقوله :

خُلِّ لِلْخَيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ تُدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ^(٤)

وقوله :

هَجَرْتُ وَطَيْفُ خَيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ وَنَأَتْ بِحَاجَةِ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ^(٥)

وقوله :

/ أَلَمْتُ ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خَيَالًا وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ^(٦)

وقوله :

بَيْتٌ أَبْدَى وَجْدًا ، وَأَكْتُمُ وَجْدًا مِنْ خَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُنْهَدَى^(٧)

وقوله :

بَرَّحَ بِي الطَّيْفُ الَّذِي يُسْرِى وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرِ^(٨)

(١) ديوان البحري ٥٨٠ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

(٣) ديوانه ٤٦٤ .

(٤) ديوانه ٢٩٨ .

(٥) ديوانه ١١٩ ، ٢٠ / ٨٦٠ .

(٦) ديوانه ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

(٧) ديوانه ٧٣٧ « لخيال » .

(٨) ديوانه ٦٢٩ ، ٢٠ / ١٠١٠ دار المعارف .

وقوله :

سَرَى مِنْ خَيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى فَتَيَّمْ ذَا الْقَلْبِ الْمُعْنَى وَأَسْهَرَا^(١)

وقوله :

يَهْدِي الْخَيَالُ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا وَافَى يُخَادِعُنَا وَالصُّبْحُ قَدْ وَافَى^(٢)

وقوله :

مَرْحَبًا بِالْخَيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ فِي شُمُوسٍ لَمْ تَتَّحِلْ بِكُشُوفِ^(٣)

وقوله :

أَمَّا الْخَيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعُقْبِ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقِ^(٤)

وقوله :

هَذَا الْحَبِيبُ فَمَرْحَبًا بِخَيَالِهِ أَنَّى أَهْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي سِرْبَالِهِ^(٥)

/ وقوله :

خَيَالٌ مُلَمٌّ ، أَوْحَيْبٌ مُسَلَّمٌ وَبَرَقٌ مُجَلَّى ، أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمٌ^(٦)

وقوله :

أَأْرَاكَ الْحَبِيبُ خَاطِرَ وَهْمٍ أَمْ أَزَارَتْكَ أَضَالِيلُ حُلْمٍ^(٧)

(١) ديوان البحارى ٧٦٢ ، ٢ / ٩٣١ دار المعارف .

(٢) ديوانه ٣٣٧ ، ١٣٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٧١ ، ١٣٦٣ .

(٤) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ .

(٥) ديوانه ٤٢٦ .

(٦) ديوانه ٩٦ « ويرق تجلى » .

(٧) ديوانه ٣١٦ وفى م « لا أراك » .

وقوله :

خَيَالٌ يَغْتَرِبْنِي فِي الْمَنَامِ لِسَكْرَى اللَّحْظِ ، فَاتِنَةَ الْكَلَامِ^(١)

وقوله :

طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي^(٢)

وقوله :

طَيْفٌ لِعَلْوَةٍ مَا يَنْفَكُ يَأْتِينِي بِضُبُورٍ إِلَى عَلَى خُلْفٍ فَيُضَيِّبُنِي^(٣)

وقوله :

طَيْفُ الْخَيَالِ أَلَمَ مِنْ عُذُوَائِهِ وَبَعِيدِ مَوْضِعٍ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ^(٤)

وقوله :

أَحْبَبُ إِلَى بَطِيفِ سُعْدَى الْآتِي وَطُرُوقِهِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ^(٥)

وقوله :

/ خَيَالٌ مَاوِيَّةَ الْمُطِيفُ أَرْقَى عَيْنًا لَهَا وَكَيْفُ^(٦)

وقوله :

أَرْجُ لِرِيًّا طَلَّةً رِيَّاهُ لَا يَبْعُدُ الطَّيْفُ الَّذِي أَهْدَاهُ^(٧)

(١) ديوان البحترى ٦١٧ « فاتنة القوام » .

(٢) ديوانه ٥٠٠ .

(٣) ديوانه ٤١٧ « على بعد ويضبيني » .

(٤) ديوانه ٦٥٧ « طيف الحبيب . . . وبعيد موقع » .

(٥) ديوانه ٤٥٤ ، ٣٦٣ / ١ دار المعارف « في أعجب » .

(٦) ديوانه ٤٧٢ .

(٧) ديوانه ٢٩٦ .

وما أَحَسَّنَ ما قال مُسْلِمُ بن الوليد :

طيف الخيال حَمِدْنَا مِنْكَ إِلْمَامًا دَاوَيْتَ سُقْمًا . وَقَدْ هَيَّجْتَ أَنْفَامًا^(١)

مضت الابتدآت

وهذا ما جاء عن البحترى من وصف الخيال في وسط. الكلام . قال :

فلا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا بِنَا تَحْتَ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعَ^(٢)
 أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَامَحَتْ بِوَصْلٍ مَنِ تَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعُ^(٣)
 وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ فَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِيَ الصَّبَاحِ الْمُلَمَعِ^(٤)
 فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا أَوَّانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي^(٥)
 وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ ، وَفُرْقَةٍ لِأَسْمَاءَ لَمْ تُحْزَرْ وَلَمْ ، تُتَوَقَّعِ^(٦)
 أَسْرَ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلَّمٍ وَأُسْجَى بِبَيْنٍ مِنْ حَبِيبٍ مُودَّعٍ
 وَكَائِنْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ تَرْجِيهِ أَحْلَامُ الْكَرَى ، وَتَجْمَعِ^(٧)
 وَمِنْ لَوْعَةٍ تَعْتَادُ فِي إِثْرِ لَوْعَةٍ وَمِنْ أَدْمَعٍ تَرْفُضُ فِي إِثْرِ أَدْمَعٍ

/ فانظر إلى هذه العبارة الحسنة ، وإخباره إياك بالشئ على ما كان .

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٦١ .

(٢) ديوان البحترى ٨٩ و ١٢٣٨/٢ طبع المعارف .

(٣) حماسة ابن الشجري ١٧٧ وأمال القالي ١ / ٢٢٨ .

(٤) قال ابن الشجري في حماسه ١٧٨ « لم يورد لفظة " الملمع " على سبيل اضطراب القافية إليها ، ولكن لها معنى صحيح لا يقوم غيرها فيه مقامها ؛ لأن أوائل الصباح وقيل ابيضاض الصبح وانتشاره - يكون البياض مزوجاً بالسواد ملمعاً به ، لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور ، فكانه أراد أن الطيف فارقه في أول الصبح وقبل انتشاره » .

(٥) م « تولت كأن » .

(٦) م « لم تحدد » وفي الديوان « لم تحذر » .

(٧) م « ترجيه » .

ونحو ذلك في الحسن والصحة قوله :

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودِّهَا لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُورِقِ^(١)
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِ
فَكَمْ غُلَّةٍ لِلشُّوقِ أَطْفَاتُ حَرِّهَا بَطِيفٌ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعْلُقًا بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْتَقِ
فقوله : « أضمُّ عليه جفنَ عيني تعلقًا » - من أحسن كلام ، وأصح
معنى وأصدقه وأكثره ، وكثيراً ما ينال أكثر الناس ذلك عند إجلاء النوم ،
وابتداء اليقظة إذا كان في رؤيا يَلْدُهَا .

وقال أيضاً :

أَجِدْكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لِرَيْنَبَا خِيَالُ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبًا^(٢)
سَرَى مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْلِبُهُ الْكَرَى هُبُوبَ نَسِيمِ الرِّوَضِ تَجْلِبُهُ الصَّبَا
وَمَا زَارَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً إِلَيْهِ ، وَإِلَّا قُلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا^(٣)
وَلَيْلَتَنَا بِالْجِزْعِ بَاتَ مُسَاعِفًا يُرِينِي أَنَاةَ الْخَطْوِ نَاعِمَةَ الصَّبَا
أَضَرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا
قوله : « إذا آب الظلام تأوَّبًا » . آب : أى رجع ، وتأوَّب^(٤) : تراجع .
يعنى [أن] الطيف إذا عاد ، الظلام عاد . وليس ذلك من التأوَّب الذى
هو سَيْرُ النهار كله .

(١) ديوان البحترى ٧٧ ، ١٥٠٨ وحامسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٢) ديوانه ٨٢ و ١ / ٥١ طبع المعارف وحامسة ابن الشجرى ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) م « زادنى . . إليك وإلا » .

(٤) م « وتلوب » .

وقوله : «سرى من أعلى الشام» - بَيِّتٌ في غاية الحسن والحلاوة .

* * *

وقال :

أَمَّا رَاعَكَ الْحَيُّ الْحَلَالُ بِهِجْرِهِمْ وَهُمْ لَكَ غَدَاً بِالتَّفَرُّقِ أَرَوُعُ^(١)
بَلَى ، وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يُطْمَعُ
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُ نَقَضَتْ مَعَ الْكَرَى تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَفَرَّعُ^(٢)
تَرَى مُقْلَتِي مَالاً تَرَى فِي لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أُذُنِي مِنْهُ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ^(٣)
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخْيِيلٍ بَاطِلٍ تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهْفِ فَتَرْجِعُ

ولست أقول في هذا إلا ما كان البحرى يقوله ، وحدثنا به أبو علي محمد بن العلاء السَّجِسْتَانِي : إنه كان إذا شرب وسكر أنشد مثل هذه الأبيات وأشباهاها من شعره ، وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟

* * *

وقال :

أَخْيَالٌ عَزَّةَ كَيْفَ زُرْتُ وَعِنْدَنَا أَرَقُّ يُشْرَدُ بِالْخَيَالِ الزَّائِرِ^(٤)
طَيْفٌ أَلَمَ بِنَا وَنَحْنُ بِمَهْمِهِ قَفَرٌ يَشُقُّ عَلَى الْمُلِمِّ الْخَاطِرِ^(٥)
حَتَّى إِذَا نَزَعُوا الدَّجَى وَتَسَرَّبَلُوا مِنْ نَوْرِ هُلْهَلَةِ الصَّبَاحِ النَّائِرِ^(٦)

(١) ديوان البحرى ٣٠٤ ، ٢ / ١٢٦٨ دار المعارف وطيف الخيال ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) م « زورة ينوى » وفي الديوان « من فقد له » .

(٣) في الديوان « أذن رجع » .

(٤) ديوانه ٦٥١ ، ٢ / ١٠١٦ طبع المعارف وطيف الخيال ٢٨ ، ٢٩ « أخيال علوة » .

(٥) م « ألم لها » وفي الديوان : « بمهمه مرت » .

(٦) في الديوان « من فضل . . النائر » والنائر : المنير .

وَرَنُوا إِلَى شُعْبِ الرَّحَالِ بِأَعْيُنٍ يَكْسِرُونَ مِنْ نَظَرِ النَّعَاسِ الْفَاتِرِ^(١)
 أَهْوَى فَاسْعَفَ بِالتَّحِيَّةِ خُلْسَةً وَالشَّمْسُ تَلْمَعُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ
 / سِرْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ . وَلَرُبَّمَا كَانَ الْمُقِيمُ عَلاَقَةً لِلسَّائِرِ

وهذا - والله - الكلام العربي ، والمذهب الذى يبعد على غيره أن
 يأتى مثله .

وقال :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ ، أَوْ نَفَعَ الصَّدَى
 إِذَا أَنْتَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيَّ أَنْتِبَاهَةً عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي ، أَوْ غَدَا^(٢)
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا ، وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا نَعَدُّ أَبْقَاظًا ، وَنَنَعُمُ هُجْدَا

وقال :

أَقَامَتْ عَلَى الْهِجْرَانِ مَا إِنَّ تَجُوزَهُ وَخَالَفَهَا بِالْوَصْلِ طَيْفٌ لَهَا يَسْرِى^(٣)
 فَكَمْ فِي الدُّجَى مِنْ فَرَحَةٍ بِلِقَائِهَا وَكَمْ تَرَحَّهَ بِالْبَيْنِ مِنْهَا لَدَى الْفَجْرِ
 إِذَا اللَّيْلُ أَعْطَانَا مِنَ الْوَصْلِ بُلْغَةً ثَنَّنَا تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ إِلَى الْهِجْرِ^(٤)
 وَلَمْ أَنْسَ إِسْعَافَ الْكَرَى بِدُنُوتِهَا وَزَوَّرَتْهَا بَعْدَ الْهُدُوِّ وَمَا تَذْرِى

وقال :

إِنَّ رِيًّا لَمْ تَسْقِ رِيًّا مِنَ الْوَصْ لِ وَلَمْ تَذْرِ مَا جَوَى الْعُدَّاقِ^(٥)

(١) فى الديوان « ورموا » .

(٢) ديوان البحترى ١٣٣ ، ٦٧٠/٣ وطيف الخيال ٢٩ ، ٣٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٣ وفى م
 « سقى قربه » .

(٣) ديوانه ٦٢١ ، ٢ / ١٠٠٤ وطيف الخيال ٣٠ ، ٣٣ وحاسة ابن الشجرى ١٨٠ .

(٤) فى الديوان « تباشير النهار » .

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ١٤٦١ وحاسة ابن الشجرى ١٨٠ وطيف الخيال ٢٣ ، ٢١ .

بَعَثْتُ طَيْفَهَا إِلَى وَدُونِي وَخُدُّ شَهْرَيْنِ لِلْمِهَارَى الْعِتَاقِ
 زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبًّا بِأَعْلَى الْعِرَاقِ
 فَقَضَى مَا قَضَى . وَعَادَ إِلَيْهَا وَاللُّجَى فِي بُرُودِهَا الْأَخْلَاقِ
 / قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ بِحَظٍّ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِذْلُ التَّلَاقِ
 وهذا حسن جدًا .

وَالْطَفِّ وَأَحْسَنَ وَأَحْلَى قَوْلُهُ :

وَزَائِرٍ زَارَ مِنْ أَعَقْتِهِ يَحِيلُ وَزَنَّا بِأَنْسِهِ ذُعْرُهُ^(١)
 كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَّةَ وَبِتُ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ
 لَمْ أَنْسُهُ مُرَشِكًا عَلَى وَجَلٍ مُدَامِجًا لِلْحَدِيثِ يَخْتَصِرُهُ^(٢)
 كَأَنَّمَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ ، أَوْ أَنَاهُمْ خَبِرُهُ^(٣)

وقال :

تَلَدَرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى^(٤)
 غَابَ الْوُشَاةُ فَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
 كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخْلُ أَنْ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى
 دَمْعٌ تَعْلَقُ بِالشُّثُونِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَقَ الْغَرَامُ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى^(٥)
 قَامَتْ تَمَنِّيْنِي الْوِصَالِ لِيَتَبَلَّى جَدَلِي ، وَحَاجَهُ أَكْمَةُ أَنْ يُبْصِرَا^(٦)

(١) م « من أعتقه » والأبيات في ديوانه ٢ / ١٠٣٣ دار المعارف وطيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٢) م « عل وجل . . مختصره » .

(٣) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٤) ديوان البحري ٣٧٦ ، ٢ / ٩٧٤ وطيف الخيال ٢٥ ، ٢٤ .

(٥) في الديوان « في الشُّثُونِ فلم يزل يرح » .

(٦) في الديوان « باتت » .

مَنِيَّتِنَا عَلَلًا ، وَمَا أَنَهَلْتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهِرَا
تَاللَّهِ لَمْ أَرْ مُدَّ رَأَيْتُ كَلِيلَتِي فِي الْعَلْتِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا
أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أُمَلَّاهُ وَقَدْ حَدَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا

وهذا - لعمري - هو القول الذي لو ورده الظمان لروى ؛ لكثرة مائه (١).

وقال :

بَيْتُ أَيْدِي وَجْدًا ، وَأَكْتُمُ وَجْدًا لِيخَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يَهْدَى (٢)
أَقْسِمُ الظَّنَّ فِيهِ أَنِّي تَخَطَّى الرُّ رَمَلٌ مِنْ عَالِجٍ ، وَأَنَّى تَهْدَى
خَطَا مَا أَرَارَنَاهُ طُرُوقًا أَمْ تَوَخَّيْهِ لِلزِّيَارَةِ عَمْدًا (٣)
لَا تَخِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا رُسُلُ الشَّوْقِ مِنْ خَيَالَاتِ سُعْدَى
وَعَدْتَنَا فَمَا وَقَتْ بِيَوْصَالٍ وَوَقَتْ حِينَ أَوْعَدَتْ أَنْ تُصْدَأَ (٤)
قَرَّبَ الطَّيْفُ مُنْتَوَاهَا فَأَصْبَحَ تَحْدِيثًا بِنَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا (٥)

قوله : « لَا تَخِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا » - بيت حسن جدًا ؛ جعل
الخيالاتِ رُسُلًا للشوق .

وقال في قصيدته التي أولها :

« بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدِهِ » (٦) .

(١) يحيل : أى يصير حولا ، وانظر تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٢٥ .

(٢) ديوان البحترى ٧٣٧ ، ١ / ٥٦٩ دار المعارف .

(٣) بعده في الديوان :

جاء يسرى فأشرقَت أرض نجد لسراه وواصل الغيث نجدا

(٤) في الديوان « أَنْ تُصْدَى » .

(٥) في الديوان « الطيف منتوَاهَا » .

(٦) ديوانه ٥٧٤ ، ١ / ٥٩٦ وعجزه « بين إعواز طالب ووجوده » وفي م « بَانَ عَهْد » .

مِنْكَ طَيْفُ أَلَمٍ وَالْأَفْقُ مَلَا
زَائِرُ أَشْرَقَتْ لِرُؤُوسِهِ أَغْـ
أَرْبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ الْـ
مُعْطِيًا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ
يَقْطَاطُ الْمُحِبِّ سَاعَاتُ بَوْسَا
نُ مِنَ الْفَجْرِ ، وَاعْتَرَاضِ عَمُودِهِ^(١)
وَأُرْ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نُجُودِهِ^(٢)
هَيْنَ فِي خَدِّهِ ، وَفِي تَوْرِيدِهِ
مِ الذِي كَانَ مُعْطِيًا مِنْ صُدُودِهِ^(٣)
هُ ، وَنَعْمَاءُ عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ^(٤)

/ وقال :

وَمَا أَذْنُكَ دَاعِي الْبَيْنِ حَتَّى تَرَائِلَتْ
عَشِيَّةَ مَا بِي عَنْ شُبَيْثٍ تَرَحُّلُ
فَمَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدِ
إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا
قِيَابُ بَنَاهَا حَاضِرُ وَخِيَامُ^(٥)
[فَأَمْضَى] وَلَالِي فِي شُبَيْثٍ مَقَامُ^(٦)
يُحِلُّ لَنَا جَدْوَالِكِ وَهُوَ حَرَامُ^(٧)
مِنَ الْجِدِّ أَبْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ

وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب .

وقال :

أَرْجَمُ فِي لَيْلَى الظُّنُونِ وَأَرْتَجِي
وَلَيْلَةَ هَوْمَنَا عَلَى الْعِيسِ أَرْسَلَتْ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي
أَوَائِلَ حُبِّ أَنْخَلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ^(٨)
بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
بِعُطْفِي غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَازِلُهُ

(١) م « من الفخر » !

(٢) في الديوان « أشرق لروسته » .

(٣) في الديوان « كان مانعاً من » .

(٤) في الديوان : « بؤساء نعماء عيشه » .

(٥) ديوانه ٣٦٣ طيف الخيال ٣٢ ، ٣٧ وفي م « ميام بناها » .

(٦) الزيادة من الديوان .

(٧) في الديوان « وهي حرام » .

(٨) ديوانه ١٥ وطيف الخيال ٣٣ ، ٣٨ وحامسة ابن الشجرى ١٨٠ .

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٍ وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُدْمُ غَوَائِلُهُ
 وهذا كله إنما حَسَنَ هذا الحسن . وقبلته النفوسُ لأنه اعتمد أن يخبر
 بالأمر على ما هو ، مع حسن عبارته . وبراعة نَسْجِهِ ، وجودة تلخيصه .
 ومتخير ألفاظه .

وقد ذهب البحتري مذهباً آخر . وأحسن فيه كل الإحسان . وهو أن
 شبه الزائر الذي زار بالخيال ؛ لشدة فرحه . وخوفه أن لا يكون له حقيقة .
 وقال في قصيدته التي أولها :

« بُوْدَى لَوْ يَهْوَى الْعَدُولُ وَيَعْتَقُ^(١) »

وَزَوْرٍ أَتَانِي طَارِقًا فَحَسِبْتُهُ خَيَالًا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ^(٢)
 أَقْسَمُ فِيهِ الظَّنُّ : طَوْرًا مُكَذِّبًا بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَطَوْرًا أَصْدَقُ
 أَخَافُ وَأَرْجُو بُطْلَ ظَنِّي وَصِدْقَهُ فَلِلَّهِ شَكِّي حِينَ أَرْجُو وَأَفْرَقُ
 وَقَدْ ضَمَّنَا وَشَكُّ التَّلَاقِ وَلَفَّنَا عِنَاقٌ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيَّقُ
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ بِشَكْوَى ، وَإِلَّا عِبْرَةً تَتَذَقُّ^(٣)
 فَأَحْسِنُ بَيْنَا وَالْدَّمَعُ بِالْدَّمَعِ وَأَشْجُ تَمَازُجُهُ . وَالْخَدُّ بِالْخَدِّ مُلْصَقُ^(٤)
 وَمِنْ قُبَلٍ قَبْلَ التَّشَاكِي وَبَعْدَهُ نَكَادُ بِهَا مِنْ شِدَّةِ اللَّثَمِ نَشْرَقُ^(٥)
 فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِي وَحُسْنَهُ لَحُبَّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقُ

(١) ديوان البحتري ١٤٨ ، ١٥٣٤ وعجز « فيعلم أسباب أخوى كيف تعلق » .

(٢) طيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٣) في الديوان « عبرة تترقق » .

(٤) م « يمازجه » .

(٥) م « يكاد بها . . . يشرق » .

وقال في نحو هذا :

حَبِيبٌ سَرَى فِي خَفِيَّةٍ وَعَلَى ذُعُرٍ يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرٍ^(١)
تَشَكَّكْتُ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلْتُهُ خَيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرَى
وَأَفْرَطْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ فَدَرَى بِنَا عَلَى سَاعَةِ الْهَجْرَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي^(٢)

وقال :

أَمَّا مُعِينٌ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرَبَتْ بِهِ الْجَوَانِحُ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي أَفْدَا^(٣)
/ كَيْفَ اللَّقَاءِ وَقَدْ أَصَحَّتْ مُحِيمَةً بِالشَّامِ لَا كَتَبْنَا مِنْهَا ، وَلَا صَدَدَا^(٤)
تَهَاجَرُ أُمَمٌ لَا وَضَلَ يَخْلِطُهُ إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفِينَا إِذَا هَجَدَا
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مَنْ لَا زِيَارَتُهُ قَصْدٌ ، وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بَعْدٍ مِنْ بَعْدَا^(٥)
بِتَنَا عَلَى رِقْبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنَفَى صَبَابَةٍ نَتَعَاطَى الْبَثَّ وَالْكَمْدَا
إِمَّا سَأَلْتَ بِشَخْصِينَا هُنَاكَ فَقَدْ غَابَا ، وَأَمَّا خَيَالَانَا فَقَدْ ، شَهِدَا
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجُوْنِي إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عُهِدَا

لو كان قال : « إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفِينَا إِذَا هَجَدْنَا » - كان عندي أجود .
فكأن المعنى [إذا] هجدت رأيتها في النوم فكأن نفسي ونفسها اجتمعتا ،
وكذلك إذا هجدت ترى مثل ما رأيت ، ويكون « طيفينا » محمولا على
معنى نَفْسَيْنَا ؛ لِأَنَّ^(٦) النفس هي التي ترى ما ترى في النوم ، وهي التي
تمثل أيضاً ما تتمثله في البقطة .

(١) ديوان البحري ١٥١ ، ٣/١٠٥٢ وطيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٢) في الديوان « ساعة اللقيان » .

(٣) ديوانه ٤٦ ، ٣/١٧٧ وطيف الخيال ٣٧ ، ٤٧ .

(٤) في الديوان « لا كَتَبْنَا مَنَا » .

(٥) في الديوان « من بعد ما بعدا » .

(٦) م « أَنْ » .

وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله : « إذا هجدا » - أن يريد النفسين ؛ لأن نفس الإنسان هي التي تنام كما قال الله - عز وجل - : « وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » ^(١) فهذا سائق ^(٢) ولكن الغلط وقع عليه في قوله : هَجَرْتَنَا يَقْظَى ، وكادت على عا دتها في الصدود تهجر وُسْنَى ^(٣) إنما أراد طيفها ، وهو يرى طيفها في نومه يقظى كانت أو نائمة .

وقال :

/ طَيْفُ تَأَوَّبَ مِنْ سَعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ ، وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي ^(٤)
فَيَا لَهَا زَوْرَةٌ يُشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا لَوْ أَنَّهَا جَلَبَتْ يَقْظَى لِيَقْظَانَ
مَهْزُورَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُلَفْ هِزَّتُهَا فِي الْخَيْرِ زَرَانِ ، وَلَمْ تُوْجَدْ مَعَ الْبَانِ
يُدْنِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي . وَيُوقِظُنِي وَجْدٌ فَيُبْعِدُ عَنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي ^(٥)

وقال :

أَمَّا الْخِيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعُقْبٍ تَشْوُفٍ وَتَشْوُوقٍ ^(٦)
قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدٍ فَتَهَنَّهُ مِنْ جَوَى ضَرَمٍ ، وَسَكَنَ مِنْ قُودٍ مُقْلَقٍ ^(٧)
وَلَرُبَّمَا كَانَ الْكَرَى مَسْكَنًا لَهَا بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى الدِّقَاءِ فَتَلْتَقَى ^(٨)

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) راجع تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٣٨ .

(٣) ديوان البحترى ٣٥٧ وطيف الخيال ٣٤ وفي م « هجرتني » .

(٤) ديوانه ٥٠٠ وطيف الخيال ٥٣ .

(٥) في الديوان « مني ويبعدني هجر فيبعد » .

(٦) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٨ .

(٧) في الديوان « من بعد فمكن من حشا ضرم » .

(٨) في الديوان وطيف الخيال « سبياً لنا » .

وقال :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ أَلَمْ بَنَّا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ^(١)
يُحْيِي هُجُودًا مُنْتَشِينَ مِنَ الْكَرَى وَمَا نَفْعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لِهَاجِدِ
إِذَا هِيَ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ تَقَطَّعَتْ تَعَطَّفَ أُمْلُودُ مِنَ الْبَانَ مَايِدِ
إِذَا وَصَلَتْنَا لَمْ تَصِلْ عَنْ تَعَمُّدِ وَإِنْ هَجَرَتْ أَبَدَتْ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ

وقال [من قصيدته التي أولها]

* قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ^(٢) *

خَطَرْتُ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةً خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا ثُمَّ أَضْمَحِلْ^(٣)
أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَصْداً سَرَى وَمُلْمٌ مِنْكَ لَوْ حَقًّا فَعُلْ
يَتَوَاعَى وَالْكَرَى فِي مُقْلَتِي فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلْ

وقال [من قصيدته التي أولها]

* شَدَمًا أَغْرَيْتُ ظُلُومًا بِهَجْرِي^(٤) *

طَرَقْتَنَا فِي الْخَيَالَاتِ سَقَمٌ أَمْ بَكْرٍ فَاسْعَفَتْ أَمْ بَكْرٍ^(٥)
فِي بُدُوٍّ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا وَرَقٌ مِنْ جَدِيدِهَا الْمُسْبِكِرِ^(٦)
كَمَلْتُ أَرْبَعٌ لَهَا بَعْدَ عَشْرِ وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعٌ بَعْدَ عَشْرِ

(١) ديوان البحري ٥٣ ، ١٤ / ٥٠٧ دار المعارف وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٩ .

(٢) ديوانه ٣٣١ وعجزه « سبق الوقت ضرراً وعجل » .

(٣) طيف الخيال ٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « ما أغرمت » وعجزه « بعد وجدى بها وغلة صدرى » .

(٥) في الديوان « وفي الخيلات نفسي » .

(٦) في الديوان « جديده » والمبكر : التام .

خَلَفْتُ جَارَهَا بِحُزْوَى وَبَاتَتْ
لو دَرْتُ مَا أَتَتْ لَمَنْتُ بِسُجْعٍ
بَيْنَ سَحَرَى شَرَوَى الضَّجِيعِ وَنَحْرَى
لم يُكْذِبْ ، وَنَائِلٍ غَيْرِ نَزْرِ^(١)
وقال :

قُلْ لِلْخِيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ
فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَيَّيْنِي
بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النِّيَامِ تُغْرِنِي
ضَاهَتْ بِحُلَّتِهَا تَلْهَبُ خَدَّهَا
بِذُنِي الْمَسَافَةِ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ^(٢)
وَبَعَثْتَ لِي الْأَشْجَانَ أَحْلَى وَافِدِ
رُودُ التَّشْنَى كَالْقَضِيبِ الْمَائِدِ
حَتَّى غَدْتُ فِي أَرْجُوَانِ جَاسِدِ
وقال :

بِعَيْنَيْكَ إِعْوَاليَ وَطُولُ شَهْقِي
عَلَى أَنْ تَهْوِيَا إِذَا عَارَضَ أَطْبِي
سَرَى جَائِبًا لِلْخَرَقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ
فَبَاتَ يُعَاطِبُنِي عَلَى رِفْقَةِ الْعِدَا
وَبِتُّ أَهَابُ الْمَسْكَ مِنْهُ وَأَتَّقِي
أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَغَتْ
وَمَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وَبُطْلٍ فَتَمَدَّ شَفْئِي
وَإِخْفَاقُ عَيْنِي مِنْ كَرَى وَخُفُوقِ^(٣)
سُرَى طَارِقٍ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ^(٤)
مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِ
وَيَمْزُجُ رِبْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِي
رُدَاعَ عَمِيرٍ صَابِكٍ وَخُلُوقِ^(٥)
إِلَى خَبَرِ أَدْنَايَ غَيْرِ صَدُوقِ
حَرَارَةِ مَتَبُولٍ وَخَبَلِ وَمَشُوقِ
وحسبك بهذا حُسْنًا وحلاوة .

(١) في الديوان « بنجح لم يكدر » .

(٢) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥٠ وطيف الخيال ٤٤٦ .

(٣) ديوانه ٥٢٢ ، ١٥٢٩ ، وطيف الخيال ٤٥ .

(٤) أطوى : دعا .

(٥) رداع العبير : أثره في الجسد ، رسائل : لاصق .

وقال :

أَحْبَبَ إِلَى بَطِيفٍ سَعْدَى الْآتِي وَطُرُوقُهُ فِي أَعْجَبِ الْأَوَاقِ^(١)
 أَنِّي أَهْتَدَيْتَ لِمُحَرِّمِينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رَبِّي عَرَفَاتِ
 ذَكَرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا بَيْنَ الْقَنَانِ السُّودِ وَالْهَضَبَاتِ^(٢)
 إِذْ أَنْتَ شَكَلَ مُخَالِفٍ وَمُؤَافِقٍ وَاللَّهْرُ فِيكَ مُمَانِعٌ وَمَوَاتِ
 لَوْلَا مُكَاثَرَةُ الْخُطُوبِ وَنَحْتُهَا مِنْ جَانِبِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي^(٣)

* * *

وما علمت أحداً من القدماء قال في طُرُوقِ الخيال أحسن من قولِ قيس
 ابن الخطيم . قال :

أَنِّي سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَخْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ^(٤)
 مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوَتَّيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبٍ
 / ثم جاء البحتريُّ فأبَرَّ على قيسٍ وكلِّ أَحَدٍ . ولم أَسْتَقْصِ ههنا كل
 ما قاله فيه لكثرتِه .

وما أحسن ما قال عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ :

بَصْطَادُ يَقْظَانَ الرِّجَالِ حَدِيثُهَا وَتَطِيرُ بِهَجَّتُهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ

* * *

(١) ديوان البحتري ٤٥٤ ، ٣٦٣/١ وطيف الخيال ٤٥ .

(٢) في الديوان « بين القباب البيض » .

(٣) م « لولا مكابرة » .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٥ وديوان المعاني ١ / ٢٧٦ وأمال اليزيدي ٧٩ والتشبيات ٧٥
 وحاسة ابن الشجري ١٨٩ وجموعة المعاني ١٤٥ وأمال المرتضى ١ / ٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ وأمال القائل
 ٢ / ٢٧٣ والأول في اللسان ١ / ٤٤٥ .

وقال البحرى :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلٍ أَشَادَ بِهِ طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا^(١)
 دَنَا إِلَى عَلَى بُعْدٍ فَأَرَقْنِي حَتَّى تَبْلُجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فَاتَّضَعَا
 عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا
 قَالَ : « تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ ، وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ » . فكيف
 يقول : وما بَرَحَا ؟

أراد ما برح على الحقيقة .

فإن قيل : هي لم تبرح على الحقيقة فأما خيالها إذا طَرَقَ وهي بعيدة
 نائية فقد برح .

قيل : خيالها إنما هو صورتها التي تتصور في النفس . والصورة أيضاً
 غير نازحة على الحقيقة . فقولهم : طرق الخيال ، وزار الخيال - مَجَازٌ .

ويجوز أن يكون قوله : « وما برحا » أى ما برحت هي ، وجعل خيالها
 بدلاً منها ، ووضعها في موضعها ؛ لأنه هي . ألا ترى إلى قول جرير :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ^(٢)

قيل : إنه أراد خيالها فوضعها في موضعها ؛ لأن خيالها ليس هو شيئاً
 غير صورتها .

/ وقد استجنى الناس قوله : « فارجعي بسلام » . وإنما قال هذا لأنه

عَاتَبَ عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

(١) ديوان البحرى ٥٦ ، ١ / ٤٤٠ دار المعارف وطيف الخيال ٤٦ .

(٢) ديوانه ٥٥١ .

لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي عَاهَدْتَنَا لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ^(١)

أو لم يمنعه طرده الخيال أن قال بعد هذا :

تُجْرِي السَّوَاكَ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدَ تَحَدَّرَ مِنْ مُتَوْنٍ غَمَامٍ

وهذا وإن كان الناس قد تقدموه بتشبيهه الشجر [بالبَرْد] فإن هذا لفظ وسبك في غاية الجودة والحلاوة والبراعة .

• • •

وأول من طرد الخيال طَرْفَةً فقال :

فَقُلْ لِيَخِيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ^(٢)

وهذا أعذر من جرير ؛ لأنه قال : « فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ » ، فدل على أن الحَنْظَلِيَّةَ هجرته وواصله غيرها فطرد خيالها .

• • •

وقد دعا الأعشى على الخيال فقال :

هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ أَمْرِهَا مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا^(٣)
أَيَّ أَزَالَهُ كَزَوَالِهِ .

وما أظن جريراً ، ولا الأعشى قبله كَرِهَا الخيال على الحقيقة ، وإنما أراد أن زيارته في غير وقتها شاغلة لنا عن حالنا التي نحن عليها .

• • •

(١) في الديوان « كالذي حدثنا » .

(٢) ديوان طرفة ٢٠ .

(٣) ديوان الأعشى ٢٢ « من هما » وفي اللسان ٣٣٣/١٣ - ٣٣٤ « قيل معناه : زال الخيال زوالها . قال ابن الأعرابي : وإنما كره الخيال لأنه يهيج شوقه . وقد يكون بالرفع « زال زوالها » على الإقواء . قال أبو عمرو ؛ وهذا مثل للعرب قديم تستعمله العرب بالرفع ، فسمعه الأعشى ، فجاء به على استعماله ، والأمثال تؤدى على ما فرط به أول أحوال وقوعها . والمعنى على النصب : زال عنا طيفها بالليل كزوالها هي بالنهار » .

وقال البحرى :

/ أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبُ جَاءَ يُهْدَى مِنْ جَبِيبِ^(١)
تَخَطَّى رَقَبَةَ الْوَاشِينَ وَهَنًا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرْقِ الْمَجُوبِ^(٢)
يُكَادِ بَنِي وَأَصْدُقُهُ وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

(١) ديوان البحرى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف وطيف الخيال ٤٩ .
(٢) م « الوشين حتى وهنا » .

ما قالاه في الشَّيب والشَّبَاب ووصف الكبر والعزوف عن الصبا ، ونحو ذلك

وأفتتح هذا الباب بما لهما من ابتدآت القصائد في نحو معانيه .

قال أبو تمام :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ لِفَاعاً مُغْدِفاً يَقَقّاً فَقَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَّفَا^(١)

قوله : « لِفَاعاً » يريد لباساً . يقال : لَفَعَ المشيبُ رأسَه : إذا شمله وعلاه .

والمُغْدِفُ : المسبل . يقال : أَغْدَفْتُ السُّتْرَ إذا أُسْبِلْتَه . وَمِذْرَوَاهُ

ها هنا : قَوْداً . وَمِذْرَوا كُلُّ شَيْءٍ : ناحيته . وقد استعملنا كثيراً في أطراف
الْأَلْيَتَيْنِ حتى صارا كالاسم لهما .

وقوله : « نَصَّفَا » أى قَنَعَ جانبي رأسه حتى بلغ النُّصْفَ منه .

وقد قيل : إنما أراد بقوله : « نَصَّفَا » - النُّصِيفَا ، وهو قناع لطيف ،

يكون مثل نِصْفِ القِنَاعِ الكبير . وقد ذكره النَّابِغَةُ فقال :

« سَقَطَ النَّصِيفُ ، وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطُهُ »^(٢) *

فإن ذلك لا وجه له^(٣) بعد ذكر القناع . وإنما أراد أبو تمام ما أراد .

الآخر بقوله :

/أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَأُكْسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيبِ قِنَاعَا

فالمعنى مُكْتَفٍ بقوله « قَنَعَ مِذْرَوِيَهُ » . وقوله « نَصَّفَا » أى بلغ نصف رأسه .

(١) ديوان أبي تمام ٤٠١ « له قناعا » .

(٢) ديوان النابغة ٣٦ وعجزه « فتناولته واتقتنا باليد » .

(٣) م « ذلك لا وجعله بعد » .

وقال أبو تمام :

يَضْحَكُنْ مِنْ أَسَفِ الشَّابِّ الْمُدِيرِ يَبْكِينَ مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ^(١)

وهذا بيت ردىء . وما سمعت بضحك من الأسف إلا فى هذا البيت ،
وكانه أراد قول الآخر :

« وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ »

فلم يهتد لمثل هذا الصواب .

وقوله : « مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ » - ليس بالجيد أيضاً ، ولو
كان ذكر الليل على الاستعارة لحسن أن يقول مقمر ؛ لأنه كان يجعل سواد
الشعر ليلاً ، وبياضه بالمشيب إقماره ؛ لأن قائله لو قال : أقمر ليل
رأسك ، كان من أصح الكلام وأحسنه . وإن لم يذكر الليل أيضاً حتى
يقول : قد أقمر عارضاك ، أو فوداك - لكان حسناً مستقيماً ، وهو دون
الأول فى الحسن ؛ وذلك أنه قد علم أنهما كانا مظلّمين فاستنارا^(٢)

وسقى الله البحترى الغيث إذ يقول :

لِيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقٍ^(٣)

ولمّا أراد أبو تمام قول دعبل :

« ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى »^(٤)

فأفسد المعنى .

(١) ديوان أبى تمام ٣٩٨ « فبكين » .

(٢) راجع نقد المرتضى لهذا فى الشهاب ص ٦ .

(٣) ديوان البحترى ٥١٨ .

(٤) صدره : « لا تعجبى يا سلم من رجل » وانظر ديوان دعبل ١٧٨ .

وقال :

أَبَدْتُ أُمِّي أَنْ رَأَيْتَنِي مُخْلِيسَ الْقُصْبِ . وَأَلَّ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ^(١)

/ يقال : رَأْسٌ مُخْلِيسٌ . وَخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب . والقُصْبُ :
هي خُصْلَةُ الشَّعْرِ .

«وَأَلَّ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ» . أي عُجْبٌ وَمَحَبَّةٌ . «إِلَى عَجَبٍ»
أي عَجَبٍ مِنْ شَيْءٍ .

وقال في العُزُوفِ عَنِ الصَّبَا :

أَبَى : فَلَا سُنْبًا يَهْوَى ، وَلَا فَلَجًا وَلَا أَحْوَرَارًا يُرَاعِيهِ ، وَلَا دَعَجًا^(٢)
وهذان ابتدآن صالحان .

وللبحتري في هذا الباب ابتدآت كثيرة تصرّف فيها أحسن تصريف ،
وَأَفْتَنَ فِيهَا أَحْلَى افْتِنَانٍ . وذلك قوله :

أَبْعَدَ الْمَشِيبِ الْمُنتَضَى فِي الذُّوَائِبِ أَحْوَالُ لُطْفِ الْوُدِّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ^(٣)

وقال :

رَأَتْ وَخَطَّ شَيْبٌ فِي عِزَارِي فَصَدَّتْ وَلَمْ تُنْظِرْنِي مِنْ جَوَى قَدْ أَجَدَّتِ^(٤)

وقوله :

غَلَسَ الشَّيْبُ ، أَوْ تَعَجَّلَ وَرْدُهُ وَاسْتَعَارَ الشَّبَابَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ^(٥)

(١) ديوان أبو تمام ١٥ وشرح التبريزي ١١٥/١ والشهاب ١٠ .

(٢) ديوانه ٦٨ وشرح التبريزي ١ / ٣٣٣ .

(٣) ديوان البحتري ١٥٢ ، ١٠٨ / ١ دار المعارف وفي م «المنتقى» .

(٤) ديوانه ٧٥٢ «شيب من قريب . . ولم ينتظره في نوى قد» ، ١ / ٣٦٩ دار المعارف .

(٥) ديوانه ٤٧٣ ، ١ / ٥٠٩ .

وقوله :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ سُبِقَتْ بَغْضُهُ وَحَطَطَتْ رَحْلُكَ مُسْرِعاً مِنْ نَقْضِهِ^(١)

وقوله :

تَرَكَ الشَّبَابَ لِلْإِسْمِهِ وَبَيْضًا وَنَضًا مِنَ السَّتِينِ عَنْهُ مَا نَضًا^(٢)

/ وقوله :

لَا بَيْسَ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاصِرٍ وَلِيْلِحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ^(٣)

وقوله :

شَرَحُ الشَّبَابِ أَخُو الصَّبَا وَالْيَفَةُ وَالشَّيْبُ تَرْجِيَةُ الْهَوَى وَخُفُوفُهُ^(٤)

وقوله :

هَآ هُوَ الشَّيْبُ لَا يَمَّا فَافِيقِي وَأَتُرْكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(٥)

وقوله :

قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ سَبَقَ الْوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجَلٌ^(٦)

وقوله :

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا تَلَوُّمٌ رَاحِلٍ وَأَغْنَى الْمَشْيِبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوَازِلِ^(٧)

(١) ديوان البحترى ٢٨٨ ، ٢ / ١١٩٥ دار المعارف « عن نقضه » .

(٢) ديوانه ٢٩٠ ، ٢ / ١١٩٨ دار المعارف ، « ترك السواد » وأمالى المرتضى ١ / ٦٦٢ ،

١٣٥ / ٢ .

(٣) ديوانه ٣٩٢ ، ٢ / ١٢٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ .

(٤) ديوانه ١٤ .

(٥) ديوانه ٤٣٥ « إذ كان » وأمالى المرتضى ١ / ٦٠ .

(٦) ديوانه ٣٣١ « الشيب بدا » .

(٧) ديوانه ٦٣٨ .

وقوله :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خَبَالًا مُسَلَّمًا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ تَصَرَّمًا^(١)

وقوله :

لَا جَدِيدُ الصَّبَا وَلَا رِبْعَانُهُ رَاجِعٌ بَعْدَمَا تَقْضَى زَمَانُهُ^(٢)

وقوله :

/ بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِيَ جَدِيدُهُ بَيْنَ أَعْوَانٍ طَالِبٍ وَوُجُودِهِ^(٣)

وقوله :

خَطَطُهُ فَلَمْ تَحْفَلْ بِهِ الْأَعْيُنُ الْوُطْفُ وَكَانَ الصَّبَا إِلْفًا فَوَدَّعَهُ الْإِلْفُ

وقال في العُزُوفِ عن الصَّبَا :

إِلَيْكَ مَا أَنَا عَنْ لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ مُنِيتَ مِنْهُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُنْقَلَبٍ^(٤)

وقال :

أَطَاعَ عَازِلَهُ فِي الْحَبِّ إِذْ نَصَحَا وَكَانَ نَشْوَانٍ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا فَصَحَا^(٥)

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْ لَا أَنَّهُ حَجَرُ^(٦)

(١) ديوان البحري ١٢٦ .

(٢) ديوانه ٣١٩ « تقضى أونه » .

(٣) ديوانه ٥٧٤ « بات » .

(٤) ديوانه ٤٩٩ ، ١٠ / ١١٩ دار المعارف « من لهو » .

(٥) ديوانه ٥٦ ، ٦ / ٤٤٠ « سكر الهوى » .

(٦) ديوانه ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ « وبالغ منه » .

وقال :

أَنْزَاعًا فِي الْحَبِّ بَعْدَ نُزُوعِ وَذَهَابًا فِي الْغَىِّ بَعْدَ رُجُوعِ^(١)

وقال :

لِأَيَّةٍ حَالٍ أَعْلَنَ الْوَجْدَ كَاتِمَةً وَأَقْصَرَ عَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ لِأَيْمَةٍ^(٢)

وقال :

إِنِّي تَرَكْتُ الصَّبَا عَمْدًا فَلَمْ أَكْدِ مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا فَتْدِ^(٣)

/ وهذا باب أبرّ فيه البحترى على أبي تمام .

قوله : « أَبْعَدَ الْمَشِيبِ الْمُنْتَضَى »^(٤) . ويقال : نَضَا الْحَنَاءَ عَنِ الْيَدِ
يَنْضُو ، وَنَضًا ثَوْبَهُ عَنْهُ يَنْضُوهُ ، أَيْ نَزَعَهُ ، وَأَنْتَضَى السَّيْفُ : انْتَزَعَهُ مِنْ
غِمْدِهِ . فَجَعَلَ الشَّيْبَ مُنْتَضَى فِي الذَّوَائِبِ أَيْ مَشْهُورًا فِيهَا عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ .
كَأَنَّهُ جَعَلَهُ سَيْفًا سُلَّ فِي رَأْسِهِ .

وأجود من هذا قوله :

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينِنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ لِمَفْرِقِ^(٥)

(١) ديوان البحترى ٤٢٠ « أنزاعا » ! وفسرها ناشره بالمرح والنشاط ! ، ٢ / ١٢٧٩ .

(٢) ديوانه ٤٧٨ وفي م « عن راغى » .

(٣) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٣ دار المعارف « ولم » .

(٤) سبق ص ١٩٢ .

(٥) ديوانه ٧٧ « الشيب لاح بمفرق » .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف الشيب وذمه

قال أبو تمام :

عَدَا الهمُّ مُخْطَاطًا بِفَوْدَيَّ خُطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٌ^(١)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقَالِي ، وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
وَنَحْنُ نَرْجِيهِ عَلَى الْكُرْهِ وَالرَّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٢)

وهذه كلها معانٍ جيدة صحيحة مستقيمة .

» * «

وقال :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ أَسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْأَحْشَاءِ حُزْنًا صَمِيمًا^(٣)
يَسْتَشِيرُ الْهُمُومَ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُعْدًا ، وَهَى تَسْتَشِيرُ الْهُمُومَ^(٤)
/ غُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٣٢٤ / ٢ وأمال المرتضى ٦٠٩ / ١ والشهاب في الشيب والشباب المرتضى ٦ ومجموعة المعاني ١٢٥ .

(٢) في شرح التبريزي : « ونحن نرجيه » ونقل شرحها عن أبي العلاء المعري : « نرجيه : نحمله ونسوقه على أن يسير . يقول : نحن على سخطه راضون به ؛ لأنه لا بد منه وإن كنا نبغضه ، فثله مثل الأنف الأجود يعلم الفتى أنه قبيح وقد ثبت أنه من وجهه » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٢٢٣ / ٣ « الفؤاد ثكلا صميما » وأمال المرتضى ٦٠٩ / ١ والشهاب ٧ وحامسة ابن الشجري ٢٤١ .

(٤) م « تستشير . . . وهى تستشير » .

(٥) « غرة همة » وفي شرح التبريزي « وروى » : وقالوا : غرة همة على معنى التضاد ، أى =

رَقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَمَا سُمِّي اللَّذِيعُ سَلِيمًا^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا^(٢)

وهذه كلها أيضاً [أبيات] جيدة ، والأغراض فيها^(٣) حسنة مستقيمة .

وقوله : «تستثير الهموم ما اكنن منها» - يريد أنها لما بدت حزنْتُ ،
واهتممت ، فصار اهتمامي يزيد فيها ؛ لأن الهم - على كل حال - يشيب .

وقوله : «وهي تستثير الهموما» - قول صحيح أيضاً ؛ لأنه كلما بدا
منها شيء زاد همه . فالهم يجلبها ، وهي تجلب الهم .

وأخذ البحترى قوله :

غُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيمًا !

فقال :

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ ، وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُقَوِّفٍ^(٤)

• • •

وقال البحترى :

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شَفَاعَةً وَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٍ بِشَفِيعِهِ^(٥)

= اسمها غرة ، وهي ضد ذلك في الحقيقة . والهمة من قولك : فرس بهيم ، وهو الذي لا يخالط لونه غيره ،
كأنه أبهم عن الشيات ، أي أغلق دونها . وجائز أن يجعل نفسه بهيماً لأنه أراد الشعر ، وأنه أيام كان
أسود لم تكن له غرة ، أي شيب .

(١) في الديوان وشرحه « دقة » .

(٢) في شرح التبريزي « أي زعمتم أن شلة الشيب قد صيرتني حليماً وتم بها عقل ، وأنا أرى أنني
قبل هذا كنت حليماً كاملاً » .

(٣) م « فيه » .

(٤) ديوان البحترى ٦٧٦ وقد نقله الشريف المرتضى في الشباب ٧ ثم نازعه في دعوى الأخذ ،

وفضل بيت أبي تمام . وفي م « عجب » .

(٥) ديوان البحترى ٣٧٢ ، ١٢٧٦ / ٢ دار المعارف . والأبيات في أمالي المرتضى ١ / ٦١٨ .

مَشِيبٌ كَبْتُ السَّرَّ عَى بِحَمْلِهِ مُحَدَّثُهُ ، أَوْصَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ^(١)
تَلَاخَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سَرِيعِهِ
وهذا أيضاً في وصف الشيب حسن جداً .

وقال البحتري :

/ رُدِّي عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ فَاعِلَةً إِنَّ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرَبِي^(٢)
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتاً إِلَى بَنَاتِ الرَّدَى تَرَكُضْنَ فِي طَلْبِي^(٣)
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِئْتَهُ وَلَا نَجَاءَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْهَرَبِ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطْناً صَبَّتْ عَلَيْهِ ضُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثْبِ^(٤)

وقال :

لَا بَيْسَ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَهُلِيجٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ^(٥)
وَإِذَا مَا أَمْتَعَضْتَ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ بِرَأْسِي لَمْ يَشْنِ ذَلِكَ أَمْتَعَاضِي^(٦)
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مُرُوٌّ فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاوُضِ
بَاكَرْتُ لِمَتَّى . وَنَاكَرْتُ مِنْهَا سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ^(٧)
شَعَرَاتُ أَقْصَهُنَّ رِيْرَجِعْ نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
وَأَبْتُ تَرْكِي الغُدِّيَاتِ وَالْآ صَالِ حَتَّى خَضِبْتُ بِالْمِقْرَاضِ^(٨)

(١) ديوانه « كبت السر » ومعناها واحد .

(٢) ديوان البحتري ٤٩٩ / ١٠ / ١١٩ « أين الهوى » وأمال المرتضى ١ / ٦١٩ والشهاب ١٤ .

(٣) في الديوان : « بنات الدى » .

(٤) في الديوان « حطت عليه . . من صب » .

(٥) ديوانه ٣٩٢ وأمال المرتضى ١ / ٦١٩ والشهاب ١٤ .

(٦) في الديوان « لم يعد ذلك » .

(٧) م « باكرت . . وناكرت » في الديوان « ليس سوء الأخلاق » .

(٨) راجع ما قاله المرتضى عن هذا البيت في الشهاب ١٤ .

غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّعَلُّلَ مِنْ شَحْصٍ عَدُوٍّ لَمْ يَعُدَّهُ إِبْغَاضِي
 وَرُوءَاءِ الْمَشِيبِ كَالْبَحْصِ فِي عَيْدٍ نَبِيٍّ فَقُلْتُ فِيهِ فِي الْعُيُونِ الْمِرَاضِ^(١)
 طَبِيتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَاسَوٍّ وَدَ مِنْ صَبَغٍ بُرْدِهِ الْفَضْفَاضِ
 فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارَكَاتِي وَلُبَسَ هَذَا الْبَيَاضِ

/ وهذا هو الذي يأخذ بمجامع القلب . ويستولى على النفس . ومن حذق الشاعر أن يُصوِّرَ لك الأشياءَ بصورها . ويعبر عنها باللفاظها المستعملة فيها . واللائقة بها . وذلك مذهب البحتری وصناعته ؛ ولهذا ما كثر الماء والروْنَقُ في شعره . وقالوا : لِشِعْرِهِ دِيْبَاجُهُ . وما قبل ذلك في شعر أحد من المتأخرين غيره .

* * *

وقال :

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ بَرٍّ وَعُلُوَّةٍ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرُ^(٢)
 وقوله « ما أنس لا أنس » جُزِمَ : لَأَنَّهُ شَرَطُ وَجْزَاء .
 كَوَاكِبُ شَمَوقٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ^(٣)
 وَإِنِّي وَجَدْتُ - فَلَا تَكْذِبَنَّ - سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعْرِ
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْ نِ : إِمَّا الشَّبَابُ ، وَإِمَّا الْعُمُرُ

(١) في اللسان ٨ : ٢٦٩ « البحص : لحم فاق فوق العينين أو تحتهما كهيئة النغمة » .

(٢) ديوان البحري ٩٩ ، ٨٤٨ / ٢ دار المعارف ، وأما المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ١٥ .

(٣) في الديوان « كواكب شيب » .

قوله :

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى أَثْنَتَيْهِ : إِمَّا الشَّبَابَ ، وَإِمَّا الْعُمَرَ

عليه في هذا البيت مُعَارَضَةٌ . وهو أن يقال : إنَّ من مات شاباً فقد فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لا محالة ، فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ، وقوله : إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمَرَ - لا يوجب إلا أحدهما .

وَالْعُدْرُ لِلْبَحْتَرَى أَنْ يَقَالَ : إِنَّ مَنْ مَاتَ شَابّاً فَإِنَّمَا فَارَقَ الشَّبَابَ وَحْدَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ فَيَكُونُ مَفَارِقاً لِلْعُمَرِ . أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ : فَلَانْ عُمَرٌ : إِذَا أَسَنَّ . وَفَلَانْ لَمْ يُعَمَّرْ : إِذَا مَاتَ شَابّاً أَوْ وَهُوَ فِي حُدُودِ الشَّبَابِ . وَمَنْ شَابَ وَعَمَّرَ ثُمَّ مَاتَ لَمْ يَكُنْ مَفَارِقاً لِلشَّبَابِ فِي حَالِ مَوْتِهِ [لِأَنَّهُ قَدْ قَطَعَ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَتَقَدَّمَتْ مَفَارِقَتُهُ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي حَالِ مَوْتِهِ] ^(١) مَفَارِقاً لِلْعُمَرِ وَحْدَهُ . فَإِذَا هَذَا ذَهَبَ الْبَحْتَرَى . وَهُوَ صَحِيحٌ . وَلَمْ يَرِدْ بِالْعُمَرِ هَهُنَا : الْكَبِيرُ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُ ثِمَتُهُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ ^(٢)

ومثله قول آخر :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَانِقُهَا ^(٣)

(١) الزيادة من الشباب ١٥ وأمال المرتضى ١ : ٦٢٦ .

(٢) ديوان زهير ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢ وقد قال المرتضى عقب نقله لهذا في الأمالي

١ : ٦٢٦ « وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الراسين . ومعنى

البيت غير ما توهمه ، وهو أظهر من أن يخفى حتى يحتاج فيه إلى هذا التعليل والتجسس .

فقل كلامه الفويل في الشباب ١٥ - ١٦ .

(٣) لامية بن أبي الصلت كما في السائر ٩ : ٢٢١ وعبطة : شاباً .

وهذا أجود من بيت زهير ومن بيت البحتري ؛ لأنه جمع المعنيين في
المصراع الأول ، وهو مستغنى عن المصراع الثانى .

ولولا قوله :

« مَشِيبٌ كَبَتْ السَّر » .

و « فَهَلْ الْحَادِثَاتُ يَا أَبْنِ عُوَيْفٍ » - لفضلت أبا تمام عليه ، ولكنى
أجعلهما متكافئين .

كره النساء للمشيب

قال أبو تمام :

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الطَّبَّاءِ كَأَنَّمَا رَأَتْ بَيَّ سَيِّدَ الرَّمْلِ وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ
لَيْنُ جَزَعِ الْوَحْشِيِّ مِنْهَا لِرُؤْيَايَ لِأَنِّي سَيِّبُ رَأْيِي أَجْزَعُ^(١)

وهذا غاية في حسنه وصحة معناه .

قوله : « سَيِّدُ الرَّمْلِ » يريد الذئب . وقوله : « وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ » أى
أوله مختلط بسواد الليل ، يريد وقت طلوع ، الفجر . وكل ما اسودَّ أوله ،
وابيضَّ آخره فهو أَذْرَعُ ، وشاةٌ دَرَعَاءُ للتي اسودَّ رأسها وعنقها ، وسائرُها أبيض .
وإنما قال ذلك لَأَنَّ الطَّبَّاءَ تخاف الذئب في ذلك الوقت ، لَأَنَّ لونه
يخفى فيه لُغُبَتِهِ ، فلا تكاد تراه حتى يخالطها . وهو الوقت الذى تَنْتَشِرُ^(٢)
فيه الطَّبَّاءُ ، وتخرج من كنسها لطلب المرعى^(٣) . والغنم يخرجها أهلها
بعد هذا الوقت .

وقال أبو تمام :

لَعِبَ الْبَيْنُ بِالْمَفَارِقِ ، بَلْ جَدُّ دَ ، فَأَبْكِي تُحَاصِرًا وَلَعُوبًا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ : ٣٢٢ والشهاب ٨ .

(٢) م « الذى تشر » والتصويب من الشهاب .

(٣) نقل المرتضى هذا التأويل ثم أجازته وقال إن البيت يحتمل سواء ، راجع تفصيل ذلك في الشهاب

٨ - ٩ .

(٤) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١ : ١٦٦ - ١٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٠ والشهاب ٩ وفى

جميعها « لعب الشيب » .

خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دِمَاً أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبًا
 كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا الْفَطِيْعَيْنِ : مَيْتَةً ، وَمَشِيْبًا
 يَا نَسِيْبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ دُنُوبًا^(١)
 وَلَيْثُنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَذْ كَرَنْ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
 أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قَلِيْ لَكَفَى بِاللَّهِ مِبْرَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُنَّ حَسِيْبًا
 لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
 وهذا البيت الأخير من شعره الجيد المشهور .

ومن يتعصب عليه يقول : إنه ناقض في هذه الأبيات ؛ لقوله : « فَأَبْكِي
 تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا » وقوله : « خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دِمَاً » . ثم قال :
 ١. نَسِيْبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي ، عِنْدَ الْحَسَنِ دُنُوبًا
 وقوله : « وَلَيْثُنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ » .

وقالوا كيف يَبْكِينَ دِمَاً على مَتِيْبِهِ ثم يَعِيْنَهُ ؟
 وليس ها هنا تناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُمَاضِرًا ولعوبًا أَسْفًا
 على شبابه ، والحسان اللواتي عِيْنَهُ غَيْرُ هَاتَيْنِ المَرَاتَيْنِ ، فيكون من أَشْفَقَ
 عليه من الشَّيْبِ منهن وأَسْفَ على شبابه - بَكَى ، كما قال الْأَخْطَلُ :
 لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الْمَشِيْبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ^(٢)
 ولم تلك هذه حال من عابه^(٣) . وهو مستقيم صحيح^(٤) .

(١) ويرى : « عند الغواني » .

(٢) ديوانه ١٥٨ .

(٣) م « ومن لم تلك هذه حاله عابه » .

(٤) راجع نقد المرتضى في أماليه ١ : ٦١١ وفي الشهاب ٩ .

وقول الأخطل : بَكَتْ لَهُ . أى الشباب . ولكن أبا تمام لم يرض أن يقول : بكّت فيكون أمراً قريباً مشبهاً . حتى قال : « بكّت الدم » على مذهبه في الخروج عن الحد في كل شيء .

* * *

وقل :

رَاحَتْ غَوَائِي الْحَيَّ عَنْكَ غَوَائِيَا يَلْبَسُنْ نَأِيًا تَارَةً وَصُدُودًا^(١)
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرِيَتَيْنِ عَمِيدًا^(٢)
أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنًا غِيدًا أَلِفْنَهُمْ لِدَانًا غِيدًا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودًا

قوله : « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ » . هو من أَرَبَ بالشيء إذا لَزِمَهُ وَأَقَامَ عَلَيْهِ ، يقال : أَرَبَ به ، وَأَلَبَّ إذا لَزِمَهُ . يريد أنهم أَرْبَيْنَ^(٣) هَوَى المُرْدِ ، وَأَقَمْنَ عَلَيْهِ .

ورواه قوم « أَرْبَيْنَ بالمرء » . من الرِّبَا الذى معناه الزِّيَادَةُ يقال^(٤) : قد أَرَبَى الرجل إذا زاد . فيقول : « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ أى زِدْنِ عَلَيْنَا بِهِمْ ، أى جعلن المُرْدَ زيادة اخترنها علينا^(٥) » فما يقبل الرجل الزيادة فى الشيء

(١) ديوان أبى تمام ٨٧ وشرح التبريزى ١ : ٤١٣ وأما المرتضى ١ : ٦١١ والشهاب ١٠ .
(٢) فى شرح التبريزى عن أبى العلاء المرمى : « سَابِغَةُ الشَّبَابِ : أى قد جرى شَبَابُهَا فى جميع جسدها . استعار السَّبُوغَ للشَّبَابِ . وعميد القريتين : رئيسهما ، والقريتان : مكة والطائف . وعميدا : من قولك عمده الحب : إذا ذهب بقاءه . وإنما بنى الطائي هذا الكلام على قوله عز وجل : (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد استعملوا فى صدر الإسلام نحوه من ذلك فقالوا : ليس فلان بعظيم القريتين ، أى ليس هو برئيس » .

(٣) « أَرْبَيْنَ » .

(٤) م « فقال » .

(٥) نقل المرتضى شرح الأمدى هذا من غير أية إشارة إليه فى أماليه ١ / ٦١١ .

الذى يُعْطَاهُ فَاصِلًا مِنْ حَقِّهِ . ويرغب فيه يقال : قد أَرَبَى . فألى هذا ذهب من قال : أَرَبَيْنَ . لا إلى قولهم : أنا أَرَبُأُ بك عن كذا . لأن هذا مَهْمُوزٌ مَعْنَاهُ : أنا أَرْتَفَعُ بك ، أو أَرْفَعُكَ عن كذا . من الرَبِيبَةِ والأَرَبِيبَاءِ وهو الذى يصعد لأصحابه إلى شَرْفٍ عَالٍ فيرصد أعداءهم^(١) إذا قصدوهم فيراهم من بعد فَيُنْذِرُ بهم . فكأن قوله : « أَرَبَيْنَ بِالْمُرْدِ » أى أخذن المُرْدَ رباً علينا لِمَا فيهم من الزيادة التى اخترن^(٢) علينا وتركننا .

والمعنى الأول أقرب لفظاً .

وعلى أى الوجهين كانت اللفظة فهى غير حسنة . ولا لائقة . ولا هذا الموضع موضعها بالباء كانت [أم] بالياء .

وقيل : أخذ قوله^(٣) « أَحَلَّى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً » من قول الأعشى :
وَأَرَى الْغَوَايِ لَا يُوَاصِلُنْ أَمْرًا فَقَدَّ الشَّبَابَ . وَقَدْ يَصِلُنْ الْأَمْرَدَا^(٤)
وقال مَنْصُورُ النَّمْرِى :

كَرِهَنْ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِى لَوْ رَأَيْتَهُ بِهِنْ رَأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنْ أَزُورَا^(٥)

ونحو هذا قول آخر :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْغَوَايِ بِمَوْقِعِ شَيْبِهِنْ مِنَ الرَّجَالِ^(٦)

(١) م « أعدادهم » .

(٢) م « اخترنا » .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « ويقال : إنه أخذ قوله أحلى إلح » .

(٤) ديوان الأعشى ١٥١ والشهاب ١٠ .

(٥) فى أمالى المرتضى « رأيته بهن رأين » .

(٦) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « كوقع مشبهن » .

وقال البحرى :

تَعِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَى شَيْئِ وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ^(١)
وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَقْضَى حَمِيداً - دُونَ وَجَدِي بِالْمَشِيبِ

وهذا من فاخر هذا الباب وعجيب مذاهبه ، ومن إحسان أبى عبادة المشهور .

وقال البحرى أيضاً :

أَعْدَاوَةٌ كَانَتْ فَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى أَنْ يَصْطَفِي فِيهِ الْعَدُوَّ حَبِيباً^(٢)
أَمْ وَصْلَةٌ صُرِفَتْ فَعَادَتْ هَجْرَةً أَنْ عَادَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ مَشِيئاً
أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَنْلٍ فَاحِمٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيئاً^(٣)
فَعَجِبْتَ مِنْ خَالِئٍ خَالَفَ مِنْهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتَ عَجِيئاً
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطُّلُوبَ وَأَذْرَكَ الْمَطْلُوبَا

قوله : « جَوْنَ الْمَفَارِقِ » . والجَوْنُ هاهنا : الأبيض ، فلذلك قال :
« بِالنَّهَارِ خَضِيئاً » وخَضِيبُ البياض غير معروف ولا جرت بمثله عادة .
وإنما الخضاب بالسواد والصفرة . وذلك أن الخضاب إنما هو صِبْغٌ ، والبياض
ليس بصبغ ولكن هو المصبوغ . والبحرى إنما جعله خضاباً لأنه لون حدث
بعد لونٍ قَبْلَهُ فلماذا مَا جَعَلَهُ كَالْخَضَابِ .

(١) ديوان البحرى ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ والشباب ١٦ « يعيب » وأمال المرتضى ١ : ٦٢٠ وفى م
« أمتع بالمشيب » .

(٢) ديوانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ والشباب ١٧ .

(٣) هذا البيت والأبيات بعده نقلها المرتضى فى أماليه ١ : ٦٢٠ .

(٤) حتى هذا الشرح نقله من غير عزو .

وقال :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَأَبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ^(١)
أَعَاتِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مَبْعَدِي
تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا أَزْدَدْتُ لَوْعَةً طِلَابًا لِأَنْ أُرْدَى فِيهَا أَنَا ذَا رَدِي^(٢)
مَتَى أُدْرِكُ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ أَنْفَا إِذَا كَانَ يَوْمِي فِيكَ أَحْسَنَ مِنْ غَدِي^(٣)

وهذا معنى في غاية الحسن والحلاوة .

وقوله : « فابتسمت لها » . يريد استهزأت . وهذا [جرت عادة النساء أن يضحكن من الشيب ويستهنزن لا أن] يبكين كما قال أبو تمام ولم يقنع إلا ببكاء الدم^(٤) .

وقال البحترى :

عَنْتُ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكِ مَا إِنْ تَزَالَ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبًا^(٥)
وَحُمِلْتُ عَنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِي بِرٍ حَتَّى كَأَنِّي أَبْتَدَعْتُ الْمَشِيئَا
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ يُلَاقِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيبًا^(٦)

عهدي بالشيوخ من أهل العلم بالشعر إذا تذكروا ما قيل في الشيب لا يقدمون على قوله :

• وَحُمِلْتُ عَنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيْبِ •

(١) ديوان البحترى ٢٣١ ، ٢ / ٧٧١ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٧ .

(٢) م « تردين هجرا » .

(٣) في الديوان « متى ألحق » .

(٤) الزيادة من الشهاب ١٧ .

(٥) راجع ص ٢٠٤ وانظر نقد المرتضى لذلك ١٧ - ١٨ .

(٦) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٨ .

(٧) في الديوان « يحى من الشيب » .

وقال :

وَقَدْ دَعَانَا نَاهِيًا فَاسْمَعْنِي وَخُطُّ عَلَى الرَّأْسِ مُخْلَسٌ شَعْرُهُ^(١)
صَغَرَ قَدْرِي فِي الْغَانِيَاتِ وَمَا صَغَرَ صَبًا تَصْغِيرُهُ كِبَرُهُ

وقال :

أَيْثَنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ^(٢)
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ^(٣)
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جِدًّا وَلَوْ أَع طَيَّ غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُيُونُ وَأَنْصَرَفَتْ عَدُّ هُ الْتِفَانًا إِلَى سِوَاهُ الْخُدُودُ

وقال :

رَاعَنِي مَا يَرُوعُ مِنْ وَافِدِ الشَّيْءِ بِ طُرُوقًا . وَرَابَنِي مَا يَرِيبُ^(٤)
شَعْرَاتُ سُودٍ إِذَا حُلْنَ بِيضًا حَالَ عَنْ وَصْلَةِ الْمَحَبِّ الْحَبِيبُ^(٥)
مَرَّ بَعْدَ السَّوَادِ مَا كَانَ يَحُلُو مُجْتَنَاهُ مِنْ عَيْشِنَا وَيَطِيبُ^(٦)

وقال :

أَجْدُكَ مَا . وَصَلَ الْغَوَانِي بِمَطْمَعٍ وَلَا الْقَلْبَ مِنْ رِقِّ الْغَوَانِي بِمَعْتَقٍ^(٧)
وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِحَقِيرِي^(٨)

(١) ديوان البحري ٢ / ١٠٣٤ دار المعارف الشهاب ١٨ .

(٢) ديوانه ٧٦٧ / ١٠٤٠ « يعود . . أم يتول » وأما المرتضى ١ : ٦٢٣ والشهاب ١٨ .

(٣) في الديوان « إنما العيش » .

(٤) ديوانه ١ / ١١٢ الشهاب ١٨ وديوانه ١ : ٩٢ .

(٥) في الديوان : « وصله الحبيب الحبيب » .

(٦) في الشهاب « بعد الشباب » .

(٧) ديوانه ٧٧ والشهاب ١٩ .

(٨) في م « بياض الشيب » .

وقال :

عَمُرُ الْغَوَايِ لَقَدْ بَيَّنَّ مِنْ كَثْبٍ ، خَصِيمَةً فِي مُحِبٍّ غَيْرٍ مَحْبُوبٍ ^(١)
إِذَا مَدَدَنَ إِلَى أَغْرَاضِهِ سَبَبًا وَقَيْنَ مِنْ كُرْهِهِ الشُّبَّانَ بِالشَّيْبِ

وقال :

خَلِّيَاهُ رَجْدَةً اللَّهْوِ مَاذَا مَ رِدَائِ الشُّبَّابِ غَضًا جَدِيدًا ^(٢)
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْنَ الْحَقَارِقَ السُّودَ سُودًا

وقال :

قَدْ كُفِيَ مِنِّي فَمَا جَوَى السُّقْمِ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوْرِى الْحُبِّ تُحْنِي ^(٣)
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمَرَارِ الْبِرْنَا ^(٤)
كَفَّفُ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلَفُنَ . وَالْمُصَغَّرِ سِنَا ^(٥)
يَتَشَاغَفُنَ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى مِنْ تَهَابِ دُرِّ الْجَدِيلِ الْمَكْنَى

وقال :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَبْسِيسِ وَبَيْضًا وَنَضًا مِنَ السَّتِّينَ عَنْهُ مَا نَضًا ^(٦)
وَشَاهُ أَغْيَدَ فِي تَصَرُّفٍ لِحَظِهِ مَرَضُ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
وَكَاَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدُهُ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى ^(٧)

(١) ديوان البحرى ٣٢٦ ، ١ / ٩٣ دار المعارف والشهاب ١٩ .

(٢) ديوانه ١ : ١٨٣ ، ١٠٠٪ ٥٩٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٩ .

(٣) ديوانه ٣٥٨ والشهاب ١٩ وفى أمالى المرتضى « فاجبرى » .

(٤) البرنا : الخضاب .

(٥) فى الديوان « بالمغمر » .

(٦) ديوانه ٢٩٠ ، ١ / ١١٩٨ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٢ ، ٢ : ١٣٥ والشهاب ١٩ .

(٧) فى الديوان « وكأنه ألى » .

أَسْيَانٌ أَثَرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافَ مِنْ وَصَفِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا^(١)
 شَاهَ : سَبَقَهُ أَغْيَدُ الشَّبَابِ النَّاعِمِ ، وَغَلِبَهُ عَلَى وَدِّ الْحَسَانِ .
 وَأَسَافَ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ مَا فِي يَدِهِ فَافْتَقَرَ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ^(٢) .

وقال :

أُخِيَّ : إِنَّ الصَّبَا اسْتَمَرَّ بِهِ سَيْرُ اللَّيَالِي فَانْهَجَتْ بُرْدُهُ^(٣)
 تَصُدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعِدَةٌ إِذْ أَنَا لَا قُرْبُهُ وَلَا صَدْدُهُ^(٤)
 شَيْبٌ عَلَى الْمَفْرَقَيْنِ بَارِضُهُ يَكْثُرُنِي أَنْ أُبَيِّنَهُ عَدْدُهُ
 تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةٌ بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ^(٥)
 لَا عَجَبٌ إِنْ مَلِيتِ خَلَّتْنَا فَافْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَفِدُهُ
 مَنْ يَنْتَظِرُ عَلَى مُطَاوَلَةِ الْعِي شُ تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ^(٦)
 أَنْهَجَتْ بُرْدُهُ : يَرِيدُ بُرُودَهُ . وَ فُعْلٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى فُعْلٍ .

وَالْبَارِضُ : أَوَّلُ مَا يَطْلُعُ مِنَ النَّبَاتِ وَهُوَ غَضٌّ . يَرِيدُ أَنْ أَوَائِلَ الشَّيْبِ
 قَدْ زَادَتْ عَلَيْهِ فِي الْكَثْرَةِ حَتَّى لَا يَقْدِرُ عَلَى عَدْدِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعْدُ الشَّعْرَاتِ
 الْبَيْضَ فِي أَوَّلِ طُلُوعِ الشَّيْبِ .

(١) فِي الدِّيْوَانِ وَأَمَّا الْمُرْتَضَى « مِنْ وَصِل » .

(٢) فِي الشَّهَابِ « الْأَسْيَانُ وَالْأَسْوَانُ » : الْحَزِينُ . وَمَعْنَى أُسَافَ : ذَهَبَ مَالُهُ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ ، وَجَعَلَهَا الْبَحْرِيُّ هَهُنَا فِي مَنْ ذَهَبَ مِنْ يَدِهِ وَصَلَ الْحَسَانُ وَمِيلَهُنَ إِلَيْهِ » .

(٣) دِيْوَانُ الْبَحْرِيِّ ١٥٦ ، ٢ / ٧٣٥ وَأَمَّا الْمُرْتَضَى ١ : ٦٢٤ وَالشَّهَابُ ٢٠ .

(٤) فِي الدِّيْوَانِ « عَنِ الْحَسَنَاءِ » وَفِي م « إِذَا » .

(٥) فِي الدِّيْوَانِ « خَمْسِينَ حَيْثُ » .

(٦) فِي الدِّيْوَانِ « مَنْ يَتَجَاوَزُ » .

وقوله : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ » أى عظامه يحىء لها صوت إذا قام أو قعد من الكبير والضعف^(١).

وقوله : « مِنْ مَلَّةٍ » : أى من تملّى العيش . يريد طوله ودوامه . ومنه تمليت حبيبك^(٢).

وأخذ قوله^(٣) :

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةٌ بُعِيدَ خَمْسِينَ حَبْنًا لَا تَجِدُهُ^(٤)
[من] قول بشار :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهَا مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهَا
لَمَعَتْ إِلَى تَسْوِمُنِي شَرَحَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهَا^(٥)

(١) قال المرتضى : « ورأيت الأمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير .. والأمر بخلاف ما توهمه . ومعنى « تقعقع من ملّة عمده » أن من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله عن الدنيا ، وكفى عن ذلك بتعقّع العمدة ، وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع يتعقّع عمده ؛ يريدون أن الجميع داعى التفرق وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتعقّع منه العمدة . والأمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو ملربف ، وإن كان قد سمعه ، وجهل أن معنى بيت البحرى يطابقه فهو أطرف » . ثم نقل كلامه هذا فى الشهاب .

(٢) قال المرتضى : « فأما قوله « من ملّة » فأما أراد به : من ملل ، وملّة - فعله - من الملل ، وكيف يكون من تملّى العيش ، ولم يسمع فى تمليت « ملّة » وهذا خطأ على خطأ » . ثم كرر هذا الكلام وبسطه فى الشهاب كذلك .

(٣) م « دمه قوله » .

(٤) م « ثم لا تجده » .

(٥) ديوان بشار ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٤١٩ وفى الأغاني « بشت إلى » .

نزول الشيب قبل حينه

قال أبو تمام :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتُنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ^(١)
سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهَا إِلَى الْمَشِيبِ فَلَمْ تَظْلِمْ وَلَمْ تَحُبِّ^(٢)
فَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ^(٣)

يقال : رأس مُخْلَسٌ وَخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب .

وَالْقُصْبُ جمع قُصْبَةٍ وهى خصلة الشعر . « وآل ما كان من عجب »

بى ومجبة « إلى عجب » أى تعجب من شئى .

وقال :

شَابَ رَأْسِي . وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ أُرْ رَأْسٍ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ^(٤)
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ - طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَمَّ مِرْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ
زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَرْتُ مَعْجَلِسِي مِنْ الْعَوَادِ
نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ لَمَّا لَمْ يَنْلُهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ

(١) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ : ١١٥ وأمالى المرتضى ١ : ٥٩٩ والشهاب ١٠

وسبق ص ١٩٢ .

(٢) م « ولم تجب » وفى شرح التبريزى « يقول : تدعونى إلى المشيب ست وعشرون سنة فأجيبها ،

ولم تدعنى إلى الشيب فى غير وقته فتكون ظالمة لى جائزة على ، فإنى قاسيت من الدهر ما لو شئت معه فى المهمل لم ينكره . » الحوب : الإثم . »

(٣) البيت فى مجموعة المعانى ١٢٥ وفى م « فلا يروقك » .

(٤) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ : ٣٦٠ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٢ والشهاب ١١

ومجموعة المعانى ١٢٥ .

فالأبيات الثلاثة الأولى من فاسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة . ومن مشهور إحسانه . وقد عابه قوم بقوله : « شيب الفؤاد » . وليس عندى بعيد ؛ لأنه لما كان الجالب للشيب القلب المَهمومُ نسب الشيب إليه على الاستعارة . وقد أحسن عندى . ولم يسي^(١) .

وقوله : « عَمَرَت مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ » - معنى لا حقيقة له ؛ لأننا ، رأينا ، ولا سمعنا أحداً جاءه عَوَادٌ يَعُودُونَهُ من الشيب ، ولا أن أحداً أَمْرَضَهُ الشيب ، ولا عزَّاه المعزَّون عن الشباب^(٢) .

وقال ابن حازم الباهلي :

أَلَيْسَ عَجِيْباً بِأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ^(٣)
فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مُوجِعٌ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغْدٍّ إِلَيْهِ
وَيَسْتَلْذِيهِ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

(١) راجع تعليق المرتضى في الشهاب ١١ .

(٢) قال المرتضى في أماليه ١ : ٦١٣ : « وهذا من الآمدى قلة نقد للشعر ، وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يفوص عليها حذاق الشعراء ، ولم يرد أبو تمام العيادة الحقيقية التي ينشئ فيها العواد مجالس المرضى ذوى الأوجاع ، إنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقتي ، فكأنهم في مجلسي عواد لى لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع . وكفى بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبي . وهذا من أبي تمام في نهاية البلاغة والحسن ، وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه . »

وكلام المرتضى هذا في نهاية التفاهة والقيح ، وكأنه أحس بسقوط فأعاده في الشهاب ١٢ ، وزعم أنه كاف شاف ولكن « يمكن فيه وجه آخر ، وهو أن يريد بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » الإخبار عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به ، فجعل ما يجب أن يكون كائناً - واقعاً . وهذا له نظائر كثيرة في القرآن وفي كلام العرب وأشعارهم ، قال الله عز وجل : « ومن دخله كان آمناً » وإنما المعنى : أنه يجب أن يأمن ، فجعل قوة الوجوب واللزوم كأنه حصول وقوع !!! وهذا الوجه أشد تفاهة من سابقه وأشنع قبحاً .

ولقد أثبت المرتضى بنقده هذا على أنه أجدر بالوصف الذي وصف به الآمدى : من قلة النقد للشعر وضعف البصيرة بدقائق معاني الشعراء .

(٣) أمالى القائل ١ : ١٠٩ و أمالى المرتضى ١ : ٦٠٨ والشهاب ١١ .

فَأَحَبُّ أَبَوْتَامَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عَادَاتِ بَنِي آدَمَ ، وَيَكُونَ أُمَّةً وَحْدَهُ .

وقوله : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ . . » بيت رَدِيٌّ ، بعيد المعنى .
ولكنه يقرب ويتخلص إذا وقع التَّائِي للعبارة عنه ، فأقول : إِنَّ الثُّغْرَةَ هِيَ :
الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّي كُلُّ بَلَدٍ جَاوَرَ عَدُوًّا - ثُغْرًا
كَأَنَّ معناه أَنَّهُ مكشوف للعدو فلذلك قيل : قَدْ سَدَّ الثَّغْرَ بِالرَّجَالِ . وَأَصْلُهُ
- وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ ثُغْرِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقَابِلُكَ مِنْ أَسْنَانِهِ . وَأَوَّلُ
مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْكَلَامِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْقُطُ . فَيَرَى مَوْضِعَهُ مَثْلُومًا ، فَتَشَبَّهُ الثُّغْرَ
الَّذِي هُوَ الْبَلَدُ بِهِ . وَقَالُوا : قَدْ أَثْغَرَ الصَّبِي وَأَثْغَرَ . وَسَمِيَتْ تِلْكَ الثُّغْرَةُ
فُرْجَةً فِي مَوْضِعِ السِّنِّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُنْفَرَجٍ . وَمِنْهُ ثُغْرَةُ النَّحْرِ .

فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ » . أَيْ وَجَدَ الشَّيْبُ مِنَ الْهَمِّ فُرْجَةً
دَخَلَ عَلَى رَأْسِي مِنْهَا . جَاءَ بِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي الِاسْتِعَارَةِ ، وَالْهَمُّ يَتَشَبَّهُ لَا مُحَالَةً .
وقوله : « لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ » . يَذْهَبُ فِي ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ إِلَى
الْوَقْتِ . الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْهِ ^(١) فِيهِ الشَّيْبُ مِنْ عَمَرِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَجِدُ السَّبِيلَ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى الْحُلُولِ بِرَأْسِهِ ، فَجَعَلَهُ ثُغْرَةً حِينُئِذٍ . فَيَقُولُ : إِنْ الْمَشْيَبُ
حَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ جِهَةِ هَمُومِهِ وَأَحْرَانِهِ لَمَّا لَمْ يَبْلُغِ السَّنَ الَّذِي يُجِبُّ حُلُولَهُ
بِهِ مِنْ جِهَةِ كِبَرِهِ ^(٢) .

وَكَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : مِنْ ثُغْرَةِ الْكِبَرِ ، أَوْ مِنْ ثُغْرَةِ السِّنِّ ،
لَا مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ ^(٣) .

(١) م « يهجم على » .

(٢) مِنْ أَوَّلِ شَرْحِ الْأَمْدَى إِلَى هُنَا نَقَلَهُ الْمُرْتَضَى فِي أَمَلِيهِ ١ : ٦١٢-٦١٣ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ إِلَى مَصْدَرِهِ !

(٣) أَمَّا هَذِهِ الْجُمْلَةُ فَقَدْ نَقَلَهَا الْمُرْتَضَى فِي الشَّهَابِ ١٢ مَنْسُوبَةً لِلْأَمْدَى لِأَنَّهُ أَرَادَ أَقْدَمَهَا بِقَوْلِهِ :
« وَمِمَّا مِنْهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ؛ لِأَنَّ الْمُبَارَاتِ الثَّلَاثَ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ ، وَيَقُومُ بَعْضُهَا مَقَامَ بَعْضٍ ؛ لِأَنَّ الْمِيلَادَ
عِبَارَةٌ عَنِ السَّنِّ ، فَمَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ تَقَادَمَ مِيلَادُهُ ، وَمَنْ قَرَّبَتْ مِنْهُ قَصُرَتْ وَقَرَّبَ زَمَنَ مِيلَادِهِ » !

وكان يجب أيضاً أن يقول : حَلَّ برأسي ، أَوْ نَزَلَ^(١) ؛ فإن هذه اللفظة هي المستعملة في مثل هذا دون قوله : « نال » . كأنه يجعل الشيبَ لم يَزَلْ يَتَرَصَّدُهُ ، وَيَتَطَلَّبُ فُرْصَةً منه ينتهزها في الدخول عليه وذلك لبعده - كان - عن الأفراح والمَسَارِّ^(٢) ، وكثرة أحزانه وهمومه . وليس لِشُغْرَةِ الصَّبِيِّ - وهو إِنْغَارُهُ إِذَا - سقط . سنه - هاهنا وجه ؛ لأنَّ الإنسان قد يشيب وهو حديث السن فأمَّا في ذلك الوقت فلا .

وقال :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ قِنَاعًا مُغْدِفًا يَقْقَأُ فَتَنَعَ مِذْرَوِيَّ وَنَصَفَا^(٣)
نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّفِيقِ تَحَسُّرًا وَتَلَهُّفًا
مَا أَسْوَدَ حَتَّى أَبْيَضَ كَالْكَرَمِ الَّذِي لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِيءَ كَيْمَا يُقْطَفَا
لَمَّا تَفَوَّتَ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا بِيَاضِهَا عَبِثَتْ بِهِ فَتَفَرَّقَا
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ فِي الْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسَفَا

قوله : نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ . أى نَظَرُهُ بِالشَّيْبِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّفِيقِ عَنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ فَيَتَحَسَّرَ عَلَيْهِ وَيَتَلَهَّفُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ « قَطَعَ دُونَهُ » خَفِيفَةً فَثَقَلَهَا لَيْسَتْ بِأَسْوَدَ مِنْهُ . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ التَّثْقِيلَ ، أَيْ أَنَّ الشَّفِيقَ الَّذِي كَانَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيُؤَاصِلُهُ إِعْجَابًا بِهِ - صَارَ لَا مِثْلًا لَطَرَفِهِ لَمَّا شَابَ

(١) ونقل المرتضى هذه الجملة وعقب عليها بقوله : « والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن الجميع واحد ، وما نال رأسه فقد حل به ونزل » !

(٢) م « والمسان » .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٠١ والشهاب ٤ وسبق الأول ص ١٩٠ .

تَحَسُّرًا وَتَأْسَفًا ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَضَ عَنْهُ إِعْرَاضَ آسَفٍ عَلَيْهِ ، لَا إِعْرَاضَ بِغَضَبٍ وَشَنَاءٍ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ فِي أَوْقَاتِهِ تَقْطِيعًا لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ .

وقوله : « ما اسودَّ حتى ابيضَّ » . يريد سرعة مشييه .

وقوله : « كَالْكَرَمِ الَّذِي لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِيءَ كَيْمًا يُقْطَعُ » ^(١) - كلام في غاية القُبْح والغَثَاثَةِ والبرد ^(٢) . كأنَّه جعل مَجِيءَ القاطِفِ إِلَى الكرم الذى لم يُدْرِكْ لِيُقْطَعْ كَحُلُولِ الشَّيْبِ بِرَأْسِهِ قَبْلَ أَوَانِهِ لِيَفْنَى عَمْرَهُ .

وقوله : « لَمَّا تَفَوَّتِ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا بِبَيَاضِهَا » . أذى لَمَّا اختلفت عليه بالخير والشر فَوَّتَ رَأْسَهُ أَى خلطت سواده ببياض الشيب .

وقوله : « ما كان ^(٣) يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ . . . » بيتٌ لفظه ومعناه في غاية الاضطراب والسخافة ^(٤) .

وقال البحرى :

أَقُولُ لِلْمَتْنِ إِذْ أَسْرَعَتْ بِي إِلَى الشَّيْبِ أَحْسَرِي فِيهِ وَخِيْبِي ^(٥)
مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَافَاتِ الضُّرُوبِ ^(٦)
وَكَانَ جَدِيدُهَا فِيهَا غَرِيبًا فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقَّ الْغَرِيبِ ^(٧)

(١) م « يقطعا » .

(٢) قال المرتضى فى الشهاب ، « ولمعنى إنه لفظ غير مطبوع ، وفيه أدنى ثقل ، ومثل ذلك يغفر لما لا يزال يتوالى من إحسانه ويترادف من تجويده » !

(٣) م « ما كاد » .

(٤) قال المرتضى « وليس الأمر على ما ظنه ؛ إذ البيت جيد ، وإنما ليس رونق الطبع فيه ظاهراً . وليس ذلك بعيب » !

(٥) ديوان البحرى ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ دار المعارف والشهاب ٢٠ .

(٦) م « واحتلاف » .

(٧) فى الديوان « وكان حديثها » .

قوله : وكان جليدها فيها غريباً - من قول أبي تمام :
 طَالَ إنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمُ مِرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ^(١)
 وبيت أبي تمام أجد .

وقول البحتري : «مُخَالَفَةٌ بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ» - في غاية الحسن والصحة
 والبراعة .

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ فِي الْوَقْتِ ، أَوْ عَجِلَتْ عَنِ الْوَيْعَادِ^(٢)
 جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِيعِ هَذِي تَرَاوِحُنِي ، وَتِلْكَ تُغَادِي
 وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لِمَةٍ يُشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ
 لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ لَهُوَ ، وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ^(٣)
 وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ

قوله : «يشري» أى يبيع «جديد بياضها بسواد» يريد الخضاب ؛
 لأنه قال : «لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ»^(٤) .

(١) ديوان أبي تمام ٧٥ وسبق ص ٢١٢ .

(٢) ديوان البحتري ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٢ والشهاب ٢٠ :

(٣) م «مخلف هوى» وفي الديوان «مخلف فينا» .

(٤) أسقط المرتضى قول الآمدي : «لأنه قال . . .» ثم نقده بقوله : في الشهاب ٢١ «وجدت
 الآمدي قد نزل في معنى قوله : «يشري» لأنه قال : معنى يشري : يبيع ، وأراد أن الغيب من باع جديد
 بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكأنه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى
 للخضاب ذكر ، ولا ههنا موضع للكناية عنه . ومعنى يشري ههنا : يتنازع ، لأن قولهم : شريت ، يستعمل
 في البائع والمبتاع جميعاً . وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم . فكأنه شهد بالغبن لمن
 يتنازع الشيب بالشباب ويتعوض عنه . وإنما ذهب على الآمدي لفظة «يشري» تقع على الأمرين المضادين
 فجمع ذكر الخضاب الذي لا معنى له ههنا !

وقوله : « عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ » ، أَى عَدَدًا قَلِيلًا يَسِيرًا ^(١) .

وقال :

مَا كَانَ شَوْفِي بِيَدَعِ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سُفْحًا ^(٢)
وَلَمَّةٌ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجِدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا ، وَلَا صَفَحَا
وهذا من إحسانه المشهور :

ووجدت في ديوان أبي تمام في الخضاب ، وهو يشبه كلامه ، وأظنه
منحولاً ^(٣) :

فإن يكن المَشِيبُ طَرَا عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ
فإِنِّي لَسْتُ أَذْفَعُهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثْقَلُ مِنْ خِضَابِ
أَرَادَ بَأَنَّ ذَاكَ وَذَا عَذَابٍ فَيَنْتَقِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَذَابِ ^(٤)

وقال البحتري :

لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمَرَارِ الْبِرِّزَا ^(٥)
وقال :

قالت الشيب أتى قُلْتُ : أَجَلُ سَبَقَ الْوَقْتُ ضِرَارًا وَعَجَلُ ^(٦)

(١) نقلها المرتضى وعقب عليها بقوله : « وقد أصاب في ذلك إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه »
ثم ذهب ليسرد شواهدة !

(٢) ديوان البحتري ٥٦ و ١ / ٤٤٠ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ٢١ .

(٣) في الشهاب ١٣ « وله ، وقيل : إنه منحول في ذكر الخضاب » .

(٤) في الشهاب « أردت بأن » .

(٥) ديوانه ٣٥٨ سبق ص ٢٠٩ .

(٦) ديوانه ٣٣١ والشهاب ٢١ ونص الأول ص ١٩٣ .

وَمَعَ الشَّيْبِ عَلَى عِلَّاهِ مُهَلَّةٌ لِلْمَرَّةِ حِينًا وَالْغَزَلَ^(١)
حَيَّلْتُ أَنَّ التَّصَابِي خَرَقُ بَعْدَ خَمْسِينَ ، وَمَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ

وقال :

تَزِيدُنِي الْأَيَّامُ مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَيَنْقُصُنِي نَقْصَ اللَّيَالِي مُرُورُهَا^(٢)
وَالْحَقَنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ الشَّبَابِ أَسِيرُهَا
مَضَتْ لِي سَوَادَ اللَّيْلِ أَوَّلَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي يُصَاحِبَ وَخَطَ شَيْبِي أَخِيرُهَا^(٣)

يقول : إذا زادتني الأيامُ شيئاً من غِبْطَةِ العيشِ اجتمعت مع الليالي
على انتقاصه ، أى ارتجاعه . والمَنَاقِلُ : جمع مُنْقَلَةٍ ، وهى المَرْحَلَةُ من
مَرَاجِلِ السفر^(٤).

وعُقْرُ الدارِ ، وعُقْرُهَا - بالفتح والضم - أَصْلُهَا .

وهذا من بارع لفظه وفصيحه وبليغه .

ومن هذا الباب ، ويصلح أَنْ يُثَبَّتَ فِي البابِ الذى بعده - قولُ آخر :
نَزَلَ المَشِيبُ بِعَارِضِي ، وَضِقتُ ذَرْعًا بِالمَشِيبِ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّيْبُ بُ بَكَا المُحِبُّ عَلَى الحَبِيبِ

(١) فى الديوان الشهاب « مهلة الهو » .

(٢) ديوان البحرى ٦٠٤ ، ٢ / ٩٩٨ والشهاب ٢٢ .

(٣) فى الديوان « مضت فى سواد الرأس » ، « الشهاب » فى سواد الشعر .

(٤) عقب المرتضى على هذا بقوله : « وغير هذا التأويل الذى ذكره أولى منه ، وهو أن يكون المراد أن الأيام إذا زادتني غبطة فى العيش نقصني ذلك مرورها . ويريد بقوله : « نقص الليالي » كما تنقص الأيام من الليالي ؛ لأن الأيام تأخذ من الليالي وتنقصها . وهذا التأويل أشبه بالصواب من تأويله » والحق ما ذهب إليه المرتضى .

دَاءُ عِيَاءٍ لَيْسَ مِنْهُ مَا أَشْتَكِيهِ إِلَى الطَّبِيبِ
مَا لِلْمَشِيبِ بَكَيْتُ لَ كُنْ خَشِيَةً الْأَجْلِ الْقَرِيبِ

وما أحسن ما قال عمرو بن المَبَارَكِ الخُزَاعِيُّ في هذا :

مَنْ لِأَذْنِي بِمَلَامٍ وَلِكَفِّي بِمَدَامٍ
رَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي وَأَنْحَنِي مَتْنُ عَرَامِي
وَتَمَشَّى السِّيفُ مِنْ شَيْءٍ بِي إِلَى شَيْءٍ التُّوَامِ
نَظَّمَكَ الدُّرُّ إِلَى الدُّرِّ رَةِ فِي سِلْكِ النَّظَامِ

ومما لا شيء أجود منه في معناه قول الآخر . ولا تَشْبِيهُهُ شَهْرُهُ :

أَلْقَى عَصَاهُ ، وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ ، ضَيْفٌ ، فَقُلْتُ : الشَّيْبُ قَالَ : أَجَلٌ^(١)
فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ دَارَ الْحَيِّ . قَالَ لَقَدْ تَمَّتْ لَكَ الْأَرْبَعُونَ الْوَفْرُ ثُمَّ نَزَلَ^(٢)
فَمَا شَجِيتُ بِشَيْءٍ مَا شَجِيتُ بِهِ كَأَنَّمَا أَعْتَمَّ مِنْهُ مَفْرَفِي بِجَبَلٍ

وقد تصدق البحتري في هذا الباب تصدقاً حسناً .

ولولا قول أبي تمام : « فَلَإِيَّاءُكَ لِيَمَاضِ الْفَتِيرِ بِهِ » .

وقوله : « شَابَ رَأْسِي » . والبيتان بعده - لفضلت البحتري عليه في
فتنانه ، وبراعة لفظه ، وسلامة معناه . لكنني أجعلهما متكافئين .

(١) لعل بن جبلة ، وربما رويت للعليل ، كما في الشهاب ٣٢ .

(٢) في الشهاب « قال ولم مضت لك » .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا

قال أبو تمام :

أَضْبَحْتُ رَوْضَةَ الشَّبَابِ هَشِيمًا وَغَدَتُ رِيحُهُ الْبَلِيلُ سَمُومًا^(١)

وقال البحتري :

خَلَقُ الْعَيْشِ فِي الْمَشِيبِ وَإِنْ كَا نَ نَضِيرًا ، وَفِي الشَّبَابِ جَدِيدُهُ^(٢)
لَيْتَ أَنَّ الْأَيَّامَ قَامَ عَلَيْهَا مَنْ إِذَا مَا أَنْقَضَى زَمَانُ يُعِيدُهُ
وَلَوْ أَنَّ الْبَقَاءَ يَخْتَارُ فِينَا كَانَ مَا تَهْلِمُ اللَّيَالِي تَشِيدُهُ
شَيْئَتْنِي الْخَطُوبُ إِلَّا بَقَايَا مِنْ شَبَابٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهُ^(٣)
لَا تُذَقُّ عَنِ الصَّبَا فَخَلِيقُ إِنْ طَلَبْنَاهُ أَنْ يَعِزَّ وَجُودُهُ^(٤)

وهذا من الحلاوة والحسن على ما تراه .

وقال ، وقد مضت في باب آخر^(٥) :

أَيُّدُنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ

ومن جيد هذا الباب قول كثير :

وَكَانَ الصَّبَا خِزَانِ الشَّبَابِ فَاصْبَحَا وَقَدْ تَرَكَانِي فِي مَعَانِيهِمَا وَحَلَى

(١) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ : ٢٢٣ .

(٢) ديوان البحتري ١٨٨ ، ٨٥٢ « ولو كان » والشهاب ٢٣ .

(٣) م « شينى المشيب » وفي الديوان « سيختى الخطوب » .

(٤) م « إن بليتاه » .

(٥) باب كره النساء للمشيب ص ٢٠٨ .

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَطَائِفُ جَنَّةٍ تَأْوِينِي أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِي

وقال البحتري :

أَوَاخِرُ الْعَيْشِ أَخْبَارُ مُكَرَّرَةٍ وَأَقْرَبُ الْعَيْشِ مِنْ لَهْوٍ أَوَائِلُهُ^(١)
يَجْرِي الشَّبَابُ إِذَا مَا تَمَّ تَكْمِلُهُ وَالشَّيْءُ يُنْفِذُهُ نَقْصًا تَكَامُلُهُ^(٢)
وَيُعْتَمَبُ الْمَرْءُ بَرًّا مِنْ صَبَابَتِهِ تَجْرُمُ الْعَامِ بِمَضَى ثُمَّ قَابِلُهُ^(٣)
إِنْ فَرَّ مِنْ عَنَتِ الْأَيَّامِ حَازِمُهَا فَالْحَزَمُ فَرُّكَ مِمَّنْ لَا تُقَاتِلُهُ^(٤)
وَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوِدَادِ فَكَمْ أَمْسَيْتُ أَحَدَرُ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلُهُ

وقال :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ فَنَيْتَ بَغْضِهِ وَحَطَّطْتَ رَحْلَكَ مُسْرِعًا عَنْ نُقْضِهِ^(٥)
وَأَقَامَ مُشْتَاقًا ، وَأَقْصَرَ عَاذِلُ أَرْضَاهُ فَيْكَ الشَّيْبُ إِذْ لَمْ تُرْضِهِ^(٦)
شَعْرٌ صَحِنْتُ الدَّهْرَ حَتَّى جَازَنِي مُسَوِّدُهُ الْأَفْقَى إِلَى مُبْيَضِّهِ^(٧)
فَعَلَى الصَّبَا الْآنَ السَّلَامُ وَلَوْعَةٌ تَشْنِي عَلَيْهِ الدَّمْعُ فِي مُرْفَضِهِ^(٨)
وَلَيْقَنْ تُفَاحُ الْخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ تَقْبِيلِهِ غَزْلًا وَلَا مِنْ غَضِّهِ^(٩)
أَيُّ فَعْلِيهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ لَوْعَةٌ .

(١) ديوان البحتري ٧٨٩ والشهاب ٢٣ .

(٢) في الديوان « ينفذ نقصاناً » .

(٣) في الديوان « يأتي ثم » .

(٤) في الديوان « أفرك » .

(٥) ديوانه ٢٨٨ ، ١٩٥/٢ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفيها « فقد سبقت » .

(٦) فيها « وأفاق مشتاق » وفي م « أن لم » .

(٧) في الديوان « جازي » .

(٨) م « من مرقضه » .

(٩) وليقن : أي وليحفظ .

وقال :

وَصَالَ سَقَانِي الْخَبْلَ صِرْفًا وَلَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَ مَا أَدَّتْ عَقَابِيلُهُ الْهَجْرُ^(١)
 وِبَاقِي شَبَابٍ فِي مَشِيبٍ مُغْلَبٌ عَلَيْهِ اخْتِئَاءُ الْيَوْمِ يَكْثُرُهُ الشَّهْرُ^(٢)
 وَلَيْسَ طَلِيقًا مَنْ يُرَوِّحُ أَوْغَدًا يَسُومُ التَّصَابِي ، وَالْمَشِيبُ لَهُ أَسْرُ
 تَطَاوَحْنِي الْعَصْرَانِ فِي رَحْوَيْهِمَا يُسَيِّبُنِي عَصْرٌ ، وَيَقْلَعُنِي عَصْرُ^(٣)
 مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا أَسْتَبَدَّ بِجِدَّتِي وَأَعْظَمُ جُرْمِ الدَّهْرِ أَنْ يُمْتَعَ الدَّهْرُ^(٤)

قوله : « وَصَالَ سَقَانِي الْخَبْلَ صِرْفًا » . يريد أنه لما جاده المشيبُ حزن على الوصل ، وأسف أسفاً شديداً ؛ لأنه ليس يجدُ له مثل ما كان ، ولأنَّ محبوبه إن واصلَ [وَاصَلَ] تكلَّفاً ، وإن^(٥) ذلك لا بقاء له ، وإنه ذاهب حتى إن عقابيله - وهي أواخره وبقاياه - لو كان مكانها الهجر لما بلغ من خبيله ما بلغت .

وقوله : « مُغْلَبٌ عَلَيْهِ اخْتِئَاءُ الْيَوْمِ » . فالاخْتِئَاءُ : الانْخِرَالُ والْتَهْيَبُ من الشيء ، والخشوع له . يريد كاخْتِئَاءِ اليوم إذا كثرتْ الشَّهْرُ فَكَثُرَتْ ؛ لأنَّ يوماً لا يكون كشهر في المكاثرة والمُفَاخَرَة^(٦) .

وقال :

تَمَضَّى الصَّبَا إِلَّا تَلَوَّمَ رَاحِلٍ وَأَغْنَى الْمَشِيبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوْدِلِ^(٧)
 وَتَابَى صُرُوفُ الدَّهْرِ سُودًا مُخَوَّصَهَا عَلَى الْبَيْضِ أَنْ يَحْظَيْنَ مِنْهُ بِطَائِلِ

(١) ديوان البحري ٢٤٢ ، ٢ / ٨٧٠ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفي م « عقابيله الدهر » .

(٢) عبث الوليد ١١٣ .

(٣) في الديوان والشهاب « ويعلقني عصر » وفي م « تشني عصر » .

(٤) في الديوان « متاع من الدهر » وفيه وفي الشهاب « أي يمنع » .

(٥) م « ولو » .

(٦) راجع الشهاب ٢٤ .

(٧) ديوانه ٦٣٨ والشهاب ٢٤ .

يُحَاوِلُنْ عِنْدِي صَبُوءَ وَإِخَالِنِي عَلَى شُغْلِي مِمَّا يُحَاوِلُنْ شَاغِلِ
رَمَى رَزَايَا صَائِبَاتٍ كَأَنَّنِي لِمَا أَشْتَكِي مِنْهَا رَمَى جَنَادِلِ

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ^(١)
أَبْيَضٌ مَا أَسْوَدَ مِنْ فَوْدَيْهِ وَارْتَجَعْتُ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْعَيْشِ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ^(٢)

قوله : « ارتجعت جليئة الصبح ما قد أغفل السحر » - قريب من قوله :
تَزِيدُنِي الْأَيَّامُ مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَتَنْقُصُنِي نَقْصَ اللَّيَالِي مُرُورُهَا^(٣)

وقال :

أَيَا صَاحِبِي إِمَّا أَرَدْتَ صَحَابَتِي فَكُنْ مُقْصِرًا ، أَوْ مُغْرَمًا مِثْلَ مُقْصِرِ^(٤)
فَإِنِّي إِنْ أَرَمْتُ غُدُوءًا لِيَطِيَّتِي أَغْلَسَ ، وَإِنْ أَجْمَعُ رَوَاحًا أَهْجِرُ
وَمَا يَقْرُبُ الطَّيْفُ الدُّلَمِ رَكَائِبِي وَلَا يَعْتَرِينِي الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ يَعْتَرِي
سُقَيْنَا جَنَى السُّلُوكِ أَمْ شُغِلَ الْهَوَى عَلَيْنَا بَنُو الْعِشْرِينَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرِ

وما قيل في هذا الباب كقول ابن حازم^(٥) الباهلي ، ومنصور النمرى .

(١) ديوان البحري ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ دار المعارف والشهاب ٢٤ وفيها « وبالغ منه » .

وسبق ص ١٩٤ .

(٢) في الديوان « مهلة في الحب » .

(٣) سبق ص ٢١٩ وقد قال المرتضى بعد ذلك « إن الأمر بخلاف ما ظنه ، ولا نسبة بين الموضعين لأن أحد البيتين تضمن أن الذي يريده هو الذي ينقصه . والبيت الآخر تضمن أن الصبح ارتجع بوضوح . وجليته ما أغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير . فالمرتجع غير المعطى ههنا » .

(٤) ديوانه ٢١٥ ، ٢ / ١٠٦١ .

(٥) م « ابن الحازم » .

قال ابن حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ لَفَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِي تُكُلُّ^(١)
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنْ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ^(٢)
يَكْفِيكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَائِبَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٣)

وقال منصور :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ^(٤)
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِشِرَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ
مَا كِدْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهُ غُرَّتِهِ حَتَّى أَنْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

وأنشد إسحق الموصلي :

لَعَمْرِي لَشِنْ حُلْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصَّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرِبِهِ الْعَذْبِ^(٥)
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا أَمِيسُ كَغُضَنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِيَاصِ مَعَ الرُّكْبِ وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ^(٦)
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

(١) الأغاني ١٢ : ١٩ وأمالى المرقضي ١ : ٦٠٦ .

(٢) حماسة ابن الشجري ٢٣٩ .

(٣) في الزهرة ٣٣٨ • كفاك بالشيب • .

(٤) الأغاني ١٢ : ١٥٩ وأمالى المرقضي ١ : ٦٠٦ والزهرة ٣٤٣ وفي م • إذا رأيت شباباً • .

(٥) الشعر لإسحاق في الكامل ٢ : ٦٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٦٢ وأمالى ابن الشجري ١٨٤ وهو

غير منسوب في البيان والتبيين ٣ : ٢٤٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٤٨ وأمالى المرقضي ١ : ٦٠٦ ومعنى
حللت : منعت .

(٦) الشرب : جمع شارب .

الاعتذار من الشيب

قال البحرى :

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَامَةٍ رَطْبٍ وَلَيْالٍ فِيهَا طَوَالٍ قِصَارٍ^(١)
 قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَ الْمَشِيبُ وَتَبْدُو هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فِي إِذْبَارٍ^(٢)
 كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ أَعُوزَ الْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِدَارِ
 كَانَ حُلُومًا هَذَا الْهَوَى وَأَرَاهُ صَارَ مُرًّا . وَالسُّكْرُ قَبْلَ الْخُمَارِ^(٣)

قوله : « كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ » مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عُذْرٍ من كلِّ ذنب موجودٍ ممكن ، غير العذر من الشيب ، فإنه غير موجود^(٤) . وهذا أليق وأشبهه .

وقال :

وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيبِ بِحَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيبَا^(٥)

(١) ديوان البحرى ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٦ دار المعارف والشهاب ٢٥ والزهرة ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) فى الديوان « المشيب وتقدو » .

(٣) فى الديوان « عاد مرا » .

(٤) الشهاب ٢٥ .

(٥) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف .

مدح الشيب والتعزى عنه

قال البحرى :

عَيَّرْتَنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ^(١)
 لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّيْبِ وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ
 وَبَيَاضُ الْبَازِيٍّ أَصْدَقُ حُسْنًا لَوْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ^(٢)
 قوله «بَدَتْهُ» . أراد بدأته فترك الهمز . يقال : بدأت بالأمر ،
 وأبدأته .

وقوله : «ولكنه جلاء الشَّباب» - من معانيه التي تستحسن .

* * *

وقال أبو تمام :

أَبَدَتْ أَمِي إِذْ رَأَيْتَنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ^(٣)
 سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي وَأَتَّبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَنْظِلْ وَلَمْ تَحُبَّ^(٤)
 فَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْفَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
 وقد مرت في باب «[نزول] الشيب قبل حينه»^(٥) .

(١) ديوان البحرى ٥٦٣ ، ١ / ٨٤ دار المعارف وأمال المرتضى ١ / ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وفى

م «وعى جنته» .

(٢) فى الديوان وأمال المرتضى «إن تأملت»

(٣) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ وأمال المرتضى ١ / ٥٩٩ والشهاب ١ / ٠

وعيون الأخبار ٤ / ٥٣ .

(٤) م «فلا يروقك» .

(٥) راجع ص ٢١٢ .

وقوله : « فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ » - أحسن من قول البحترى :
« جَلَاءُ الشَّبَابِ » ، وأجود وأبرع وأصح معنى .

وقال البحترى :

هَذَا هُوَ الشَّبَابُ لَاثِمًا فَأَفِيضِي وَأَتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيدٍ^(١)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاىَ مِنْ أَشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ
عَذَلْتَنَا فِي عَشْقِهَا أَمْ عَمَرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ
وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْءُ بُ فَرِيَعَتُ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْ لَا الْأَقَاصِي لَا بُصْرَ تِ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ^(٢)
وَسَوَادُ الْعَيْنِ لَوْ لَمْ يُكْمَلْ بِيَاضِ مَا كَانَ بِالْمَرْمُوقِ^(٣)
وَمَزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلَى بِصَبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغَبُوقِ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهِي بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ يَنْدِي بِغَيْرِ بُرُوقِ

هذا إنما يُخْرِجُهُ الشَّاعِرُ وَأَشْبَاهُهُ مَخْرَجُ النَّادَةِ فَيُسْتَحْسَنُ .

وأخذ قوله : « أَيُّ لَيْلٍ يَبْهِي بِغَيْرِ نُجُومٍ » من قول الآخر :

أَشِيبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَخْضِ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ^(٤)

(١) ديوان البحترى ٤٣٥ ، ١٤٨٥ وأمال المرتضى ١ : ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وحاسة ابن

الشجرى ٢٤٣ .

(٢) م « غير الأنيق » .

(٣) في الديوان « لو لم يحسن » .

(٤) البيتان من غير نسبة في حاسة ابن الشجرى ٢٤٤ ومجموعة المغانى ٢٥ وللفرزق ، كما في

عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ونقله المرتضى في أماليه ١ : ٦٠٦ هذا وقد قال المرتضى عقب نقله لكلام الأملى

في الشهاب ٢٦ : « وقد قلنا إنه لا ينبغي أن يقال أخذ فلان كذا من فلان ، وإنما يقال في البيتين :

نهما بتشابهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذاك ولا يَرَادُ على هذا » .

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي السَّوَادِ لَوَامِعٌ وَمَا خَيْرَ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومٌ^(١)

وقال آخر في مدح الشيب :

لَا يَرُوعُكَ الْمَشِيبُ يَا أَبْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارُ^(٢).
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضَ إِذَا مَا ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

وما أحسن ما قال امرؤ القيس ، وأجوده وأصحّه في التعزى عن المشيب :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنُوءٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طَوْلٌ عُمَرٍ وَمَلْبَسًا^(٣)

وقال آخر . ومن هذا أخذَ هو وغيره :

وَالشَّيْبُ إِنْ يَحُلُّ فَإِنْ وَرَاءَهُ عُمَرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسٌ^(٤)

(١) قال المرتضى بعد كلامه السابق . ويشبه قول البحري : « ولعمري . . قول الشاعر : لا يرعك . . » دون أن يشير إلى نقله من الأملى .

(٢) البيتان لعل بن الجهم ، كما في حاشية ابن الشجرى ٢٤٤ وهما من غير نسبة في أمالي النقال ١١٢ : « جلة ووقار » ونقلهما المرتضى في أماليه ١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ وأحسن ما سمعت ١٢٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٠٨ .

(٤) البيت لفيلان بن سلمة ، كما في عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ولشاعر ثقيف في الجاهلية ، كما قال عبد الملك بن مروان ، كما في خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني ١١ : ١٠٢ وغير منسوب في أمالي النقال ١ : ١١٢ وأمالي المرتضى ١ : ٥٩٦ والشهاب ٨٥ .

ذكر الكبير وشكوى الدهر وتغير الحال

قال أبو تمام ^(١) :

.....
.....

وقال البحرى :

فَلَا كَرَّتْ بَطْلَعَتِهَا الْخُطُوبُ ^(٢)	فَإِنْ سَتُّ وَسْتُونُ اسْتَقَلَّتْ
بِرَأْسِ الْعَيْنِ مَحْزُونٌ كَثِيبُ	لَقَدْ سَرَّ الْأَعَادَى فِيَّ أَنِّي
وُسِبْتُ دُونَ بُغْيَتِي الْحُرُوبُ ^(٣)	وَأَنِّي الْيَوْمَ عَنْ وَطْنِي شَرِيدُ
وَأُعْطَى فِيَّ مَا اخْتَكَمَ الْمَشِيبُ	عَلَى حِينٍ اسْتَتَمَّ الْوَهْنُ عَظَمِي
عَلَى ظَمًا ، وَيَغْنَمُ مَنْ يَخِيبُ	وَقَدْ يَرُدُّ الْمَنَاهِلَ مِنْ يُحَالَا
رَقَابُ الْمَالِ يُرْزَوُهَا الْكُشُوبُ	وَأَيْسَرُ فَائِتْ خَلْفًا سَرِيعًا
يَلْمُ مِنْ اخْتِيَارِي أَوْ يُعِيبُ	فَمَنْ ذَا يَسْأَلُ الْبَعْجَى عَمَّا
وَكُنْتُ وَلَا يُعْنَفُنِي الْأَرِيبُ	يُعْنَفُنِي عَلَى بَغَنَاتِ عَزَمِي
وَدِدْتُ بَانَ شَانِيِي الْمُصِيبُ	وَقَدْ أَكْدَى الصَّوَابُ عَلَى حَتَّى
لَهُ مِنِّي النَّوَائِبُ إِذْ تَنُوبُ ^(٤)	لَعَلَّ [أَخَاكَ] يَرْقُبُ أَنْ تُطَاطَى
نَسَكَّعَ فِيهِ وَالصَّدْرُ الرَّحِيبُ ^(٥)	فَأَيْنَ النَّفْسُ ذَاتُ الْعَزْمِ عَمَّا

(١) بياض بالأصل .

(٢) ديوان البحرى ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٨ دار المعارف والأريفة الأول في الشهاب ٢٦ .

(٣) هذا البيت ملفق ، فمعجز صدره : « بلا جرم ومن مالى حريب » وصدر عجزه « تعاطفت الحوادث حول حظى » .

(٤) الزيادة من الديوان .

(٥) فى الديوان « ذات الفضل » .

وقال :

سَيْئُلُجْ صَدْرِي الْيَأْسُ ، وَالْيَأْسُ مَنَّهُلُ
 قَنَعْتُ عَلَى كُرْهِه ، وَطَاطَأْتُ نَاطِرِي
 وَلَجَلَجْتُ فِي قَوْلِي وَكُنْتُ مَتَى أَقْلُ
 يَظُنُّ الْعِدَى أَنِّي فَنَيْتُ وَإِنَّمَا
 نَصَوْتُ الصَّبَا نَصَوَ الرَّدَاءِ وَسَاءَ نِي
 مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مَرْمَلٍ
 أَأَطْلُبُ أَنْصَارًا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا
 أَوْلَيْتَكَ سَادَاتِي الَّذِينَ بَرَأِيَهُمْ
 مَضَوْا أَمَّا قَصْدًا وَخَلُفْتُ بَعْدَهُمْ
 وَهَذَا مِنْ إِحْسَانِهِ الْمَشْهُورِ .

وقال :

وَمَعِيرِي بِالْدهْرِ يَعْلَمُ فِي غَدٍ
 أَبْنَى إِنْني قَدْ نَصَوْتُ بَطَالَتِي
 نَظَرْتُ إِلَى الْأَرْبَعُونَ فَأَصْرَحْتُ
 وَأَرَى لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعَ كُثْرَهُمْ
 وَمِنَ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمَيْتَتِي

أَنَّ الْحَصَادَ وَرَاءَ كُلِّ نَبَاتٍ (١)
 فَتَحَسَّرْتُ ، وَصَحَوْتُ مِنْ مَسْكَرَاتِي
 شَيْبِي ، وَهَزَّتْ لِلْحُنُوِّ قَنَاتِي
 فَمَضَوْا ، وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي
 مَفْهًا وَعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي

(١) ديوان البحرى ٦٤٥ ، ٤١٧/١ دار المعارف . والأبيات الأربعة التى تليه فى الشهاب ٢٦ .

(٢) ديوانه ٤٥٥ ، ٣٦٤/١ والشهاب ٢٦ .

وقال :

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِيَّ وَإِنَّمَا تَصَرُّمٌ لَهُوَ الْمَرَّةُ أَنْ يَكْمُلَ الْعَقْلُ^(١)
أَرَى الْجِلْمَ بُؤْسَى فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا جَبَّكَ بِهِ الْجَهْلُ
وهذا إحسان البحترى الذى لا يفى ببراءة مَعْنَاهُ شَيْءٌ .

باب

فى ذكر الزمان . وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق
على ذوى الحزم والفهم . وتيسره لذوى الجهل والعجز ،
وفى التعزى والصبر والمقاعة . وما قالاه فى ضد ذلك
من بعد الهمة . والنهوض فى طلب الرزق ، والسير
على الإبل . وقطع الفيافى . وفى مواعظ وآداب .

وأفتح هذا الباب بأبيات الابتدآت فى نحو هذه المعانى .

ولا أعرف لأبى تمام فى شىء من هذا [شعراً] .

ووجدت للبحترى فى ذم الزمان هذه الأبيات :

لَا الدَّهْرُ مُسْتَعْدُّ وَلَا عَجَبُهُ تَسْوِمُنَا الْخَسْفَ كَلَّهْ ذُرْبُهُ^(١)

[وقال]^(٢) :

مَنْ هَائِلٌ لِلزَّمانِ مَا أَرَبُهُ فى خُلُقٍ مِنْهُ قَدْ خَلَا عَجَبُهُ^(٣)

وقال :

مَعَ الدَّهْرِ ظَلَمٌ لَيْسَ يُقْطَعُ دَائِيهِ وَحُكْمٌ أَبَتْ إِلَّا أَعْوَجَاجًا جَوَانِيهِ^(٤)

(١) ديوان البحترى ٢٠٤ ، ١ / ٢٠٧ دار المعارف .

(٢) زيادة لازمة .

(٣) ديوانه ١٩٧ ، ١ / ٢٧٧ .

(٤) ديوانه ١٥٨٨ / ٢١٩ « يقلع راتبه » .

[وقال] ^(١) :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ بَرَحَتْ بِي نَوَائِبُهُ وَخَطْبُ زَمَانٍ بِالْكَلامِ أَخَاطِبُهُ ^(٢)
وقال :

تَخَلَّ مِنْ الْأَطْمَاعِ إِمَّا تَخَلَّتْ وَوَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا قَدْ تَوَلَّتْ ^(٣)
وقال :

اعْجَبْ لِظُلْمِ زَمَانِنَا الْمُتَوَاتِرِ وَلَاوَلِّ مِمَّا يُرِيكَ وَآخِرِ ^(٤)
وقال :

نَوَازِلُ دَهْرٍ أَيَّهِنَّ أَنْزِلُ بَعَزْمِي أَمْ مِنْ أَيَّهِنَّ أُرَانِلُ ^(٥)
وقال :

لَيْسَ الزَّمَانُ بِمُعْتَبٍ فَزَرِينِي أَلْقَى تَجَهُمَ خَطْبِهِ بِعَجِينِي ^(٦)
وقال :

نَسَعِي وَأَيْسَرِ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَعْنِينَا
وقال :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ ^(٧)
وقال في النهوض لطلب الرزق :

أَشْرُقُ أَمْ أَغْرُبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ ^(٨)

(١) زيادة لازمة كذلك .

(٢) ديوانه ٦٦٠ / ١٠ ، ٢٨٥ .

(٣) ديوان البحري ١٧٨٣ / ٣٦٧ .

(٤) ديوانه ٦٦١ « نوائب دهر . . أو من » .

(٥) ديوانه ٢١١ « الزمان بمعتى . . أرى » .

(٦) ديوانه ١٦٧ / ٢٠ ، ١١٥٢ .

(٧) ديوانه ٤١٤ / ١٠ ، ٥٨٠ .

(٨) ديوانه ٢ / ٩٤٥ دار المعارف .

ماقالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام
فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نُوبِهِ

قال أبو تمام :

أَسَىُّ عَلَى دَهْرِي الثَّنَاءُ فَقَدْ قَضَى عَلَى بَجْوِي صَرْفُهُ الْمُتَّبَعُ^(١)
أَيْرَضُخْنَا رُضْخَ النَّوَى وَهُوَ مُصَمَّتٌ وَيَأْكُلْنَا أَكْلَ الدَّبَا وَهُوَ جَائِعُ^(٢)
وَإِنِّي إِذَا أَلْقَى بَرَبِي رَحْلُهُ لِأَزْعَرُهُ فِي سِرْبِهِ وَهُوَ رَاتِعُ^(٣)
أَخُو مَنْزِلِ الْهَمِّ الَّذِي لَوْ بَغَى الْقِرَى لَدَى حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وَهُوَ طَائِعُ^(٤)
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الدَّلِيلِي بَنَكْبَةٍ تَمَزَّقَنَّ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّبْرِ دَارِعُ^(٥)
[لَهُ هِمٌّ مَا إِنْ تَزَالَ سُيُوفُهَا قَوَاطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ]

قد روى : « وَيَأْكُلْنَا أَكْلَ الدَّبَا وَهُوَ جَائِعٌ » وهو عندي أشبه وأصح إن شاء الله ؛ و « يَأْكُلْنَا أَكْلَ الرَّبَا » لأنَّ الرَّبَا يَأْكُلُ النَّعْمَ . وَيَمَحَقُّ الْمَالَ .

وقوله : « لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ » : أى شَيْءٌ يقطعُه .

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٨ « الدهر » .

(٢) الدبا : أصغر ما يكون من الجراد والنمل ، كما فى اللسان ١٨ : ٢٧٢ .

(٣) فى الديوان « عن سربه » .

(٤) فى الديوان « أخو منزل » .

(٥) فى الديوان « وهو بالصبر شارع » .

وقال :

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً سُدَى لَمْ يَسُسْهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجْدَعٌ^(١)
تَرَوْحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي خُطُوبُ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ
حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِلنَّكْسِ وَذُو الْحِجَا يُدَافُ لَهُ سَمٌّ مِنَ الْعَيْشِ مَنَقَعُ
قد عاب الناس عليه قوله : « كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ » وهو - لعمرى -

قبيح .

وقال :

كَمْ فَتَى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ الْقَبِيضُ^(٢)
لَوَذَعِيُّ يَهْلُلُ الْمَشْرِفِيُّ إِلَى عَضْبُ عَنْهُ وَالزَّاعِيُّ النَّحِيضُ^(٣)
أَتَارَتْنِي الْآيَامُ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ وَكَانَتْ وَطَرُفَهَا لِي غَضِيضُ
كَيْفَ يُمَيِّى بِرَأْسِ عَلِيَاءَ مُمَيِّسٍ وَجَنَاحُ السُّمُو مِنْهُ مَهِيضُ^(٤)
هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ . وَجَدُّ أَلِفُ اللَّحْضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ
قوله : « أَتَارَتْنِي الْآيَامُ » . أى أدامت نظرها إليّ ؛ يقال : أَتَارَتْ إِلَيْهِ
النظر : إذا أهدته .

والقبيض : اسم لِحِجْلَةٍ^(٥) الخلق . واللَّوْذَعِيُّ الْحَدِيدُ الْفَرَادُ .

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ : ٣٢٤ وفى م « لوساسنا » سدى : مرسله مهمله ؛ لأنه حرم المستحق وأعطى غير المستحق ، إلى غير ذلك مما تقتضى السياسة غيره . ومجدع : جدع أنفه وأذناه . كما فى شرح التبريزي .

(٢) ديوانه ١٧١ وشرح التبريزي ٢ : ٢٨٩ .

(٣) م « والزاعى » .

(٤) فى الديوان « علياء مضع » .

(٥) م « الجهلة » .

والمَشْرِفِيُّ : السيف منسوب إلى المشارف ، قرى تعمل فيها السيوف .
والنَّحِيصُ : الذى قد ذهب نَحْضُهُ أى^(١) لحمه ، وإنما يعنى سنان الرمح
أنه قد دُقَّ وحُدَّ .

والزَّاعِبُ : الرمح . قيل : هو منسوب إلى رجل كان يُقَوِّمُ الرماح يقال
له زَاعِبٌ ، وقال قوم زاعب : موضع لا تعرف حقيقته . ويقال : التَّرْعَبُ :
السرعة والنشاط . فيجوز أن يكون قيل زاعبى لحركته وتثنيه .

• • •

وقال البحتري :

وَمَا جَزَعُ الْجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي بِمُحَرِّزِهِ وَلَا جَلْدُ الْجَلِيدِ^(٢)
جَحْدُنَا سُهْمَةَ الْحَدَثَانِ فِينَا لَوْ أَنَّ الْحَقَّ يَبْطُلُ بِالْجُحُودِ^(٣)
فِيَا وَيَحَ الْخَوَادِثُ كَيْفَ تُعْطَى شَقِيَّ الْقَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ^(٤)
وَكَيْفَ تَجُورُ إِنْ حَكَمْتَ بِحُكْمٍ فَتَحْمِلُ لِلذَّوِي عَلَى الرَّشِيدِ^(٥)
وَمَا بَرَّاحَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَتَّى أَرْتَنَا الْأُسْدَ قَتْلَى لِلْمَقْرُودِ
وهذا مما لا مزيد على حسنه وجودته لفظاً ومعنى .

وقال :

يَغْتَرَّ بِاللَّهْرِ ذُو الْإِضَاعَةِ وَاللَّهْرُ عَدُوٌّ مَظْلُوبَةٌ إِحْنُهُ^(٦)

(١) م « إلى لحمه » .

(٢) ديوان البحتري ٧٩٤ / ١٠ ٥١٨ دار المعارف .

(٣) وبعده :

وننكر أن تطرقنا المنايا كأننا قد خلقنا للخلود

(٤) م « فياربج » .

(٥) في الديوان « إن همت بحكم » .

(٦) ديوانه ٣٣٤ .

فِي زَمَنِ رَنَقَتْ حَوَادِثُهُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِحَادِثِ زَمْنِهِ
رَضِيتُ مِنْ سَيِّئِ الزَّمَانِ بَأَنَّ يَعْشُرُهُ غَيْرُ زَائِدٍ حَسَنُهُ
رَنَقَتْ حَوَادِثُهُ : دَنَتْ وَرَفَرَقَتْ كَمَا يُرْتَقُ النَّسْرُ .
وهذا أيضاً حسن .

وقال :

أَرَانَا عُنَاةً فِي يَدِ الدَّهْرِ نَشْتَكِي تَأَكَّدَ عَقْدٍ مِنْ عُرَاهُ وَثِيقٍ^(١)
وَلَيْسَ طَلِيقُ الْيَوْمِ إِنْ رَجَعْتَ لَهُ صُرُوفُ الْيَالِي فِي غَدٍ بِطَلِيقٍ^(٢)
تَفَاوَتَتِ الْآيَامُ فِينَا فَأَفْرَطْتُ بِظَمَانٍ بَادَ لَوْحُهُ وَغَرِيقُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي بِهَاطِضَةٍ صُمَّ الْعِظَامِ دَقُوقُ -
شَمَخْتُ فَلَمْ أَبْدِ اخْتِشَاعًا لِشَامِتٍ وَلَمْ أَبْتِغِ شَكْوَى لِغَيْرِ شَقِيقٍ^(٣)
رَى كُلَّ مُؤَذِّ عَاجِزًا عَنِ أَذِيتِي إِذَا هُوَ لَمْ يَنْصَرْ عَلَى بِحْرِقِ
فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة . والألفاظ الحلوة المتمكنة . والمعاني
القريبة العجيبة .

وأجود من قوله : « وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي ... » والبيت بعده
قَوْلُ الْعَكَّوكِ^(٤) :

أَلَا رَبَّ هُمْ يُمْنَعُ النَّوْمُ دُونَهُ أَقَامَ كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الْجَمْرِ^(٥)

(١) ديوان البحري ٥٢٣ ، ١٥٣٠ .

(٢) في الديوان « طليق القوم من رجعت » .

(٣) م في الديوان « فلم أبد اختناء » .

(٤) م « عكوك » .

(٥) م « كقبض » .

بَسَطْتُ لَهُ وَجْهِي لِأَكْبِتُ حَاسِدًا وَأَبْدَيْتُ عَنْ نَابِ ضَحْوَكَ وَعَنْ ثَغْرِ
وَشَوْقِ كَاطِرَافِ الْأَيْسَةِ فِي الْحَشَا مَلَكَتْ عَلَيْهِ طَاعَةُ الدَّمْعِ أَنْ يَجْرَى

* * *

وقال البحتري :

أَطْلُ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَانِهَا فَمَا الْعَاقِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ^(١)
يُرْجَى الْخُلُودَ مَعْشَرُ ضَلَّ رَأْيُهُمْ وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ
وَلَيْسَ الْأَمَانِي فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِهَا عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بَاطِلِ
إِذَا مَا حَرِيْرُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَالَهُ مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمُقَاتِلِ
وَمَا الْمُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرِ فِيهِمْ بِأَكْثَرِ مِنْ أَعْدَادِ مَنْ فِي الْحَبَائِلِ
يُسَارُ بِنَا قَصْدَ الْمُنُونِ وَإِنَّا لَنَشْعَفُ أَحْيَانًا بَطِيَّ الْمَرَاحِلِ
عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بِأَسْرَعِ سَعِينَا إِلَى آجِلٍ مِنْهَا شَبِيهِهِ بِعَاجِلِ^(٢)
أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إِذَا مَا أَمْتَحَنَتْهَا تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا فِي الْأَوَائِلِ
وَمَا عَامِلُكَ الْمَاضِي وَإِنْ أَفْرَطْتَ بِهِ عَجَائِبُهُ إِلَّا أَخُو عَامِ قَابِلِ
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ وَمَا خَوْفُهَا الْمَخْشِيُّ عَنَّا بِغَافِلِ^(٣)
تُغْلَغَلُ رَوَادُ الْفَنَاءِ وَتَعَبْتُ دَوَاعِي الْمُنُونِ عَنْ جَوَادِ وَبَاخِلِ

وقال :

إِذَا عَاجِلُ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمُفْرِحٍ فَمِنْ خَلْفِهِ فَجَعٌ سَيَتْلُوهُ آجِلُ^(٤)
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَّاجِلُ^(٥)

(١) ديوان البحتري ٦٣٨ « منها بعاقل » .

(٢) في الديوان : « من الدنيا » .

(٣) في الديوان « وما خونها » .

(٤) ديوانه ٤٩٠ ، ١٧٣١ .

(٥) م « الحى شوقا » .

وَمَا لُبِثْتُ مَنْ يَغْدُو فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ قَاتِلٌ
وَالْمَرَّةَ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَالَهُ عَدُوٌّ وَسَطٌ. عَامٌ مَالُهُ الدَّهْرُ قَابِلٌ
كَفَانًا أَعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرِقَبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْمُخْلِذِ أَمَلٌ

* * *

وقال :

أَنَاءٌ أَهْلُهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ أَنَهَبُ مَا تُطَوِّفُ أَمْ خِيَارُ^(١)
سَتَفَنِي ، مِثْلُ مَا تُفْنِي وَتَبْلِي كَمَا تَبْلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرُ رَكْبٍ مَنَابِيَهُمْ رَوَاحٌ وَأَبْنِكَارُ
لَنَا فِي الدَّهْرِ آمَالٌ طَوَالُ تُرَجِّيْهَا ، وَأَعْمَارُ قِصَارُ^(٢)

وقال :

أُخِيَّ : مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا ، وَمَتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ
أَرَى عِلَلَ الْأَشْيَاءِ شَتَّى ، وَلَا أَرَى الدَّ
أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تَوَشَّكُ الشَّمْسُ نَقْلُهُ
أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنُّفُوسِ وَإِنَّمَا
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا حَلِيلَةَ وَامِقٍ
تَرَاهَا عَيْنَانَا وَهِيَ صَنْعَةُ وَاحِدٍ
فَتَحَسَّبُهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأَخْرَقِي^(٤)

(١) ديوان البحري ٦٩٤ ، ٢ / ٩٥٩ .

(٢) نقلها المرتضى في أماليه ١ : ٢٧٩ والثاني ، والثالث وما بعده في مجموعة المعاني ٦ .

(٣) ديوانه ١٥٥٢ م « فكتش . . . كلسك أوسق »

(٤) في أمالي المرتضى ٢ : ٢٢٩ « وقد قيل : إن السبب في خروج البحري عن بغداد في آخر

أيامه . كان هذه الأبواب : لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه يتنوى من حيث قال : « فتحسبها صني لطيف وأخرق » وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الفوت : قم يا بني حتى نطفيء عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها بلدنا ، فخرج ولم يعد » .

فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها ، هل ترى فيها من هذا النحو شيئاً ؟
هيهات ؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب .

وقال :

أَرَى غَمَلَةَ الْإِيَّامِ إِعْطَاءَ مَا نَعِيَ نَصِيبَكَ أَحْيَانًا وَحِلْمَ مَفِيهِ^(١)
إِذَا مَا نَسَبَتِ الْحَادِثَاتِ وَجَدَتْهَا بَدَاتِ الزَّمَانِ أَرْضِصَتْ لِبَيْبِهِ^(٢)
مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِيلٍ فَلَا تَنْتَظِرُ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وقال :

أَغَشَى الْخُطُوبَ فِيمَا جُنَّ مَأْرَبِنِي فِيمَا أُسِيرٌ أَوْ أَحْكَمَنْ تَأْدِيبِي^(٣)
إِنْ تَلْتَمِسْ تَسْرِ أَخْلَافَ الْخُطُوبِ وَإِنْ تَلَبَّثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِبِ^(٤)

وما أحسن ما قال ابن عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا أَبْتَكَّرَا إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا
إِنَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ أَنْفُسَهَا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكُتُمْ الْخَبَرَا
أَنشُد المبرد هذه الأبيات^(٥) . وذكر أن الطائي أخذ هذا المعنى وجمعه في

ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

(١) ديوان البحرى ٢٣٥ « نصيبك أحيانا » .

(٢) فى الديوان « أرضدت لبنيه » .

(٣) ديوانه ٣٢٧ .

(٤) فى الديوان « أخلاف الأمور » .

(٥) فى الكامل ١ : ٣٥٩ .

أراد أن قوله : «عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» - من قوله : «إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا» . كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ مَا يَأْتِي فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ كَأَنَّهُ نَصَحٌ^(١) مِنْهُ وَتَنْبِيهِ .

وكذلك قوله : «وَلَا أَنْتَ سَاعَةٌ» وقوله : «إِنَّ اللَّيْلَ وَالْأَيَّامَ» . فجعل هذا كله كنصيح^(٢) من الزمان لما يُرِينَاهُ مِنَ الْعِبَرِ .

قال أبو العباس : وزاد عليه بقوله : «نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ»^(٣) .

وما قاله الناس في هذا المعنى أكثر من أن يحتاج الطائي إلى أن يأخذه من وهذه الأبيات .

(١) م «فيه» .

(٢) م «لنصح» .

(٣) نص كلام المبرد : «فزاد بقوله : ناصح لا يشفق على قول ابن عينة - شيئاً طريفاً ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام» .

في المواعظ والآداب

وقال [البحتري] :

مَتَى تَسْتَزِدَ فَضْلاً مِنَ الْعُمَرِ تَغْتَرِفَ بِسَجْلِكَ مِنْ شَهِدِ الْخُطُوبِ وَصَابِهَا ^(١)
تُشَدِّدُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعِيهَا وَغَوْلُ الْأَفَاعِي بَلَّةٌ مِنْ لُعَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوَّانَ مَجِيئِهَا فَكَيْفَ أَرْتَضَائِهَا أَوَّانَ ذَهَابِهَا
أَقُولُ لِمَكْدُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغٍ عَنْ تَخْيِيرِ آرَاءِ الْحِجَا وَأَنْتِخَابِهَا ^(٢)
سِيرِدِيكَ أَوْ يَتَوِيكَ أَنَّكَ مُحْبَسٌ إِلَى شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بُعْدُ مَا بِهَا ^(٣)

فهذا ، والله ، الوعظ. الذى لو سمعه أبو العتاهية لَصَلَّتْ مقاليدَه .

وقوله : « مُحْبَسٌ » أى موقوف إلى أن تصير إلى هذه الشقة ، من قولك :
أَحْبَسْتُ ^(٤) فرساً فى سبيل الله ، وَأَحْبَسْتُ داراً ، أى وَقَفْتُ داراً . فَمَا
حَبَسْتُ ، فَإِنْ ذَاكَ مِنْ حَبَسَتْ الرَّجُلَ فى الحبس . وحبسته عن طريقه ،
ونحو هذا .

(١) ديوان البحتري ٣١٢ ، ٢٣١ دار المعارف .

(٢) فى الديوان « زاغ » .

(٣) فى الديوان : « أَنْكَ مَخْلَسٌ » .

(٤) م « احتسبت » .

في الصبر والقناعة

قال أبو تمام :

عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبٍ مُرْقِدٍ مَا غَمَضَا^(١)
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرَوْهُ سَبْعًا إِذَا مَا غِيَضَا
مَا عَوْضَ الصَّبْرَ أَمْرُوهُ إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عَوْضَا

« شارب مُرْقِد » مثل غير جيد ولا حسن ، ولا زال الناس يعيبونه .

وقال :

لَا تَأْخُذْنِي بِالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِي تَبَعًا . وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا^(٢)
مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولًا
مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزَمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا
لَوْ جَاَزَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا^(٣)
الرِّزْقُ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٤)

يريد من لم يقنع وكان أبداً يتمنى - لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٥ وشرح التبريزي ٢ : ٣٠٣ « أي عندي من جهة الأيام من المحن ما لو تصور شارب دواء منيم لم يغمض غما وتفكراً » .

(٢) ديوانه ٢٤٣ وشرح التبريزي ٣ : ٦٧ .

(٣) في الديوان « في الأرض » .

(٤) وفيه « لا تحرص » .

وقوله : « لو جَازَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ » . وهو يريد القناعة ؛ لأن المتأخرين في هذا الموضع يستعملون القنوع .

« مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا » أى لو كان حكم القناعة جائزًا نَافِذًا في الخلق .
 أى لو قنع الخلق ما كان القليل قليلًا . أى ما كان أحد يَسْتَقِيلُ القليل ،
 بل كان عنده بالقناعة كثيرًا . أفصح بمدح القناعة فقال :

الرِّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا
 وإنما أخذ هذا من قول [عُرْوَةَ بن] أُذَيْنَةَ :

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينُنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي^(١)

ثم نقض أبو تمام هذا كله بأن قال في إثر هذا البيت - بغير فاصلة
 تفصل بينهما - يَصِفُ النَّاقَةَ وَقَطَعَهُ عَلَيْهَا الْفَلَاةَ إِلَى الْمَدْرُوحِ ، فقال :

لِلَّهِ دَرْكٌ أَيْ مَعْبَرٌ قَمَرَةٌ لَا تُوحِشُ ابْنَ الْبَيْضَةِ الْإِجْفِيلَا
 بِنْتُ الْفَضَاءِ مَتَى تَخِذْ بِكَ لَا تَدْعُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَى الْفَلَاةِ غَلِيلَا^(٢)
 أَوْ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةً تَشْأَى الْعَيُونُ ذَوَالِقًا وَذَمِيلَا^(٣)
 لَوْ كَانَ كَلَفُهَا عُيُودٌ حَاجَةٌ يَوْمًا لَزَنَى شَدَقَمًا وَجَدِيدَا^(٤)

« ابن الْبَيْضَةِ » : الظليم . وَالْإِجْفِيلُ : السَّريع الْآنْفِجَالِ يعنى الذهاب .

يقول : لا توحشه هذه الناقة لكثرة قطعها الفيا في وإلف الظَّلْمَانِ^(٥) لها .

(١) الأغاني ٢١ : ١٦٢ والشعر والشعراء ٢ : ٥٦٠ . وأمال المرتضى ١ : ٤٠٨ ، ٤١٥ .

(٢) في الديوان « بنت القفار » .

(٣) راجع رواياته المختلفة في شرح التبريزي وهاشه ٣ : ٦٩ .

(٤) إيجز القرآن ١٦٦ والموشح ٣١١ .

(٥) م « وإلف الظلمان » .

ودل على أنه الظليم بقوله : « ابن البيضة » ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى ، إذ كل ظليم وكل طائر فهو ابن البيضة .

وقوله : « أَوْ مَا تَرَاهَا هِزَّةً » أى من سرعة مرّها وأهتزازها فى سيرها لا تكاد ترى صورتها .

تَشَأَى الْعُيُونُ : تسبقها . ذَوَالِقًا : جمع ذليقة ، والدَّلَاقَةُ : السرعة والمضاء .

ويروى « ذَوَالِقًا » بالدال غير معجمة ، جمع ذَالِقَةٍ ، والدالق : الخارج ، يقال : سيفٌ ذَالِقٌ إذا كان خارجاً مِنْ غَمْدِهِ .

وكان ينبغى أَنْ يقول : تَشَأَى الْعُيُونُ اندلاقاً وذميلاً ، أو ذلاقة - معجمة الدال - وذميلاً ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : « وَذَمِيلًا » لا يكون مَنسُوقًا عَلَى ذَوَالِقٍ . وَأُظْنِهْ جَعَلَ الذَّمِيلُ ، مَنسُوقًا عَلَى هِزَّةٍ .

وَالذَّمِيلُ هَاهُنَا رَدِيءٌ ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبُ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ لَيِّنٌ ، وَهُوَ يَصِفُ السَّيْرَةَ .

وَعُبَيْدٌ : يَعْنِي الْبَيْطَارَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَعَشَى فِي شِعْرِهِ ، فَقَالَ يَصِفُ نَاقَةً ^(١) : لَمْ تَعْطَفْ عَلَى حَوَارٍ وَلَمْ يَقْ طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالٍ ^(٢)

وكان يعالج الإبل . أى لو كلفها عبید حاجة ، أى سيراً عليها لحاجة « لَزَنَّا شَدَقَمًا وَجَدِيلًا » وهما فحلان من فحول العرب النَّحِيبَةِ المذكورة - لما يرى من سرعتها ونجابتها .

(١) م « نصف » .

(٢) ديوانه ٦ وفى اللسان ١٣ : ٢٣٥ « والخمال : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاة والإبل ، تطلع منه ، ويدأوى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك - ثم أنشد بيت الأعشى هذا ، وقال : أى لم يكن لها لبن فتعطف على حوار لترضعه » .

وهذا غاية ما يكون من سُخْفِ المعنى وركاكته ؛ لَأَنَّ زَنًّا من أَلْفاظ
الجهال والصبيان . وإنما أراد لوسار عليها عبيد ، هذا العالم بأمر الإبل ،
في بعض حاجة - لصغر عنده . أَوْ لَهَا نَ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَدَقَمٌ وَجَدِيل . فلم يهتد
بلفظ من هذا النحو فقال : « لَزَنَّا شَدَقَمًا وَجَدِيلًا » . أتراه كان يقول لهما :
يا زانيين ، أو يا بني الزانيين . إن هذا من حماقات الطائى الْمُحَكِّمَةِ ، وسخفه
العجيب مع ما في أبياته هذه من نقض المعنى الذى ذكره في الأبيات قبلها من
الحث على القناعة ، والقعود عن الحركة والاضطراب .

* * *

وقال البحرى :

لَعَمْرُكَ كَيْفَ نَرُصِفَ مَا عَدَانَا مِنْ الدُّنْيَا ، وَنَسْخَطُ مَا يَجِينَا^(١)
عَنَانَا مَا عَسَاهُ يَزُولُ عَنَّا وَأَنْصَبْنَا تَكْلُفُ مَا كُفِينَا^(٢)
يُقَبِّضُ لِلْحَرِيصِ الْغَيْظُ بَحْتًا [وَتَسْجُهُ الْحُظُوظُ] لِمَنْ قُضِينَا
وَمَا هُوَ كَأَنَّ وَإِنْ أَسْتَطَلْنَا إِلَيْهِ النَّهْجُ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا
فَلَا تُغَرَّرُ مِنَ الْيَّامِ وَأَنْظُرْ إِلَى أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا^(٣)

وقال :

نَسْعَى وَأَيْسُرُ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا لَوْلَا تَكْلُفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا عَلَى مُوَانَاةٍ دَهْرٍ لَا يُوَاتِينَا
فَلَيْتَ مُسْلِفِنَا الْأَعْمَارَ أَنْظَرْنَا مُجَامِلًا فَتَانِي فِي تَقَاضِينَا

وهذا كله ما لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته .

(١) ديوان البحرى ٥٥٣ « بمرء . . ما أنا . . ما يجينا » .

(٢) فى الديوان « ما عناد يزال عنا » .

(٣) فى الديوان « أقسامنا » .

وقال :

ضَيِّقَ الْعُدْرَ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا لَوْ قَنَعْنَا بِقَسَمِنَا لَكَفَّانَا^(١)
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَا نَ إِلَى اللَّهِ فَقَرُّنَا وَغِنَانَا

وقال :

لَوْ أَنَّنِي أَوْفَى التَّجَارِبَ حَمَّهَا فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ^(٢)
وَالشَّيْءُ تُمْنَعُهُ تَكُونُ بِفَوْتِهِ أَجْدَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ
خَفُضَ أَسَى عَمَّا شَاكَ طِلَابُهُ مَا كُلُّ شَائِمٍ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

وقال :

وَكَيْفَ تُعَاطِي الرَّاحِ وَالرَّأْسَ مُخْلَسُ مَشِيبًا، وَشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ^(٣)
قَنِعْتُ ، وَجَانِبْتُ الْمَطَامِعَ لَابِسًا لِبَاسٍ مُحِبٍّ لِلنَّزَاهَةِ مُؤَثِّرِ
وَأَبَاسِنِي عِلْمِي بِأَلَا تَقْدُمِي مُفِيدِي ، وَلَا مُزِرٍ بِحِطِّي تَأْخُرِي^(٤)
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ بِسَعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرِ

وقال :

أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ تَشْكُو قَضِيَّةً تُرَدُّ إِلَى حُكْمٍ مِنَ الدَّهْرِ جَائِرٍ^(٥)
يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَلْ وَرُبَّمَا أَتَاخَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَازِرِ^(٦)

وهذا في غاية الحسن والصحة والبراعة ؛ وإنما أخذه والله أعلم - من قول

أبي العتاهية :

(١) ديوان البحري ٤٢٤ وفي م « سيق العدر » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

(٣) ديوانه ٢١٥ « تعاطى اللهو » .

(٤) في الديوان « وآنسني علمي » .

(٥) ديوانه ٣٥٠ ، ٩٦ / ٢ .

(٦) م « تحاذر » .

قَدْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِمَّا قَدْ يَحَازِرُهُ وَقَدْ يَصِيرُ إِلَى الْمَكْرُوهِ بِالْحَذَرِ^(١)
وَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :
وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرِ فَعَرَّ بِجَانِبِي مُتَنَكِّبًا ، وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرْ

* * *

وقال البحرى :

إِنْ تُجَرَّبُ بَنَى الزَّمَانِ تُجِدُهُمْ إِخْوَةً فِيهِ لِلشَّفَارِ الْكَالِيلَةِ^(٢)
وَالْفَتَى كَادِحٌ لِنَفْعَلَةٍ دَهْرٍ بَرْتَضِيهَا ، أَوْ عِيشَةٍ مَمْلُوءَةٍ^(٣)
خَائِفٌ آمَلٌ لِيَصْرِفَ اللَّيَالِي وَاللَّيَالِي مَخُوفَةٌ مَأْمُولَةٌ
رَاحَ أَهْلُ الْآدَابِ فِيهَا قَلِيلًا وَحُطُوظُ الْأَقْسَامِ فِيهَا قَلِيلَةٌ^(٤)
فَعَلَيْكَ الرِّضَا بِمَا رَضِيَتْهُ لَكَ هَذِي الْمَطَالِبُ الْمَجْفُولَةُ^(٥)
لَنْ تَنَالَ الْمُزَوَّرَ عَنْكَ بِتَدْبِيرٍ وَلَنْ تَصْعَدَ السَّمَاءَ بِحِيلَةٍ^(٦)
وَإِذَا مَا أَعْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِي كَانَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ^(٧)
كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةً اللَّهُ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةٍ^(٨)
لَيْسَ إِلَّا فَضْلُ الْعَزِيمَةِ تُمَضِي هَا ، وَإِلَّا الْمَطِيَّةُ الْمَرْحَلَةُ

وهذا كلام يعجرى من رفته وحسنه .

(١) ديوان أبي العتاهية ١١٥ .

(٢) ديوان البحرى ٤٧٥ .

(٣) م « لغفلة » .

(٤) م « فيها قايل » .

(٥) فى الديوان : « المطالب المجهولة » .

(٦) م « ينال » والديوان « المزوى » -

(٧) فى الديوان « كان خطباً من الخطوب » .

(٨) م « جليله » .

قوله : «فَعَلَيْكَ الرِّضَا» مدح للقناعة ، ولم يبحث على القعود عن المطالب ، وإنما أراد عليك الرضا بما رَضِيتُهُ لك مَطَالِبُكَ . هذه المطالب التي أنت بسبيلها ، ولن تقدر على نيل ما ازورَّ عنك ولذلك قال :
ليس إلا فضل العزيمة تمضيها . وإلا المَطِيَّةُ المَرْحُولَةُ
وعلى أنه قال :

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِيبَ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةً اللَّهُ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةً
يجوز أن يكون أراد غيب أمرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الْأَسْفَارِ . ويُعَدُّ المطالب ،
فأحمدت عاقبته فحسن أن يقول : «ليس إلا فضل العزيمة» .

وأبو تمام صرح بذكر القُعود عن الطلب بقوله :
الرِّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا
فكان ذكره للناقة والرحيل عليها مُنَاقِضَةً ظاهرةً قبيحةً في أبيات متصل
بعضها ببعض .

وقال البحتري :
تَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ^(١)
وقال :

أَسِيفُ إِذَا أَسْفَفْتُ أَدْنَى لِمَطْمَعٍ خَفٍ ، وَأَرَانِي مُثْرِيًا يَوْمَ أَقْنَعُ^(٢)
إِذَا شِئْتَ حَازَ الْحَظُّ دُونَكَ وَاهِنٌ وَنَازَعَكَ الْأَقْسَامُ عَبْدٌ مُجْدَعٌ

(١) ديوان البحتري ٣٣٢ «تطلب . . . نبلغ» .

(٢) ديوانه ٣٠٥ ، ١٢٦٨/٢ دار المعارف «أسف إذا . . حين أقنع» .

أَجْدَكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَقَدْ تَتَنَاهَى الْأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا ، وَتَغْشَى صَيْدَهَا وَهِيَ جُوعٌ^(١)
قوله : « أَسِيفُ إِذَا أَسْفَقْتُ » . يقال : أَسَافَ الرَّجُلُ يُسِيفُ : إِذَا
ذَهَبَ مَالُهُ .

يقول : إنه^(٢) يفتقر إذا دنا لطمع ، ويستغنى إذا قنع .
وقوله : « وَقَدْ تَتَنَاهَى الْأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا » . يمدح القناعة ، وأن
من سبيل الإنسان إذا وَجَدَ الْبَلْعَةَ اكْتَفَى إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ .
وقال :

حُلِّيْ سَعَادُ غُرُوضِ الْعَيْسِ أَوْ سِيرِي وَأُنْجِدِي فِي أَلْتِمَاسِ الْحِظِّ أَوْ غُورِي^(٣)
كُلُّ الَّذِي نَتَرَجَاهُ وَنَأْمَلُهُ مُضْمَنٌ فِي ضَرُورَاتِ الْمَقَادِيرِ
فَمَا يُقَرِّبُ تَقْدِيمِي شَوَاسِعَهَا وَلَا يُبَاعِدُ مَا أَذْنَيْنِ تَأْخِيرِي
تَغْدُو الْكِلَابُ وَلَا فَضْلُ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الَّذِي بَانَ مِنْ نَقْصِ الْخَنَازِيرِ

وقال أبو تمام :
مَا يَحْصِمُ الْعَقْلُ وَالْدُنْيَا تُسَاسُ بِهِ مَا يَحْصِمُ الصَّبْرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنُّوبِ^(٤)
الصَّبْرُ كَاسٍ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّسَبِ
كَمْ ذُقْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ وَفِي بَنِي الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ ذَنْبٍ

(١) م « ويشى » .

(٢) م « إنه لم يفتقر » .

(٣) ديوان البحري ١٠٢٦ / ٢ .

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧٠ وفي م « يساس لها » .

بِأَيِّ وَحْدٍ قِلَاصٍ وَأَجْنَبٍ فَلَا إِدْرَاكَ رِزْقٍ إِذَا مَالَجَ فِي الْهَرَبِ^(١)
 ذكر أنه لا يَحْسِمُ العقلُ ما يَحْسِمُ الصَّبْرُ . والصبر على شدة الزمان وأحداثه
 لا يكاد يقع إلا بالعقل ، وكل الأخلاق الشريفة فبالعقل تكون .

وقوله : « الصَّبْرُ كَاسٌ وَبَطْنُ الكَفِّ عَارِيَةٌ » - من حماقاته في الطباق
 يريد أن الصبر مجانبٌ لخلو اليد ، وأنا ضد الفقر والعُدْم ؛ لأن الفقر
 والعُدْم لا يكون معهما صبر ،^(٢) فجعل كاسياً من أجل ذكر بطن الكف
 بالعري ، ثم جعل العقل أيضاً عارياً إذا لم يكن مكسواً بالنَّشَبِ ، وكسوة
 الصبر والعقل استعارة تتجاوز كُلَّ فحش .

وأعجب من هذا ذوقه الرأس والذنب في بنى الدهر . وما عامنا أحداً ذاق
 ذنب غيره ولا رأسه^(٣) .

وأراد بالذَّوقِ الاختِبَارَ ، واستعمله في أقبح موضع وأشنع .
 ولا خفاءً بفضل البحتري في هذا الباب على أبي تمام .

(١) في الديوان « إذا ما كان في الهرب » .

(٢) لقد ضل الأمدى عن الصواب في تأويل البيت ، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد
 وأنه ضد الفقر والعُدْم فلا يكون معهما ؛ بل أراد أن الصبر نافع في حالة الفقر وسائر لصاحبه . وآية ذلك
 أنه قال في البيت السابق : إن الصبر يحسم في أحداث الزمان ونوبه ما لا يحسم العقل الذي تماس به الدنيا .

(٣) لم يذهب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذي ذهب إليه الأمدى ؛ وإنما ذهب إلى ما تنطق
 به ألفاظ بيته : من أنه ذاق من حلو العيش ومرة ما ذاق ؛ واختبر بنى الزمان طرا ، الرؤساء منهم وغير
 الرؤساء ، وهم الذين عبر عنهم بالأذئاب . ولم يخرج أبو تمام في تعبيره هذا عن سنن العرب في كلامها ، فهم
 يضمنون عبارات طرق العلم في موضع العلم . ويقولون : دقت الشيء بمعنى علمته وخبرته . وشممت رائحة
 الفضل من فلان : أى علمته ، ووزنت بنى فلان فأحليت ما دقت من نجاتهم . أى ما بلوته واختبرته .
 ويقول : دقت القوس أى زعرت فيها لأختبر لينها من شدتها ، كما قال الشماخ .

فذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق النبل حاجز

وقال ابن مقبل :

يزرن للمشي أوصالا منعمة هز الشمال ضحى عيدان يبرينا
 أو كاهتزاز ردى تداوقه أيدى التجار فزادوا متته لينا

ويقول بشار :

« إذا كان ذواقاً أخوك من الهوى »

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر
لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل

قال أبو تمام :

مَضَى الْأَمْلَاجُ وَانْقَرَضُوا ، وَأَمْسَى سُرَاةُ مُلُوكِنَا وَهُمْ تِجَارُ^(١)
وَقُوفًا فِي ظِلَالِ الدَّمِّ تُحْمَى دَرَاهِمُهُمْ وَلَا يُحْمَى الدِّمَارُ^(٢)
فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأُلْقِيَ عَنْ مَنَاكِيبِ الدُّنَارِ
لَعَدَلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهَرْنَا هَذَا جِمَارُ

قوله : « وَأُلْقِيَ عَنْ مَنَاكِيبِ الدُّنَارِ » - لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شيء . وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون فى معناه بأن يقول : فلو ذهب سنوات الدهر عنه ، واستيقظ من رقدته ، أو انتبه من نومه ، أو انكشف الغطاء عن وجهه - لكان المعنى يعضى مستقيماً . وقد ذكرته فيما مضى من أغاليطه مشروحاً^(٣) .

وقال : - وهو من إحسانه المشهور - :

سَأُوْطِي أَهْلَ الْعَسْكَرِ الْيَوْمَ عَسْكَرًا مِنْ الذَّنْبِ مَحَاةً لِتِلْكَ الْمَعَالِمِ^(٤)
وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَى الدَّهْرِ خِلْتُهُ سِوَى أَمَلِي إِيَّاكُمْ لِلْعِظَانِمِ^(٥)
وَلِإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ

(١) ديوان البحرى ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٤/٢ « وأمسى » .

(٢) فيها « وقوف دراهمها » .

(٣) راجع الجزء الأول ص ٢٢٣ .

(٤) ديوان أبى تمام ٢٩٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٩ وروى : « من الذل » و « من الدم » .

(٥) فى الديوان وشرحه « إلى الرزق » .

ومن جيد معانيه في هذا النحو قوله :

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسُودَ ظَنُّكَ كُلَّهُ فَأَجِلْهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ^(١)

وقال :

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْذِبُ الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(٢)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَقْسَامُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبِهَائِمُ^(٣)

وهذا معنى ما على صحته وحسنه مِنْ مَزِيد .

وقال :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الْبَى نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا فِي الْقَفْرِ^(٤)
وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأَحْجَ بِهَا أَنْ تَنْجَلِيَ وَلَهَا الْقَمَرُ^(٥)

وهذا أيضًا جيد بالغ ، ومن إحسانه المشهور . ثم وصله بأن قال :

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فَقِي سُوءَ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ
قَضَاءُ الَّذِي مَا زَالَ فِي يَدِي الْغِنَى ثَنَى غَرَبَ آمَالِي فِي يَدِي الْفَقْرُ
رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنَ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مَنْ لَهُ الْأَمْرُ
وَأَشْجَيْتُ آمَالِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزي ٣ / ١٧٨ .

(٣) ويروي « ولو كانت الأرزاق » .

(٤) ديوانه ٤٧٥ « بالبيد القفار » .

(٥) م « به أن » .

(٦) في الديوان « فأشجيت آيأي » .

قوله : « فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ » . يريد شخوصه إلى مصر ؛ لأنها كانت عنده أحسن مطالبه فأخفق فيها ، فذمها بأن قال : وما القفر بالبيد القواء بلى التي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفر وقوله : « رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى » - من أغاليطه وإحالاته في المعاني . وإنما كان ينبغي أن يقول : « رَضِيتُ وَكَيْفَ لَا أَرْضَى » . وقوم يحتجون بأنه^(١) قال : رَضِيتُ وقد أَرْضَى . على ما فسر به قول الله عز وجل : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » بأن قالوا معناه : قد أتى على الإنسان .

وقد ذهب إلى هذا قوم في « قَدْ » إذا وليت الفعل الماضي ، أما إذا وليت المستقبل فإنها تكون بمعنى « ربما » وتخرج عن هذا التأويل . وأكثر أهل العربية ، وجميع أهل اللغة يقولون : المعنى : أَلَمْ يَأْتِ عَلَى الْإِنْسَانِ . بمعنى التقرير والتوبيخ . ويدفعون أن تكون « هل » بمعنى « قد » ؛ لأن ذلك لم يأت في كلام العرب .

وقد بينت هذا في « الجزء » الذي جمعت فيه أغاليط أبي تمام من هذا الكتاب^(٢) .

وقال :

وَحَادِثَاتٌ أَعْجَبُ خَسَا وَزَكَا مَا الدَّهْرُ فِي فِعْلِهَا إِلَّا أَبُو الْعَجَبِ^(٣)
يَعْلِكُنْ قَوْدَ الْكُمَاةِ الْمُعْلَمِينَ لَهَا وَيَسْتَقْدِنُ لِفُرْسَانٍ عَلَى الْقَصَبِ^(٤)
الْحَسَا : الفرد ، والزَّكََا : الزوج . وفُرْسَانُ الْقَصَبِ : يعني الصبيان .

(١) م « بأن قال » .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٢٠١ - ٢٠٥ .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٧٠ « في فعله » .

(٤) في الديوان « يغلبن قوم . . بها » .

وهذه ألفاظ في غاية الخلوقة والسخافة . ولو قال : ويستقدن لأهل الجبن
والرعب ، أو الرهب - كان أحسن وتعمل^(١) :

وقال فيها :

فِي كُلِّ يَوْمٍ صَوَاقِيرِي مُفَلَّلَةٌ تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِي مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ^(٢)
مَا كُنْتُ كَالسَّائِلِ الْيَّامَ مُجْتَهِدًا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي شُعْبَانَ أَوْ رَجَبٍ
أَي مَا التَّمَسْتُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَجِبُ الْاِلْتِمَاسُ ، وَكُنِّي خِيبْتُ .

بَلْ سَافِعُ بِنَوَاصِي الْأَمْرِ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَوَاصِيهِ فِي بَدْنِي وَفِي عَقْبِي^(٣)
بِغُرْبَةٍ كَأَغْتِرَابِ الْجُودِ إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقْتُ بِالْخُلْفِ وَالْكَذِبِ
إِذَا عَمَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ - أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْعَرَبِ^(٤)
قوله : « سَافِعُ بِنَوَاصِي الْأَمْرِ » - من قوله : جلّ اسمه : « لَنَسْفَعًا
بِالنَّاصِيَةِ » والسَّفْعُ بالشئ هو أن يؤخذ ويُجَذَّبَ جذبًا فيه عنف .

وكان ينبغي أن يقول : بنواصي الحزم أو العزم . فأما الأمر فإنه^(٥) . . .
وقوله :

بِغُرْبَةٍ كَأَغْتِرَابِ الْجُودِ إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقْتُ بِالْخُلْفِ وَالْكَذِبِ
فشبه غيابه بغيبة^(٦) الجود الذي يقال يقدم ولا يقدم ، يؤكد بهذا
عدم الجود ، وأزه كلما طمع فيه من أحد كان بعيدًا كالغائب الذي يقال :
يقدم ثم لا يقدم .

(١) م « ويعمل » .

(٢) ديوان أبي تمام ٤٧١ « يوم أظافيري . . تستنبط الصبر » والصواكير: المعاول . والصقر :

النحاس .

(٣) م « شافع » والديوان « في بده وفي عقب » .

(٤) في الديوان : « إذا عانيت لشأو قلت . . حرفة الأدب » .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) م « عياته بعبية » .

وَدَقَّتْ : من الودَقِ ، وهو قَطْرُ المطر .

يقول هذا وهو قد قدم ^(١) من غيباته إلا أنه جعل نفسه كمن لم يقدم ؛ لأنه قدم بالخبيبة ؛ فلذلك قال بعد هذا :

مَا آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَلَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْحِ لَمْ يَخْبِرْ
وهذا تعسف ، والخَرْسُ أحسنُ منه .

وقوله : « إِنْ بَرَقَتْ بَأْوِيَّةٌ » يعنى الغيبة . واستعارة البرق لا تحسن إلا باستعارة ^(٢) السحاب معه . وكان الجيد أن يقول : بَرَقَتْ سَحَابُهَا بِأَوِيَّةٍ ، لو استقام له .

وقوله : « أَذْرَكْنِي حِرْفَةَ الْعَرَبِ » - معنى ما قاله غيره ، ولا جعل أحدُ الْعَرَبِ مُحَارَفِينَ سِوَاهُ . ودليل [عدم] حِرْفَتِهِمْ ما هو إلا أَنَّهُمْ قَهَرُوا الْأُمَمَ حَتَّى صَارَ الْمُلْكُ فِيهِمْ ، وهم على تلك العِزَّةِ الجاهلية إلى هذا الوقت .

وما زال الناس ينكرون هذا المعنى عليه ويعيبونه . ولو كان قال : « حِرْفَةُ الْأَدَبِ » كان أولى بالصواب ، وبما يستعمله الناس ، ولأنه أديب غير مدفوع ، وليس في القصيدة أيضاً [ذكر] للأدب .

وقد رواه قوم « الْأَدَبِ » إنكاراً لذكر العرب هاهنا . وَغَيْرُهُ فِي عِدَّةٍ مِنَ النُّسخِ الْقَدِيمَةِ . والذي في نسخة « أَبِي سَعِيدٍ السَّكْرِي » ، و « أَبِي الْعَلَاءِ » ، مُحَمَّدُ ابْنُ الْعَلَاءِ وغيرهما : « الْعَرَبِ » .

ولمّا ذاك لشدة عشقه بالعربية ، وأن يقال طائى .

(١) م « قد تقدم » .

(٢) م « بالاستعارة » .

وقد أنكره عليه ابنُ عَمَّارٍ وغيره . وهذا دليل على أنه ما قال إلا «حرفة العرب» .

وقال البحتري :

أَوْجَلْتَنِي بَعْدَ أَمْنٍ غِرْنِي	وَأَغْتِرَارُ الْأَمْنِ يَسْتَدْعِي الْوَجَلَ ^(١)
لَمْ أَوْهَمْ نِعْمَتِي تَغْدِرُ بِي	غَدْرَةُ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ أُنْتَقَلَ
زَمَنْ تَلَعَبُ بِي أَحْدَانُهُ	لِعَبِ النَّكْبَاءِ بِالرَّمْحِ الْخَطِلُ ^(٢)
وَأَرَى الْعُدْمَ - فَلَا تَحْفَلُ بِهِ	- عُقْبَةُ تُقْضَى ، وَكَلَّمَا يَنْدِمِلُ
أَكْبَرْتَ نَفْسِي - وَقَدِّمًا أَكْبَرْتَ	أَنْ تُلْقَى النَّيْلَ مِنْ كَفِّ الْأَشْلِ ^(٣)
وَمِنَ الْمَعْرُوفِ مُرٌّ مَقِرٌّ	يَلْفِظُ الطَّاعِمُ مِنْهُ مَا أَكَلَ ^(٤)
نَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ	نَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ ^(٥)

وهذا من إحسان أبي عبادَةَ المتداول .

وقال :

تَخَاضَى رِجَالُ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ	وَقَدْ مَثَلَتْ نُضْبَ أَعْيَانِهَا ^(٦)
وَلَمْ تَلْتَفِتْ لِيُوجِبِ الْحَقُوقِ	وَوَاجِبُهَا خَلْفَ آذَانِهَا
فَتَحَّتْ يَدِي ثَانِي الْعِطْفِ عَنْ	كَذُوبِ الْمَوَدَّةِ خَوَانِهَا
وَقَدْ عَلِمْتُ خَلْتِي أَنَّنِي	أَفَارِقُهَا عِنْدَ هِجْرَانِهَا

(١) ديوان البحتري ٣٣٢ ، ١٧١٦ .

(٢) الخطل : السريع . وانظر اللسان ١٣ / ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) في الديوان : « وكرها أكبرت » .

(٤) م « منه وأكل » !

(٥) سبق في ص ٢٥٠ .

(٦) ديوان البحتري ٥٩٩ « تنامى رجال » .

وقال :

وَعَيَّرَنِي سِجَالُ الْعُدْمِ جَاهِلَةً وَالنَّبْعُ عُريَانُ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرٌ^(١)
وَمَا الْفَقِيرُ الَّذِي عَيَّرَ آوَنَةً بَلِ الزَّمَانُ إِلَى الْأَحْرَارِ يَفْتَقِرُ^(٢)
عَزَى عَنِ الْحِظِّ أَنَّ الْعَجَزَ يُدْرِكُهُ وَهَوْنُ الْعُسْرِ عَلِمِي فِي مَنِ الْيُسْرُ
لَمْ تَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ^(٣)
جَهْلٌ ، وَبِخْلٌ وَحَسَبُ الْمَجْدِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْفَى خَلْفَهُ الْأَثَرُ^(٤)
إِذَا مُحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقَرُ^(٥)

ذكر « علي بن يحيى المُنَجِّم » عن شيوخه أن هذا البيت للمخيم^(٦) الراسبي ،
أحد الشعراء في دولة الرشيد ، وكان صاحب محمد منصور بن زياد فكسب معه
مالاً عظيماً ، ثم صاحب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بعد موت ابن
منصور^(٧) فلم يحمدّه فهجاه .

وأخذ بيت بأسره قبيح لأبي عبادة . ومثله لا يضطر إلى هذا .

وقد كان « علي بن يحيى » انحرف عن^(٨) البحتري لأن البحتري هجاه
بأمر المتوكل بأبيات ليس مثلها يضر ، ولكنه ذكر صورته فقال :

(١) ديوان البحتري ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٤ دار المعارف .

(٢) في الديوان « مفتقر » .

(٣) في الديوان : « ينالها الفهم » .

(٤) وفيه « وحسب المرء » .

(٥) وفيه : « من مقاطعها وما على لم أن تفهم » والبيت مع سابقه في أخبار أبي تمام ٥٠ - ٥١ .

(٦) م « للمخم » .

(٧) م « ابن مثور » !

(٨) م « أعرف من البحتري » !

كُلُّ ، أَخْلَاقٍ عَلَى تَرَنُّصِهَا وَتُدْمُهُ (١)
هُوَ قِرْدٌ حِينَ يَبْدُو غَيْرَ أَنَّا لَا نَكْمُهُ
مُقْلَتَاهُ وَحِجَاجَا هُ وَشِدْقَاهُ وَخَطْمُهُ

فضحك المتوكل حتى استلقى . وبلغ على بن يحيى فعاب (٢) هذا على
البحترى لما حدث بينهما من التباعد .

إلا أنى لم أرىهم ينكرون استعارة البيت الذى يجرى مجرى المثل إذا
جاء موضعه . إلا أن ذلك يكون فى شوارد الأمثال التى لا يكاد يعرف
قائلوها .

وقال :

أُضِيعُ فى مَعَشَرٍ ، وَكَمْ بَلَدٍ يُعَدُّ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ (٣)
لَنْ يَنْصُرَ الْمَجْدَ حَقٌّ نُصْرَتِهِ إِلَّا الْمَكِينُ الْمَكَانِ مِنْ رُتْبَةٍ (٤)
يُخْدَعُ عَنْ عَرْضِهِ الْبَخِيلُ وَلَا يُخْدَعُ وَهُوَ الْغَنَى عَنْ نَشْبَةٍ (٥)
أَوْثَقُ مَنْ يُضْطَفَى عُرَاهُ وَإِنْ حَلَّ بَعِيدًا مَنْ حَلَّ فى حَسْبَةٍ (٦)
لَا يَصْنُرُ الْمُحَدَّثُ الْكَهَامُ وَلَوْ أَخْلَصَهُ الْهَالِكِيُّ مِنْ جَرِيَةٍ (٧)
نَنْسَى أَيْادِي الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دَهْرِنَا سِوَى نُوبَةٍ

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢١٠٦ : « نجتوحها وفنمه » .

(٢) م « يحيى سمعا هذا » .

(٣) ديوانه ٣٠٢ : ١ / ٢٤٢ دار المعارف .

(٤) م « لم ينصر المجد حين » .

(٥) م « الغنى » .

(٦) فى الديوان « بعيداً ولراك فى حبه » ، « بعيداً شرواك فى حبه » .

(٧) « من حربه » .

وفى اللسان ١٢ / ٣٩٨ « والهالكى : الخلد ، وقيل . الصيقل . قال ابن الكلبي : أول من عمل
الحديد من العرب المالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكان حطاداً نسب إليه الخلد ، قيل : المالكى » .

وقال :

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِي وَلَمْ يَدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّي وَلَا عَقْدِي ^(١)
 وَيَكْسُدُ مِثْلِي وَهُوَ تَاجِرُ سُودِدِ يَبِيعُ ثَمِينَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ ^(٢)
 سَوَائِرِ شِعْرِ جَامِعِ بَدَدِ الْعُلَى تَعْلَقْنَ مِنْ قَبْلِي ، وَأَتَعَبْنَ مَنْ بَعْدِي
 يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّلٌ لِأَحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ ^(٣)
 خَيْلِي لَوْ فِي الْمَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبِي رِجَالُ مُؤَاتَاتِي . إِذَنْ لَخَبَا زَنْدِي ^(٤)
 وَمَا عَارَضْتَنِي كُدَيْةٌ دُونَ مَدْحِهِمْ فَكَيْفَ أَرْنِي دُونَ مَعْرِفِهِمْ أَكْدِي
 أَضْرِبُ أَكْبَادَ الْمَطَايَا إِلَيْهِمْ مُطَالَبَةً مِنِّي وَحَاجَاتُهُمْ عِنْدِي ؟

وهذا صِدْقُ أَبِي عِبَادَةَ عَنْ نَفْسِهِ . وما كان له بد من أن يَنْفِثَ ،
 وما قال قولاً هو أَصْدَقُ من هذا .

وقال :

وَمَا جَهِلْتَ فَلَا تَجْهَلْ مُحَاجَزَتِي لِصَاحِبِ الْبَابِ يَرْمِي عَنْهُ صَاحِبُهُ ^(٥)
 الْأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارِ الْإِطِّ بِهَا وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلِّ أَحَارِبُهُ ^(٦)
 أَعَاتِبُ الْمَرْءَ فِيمَا جَاءَ وَاحِدَةً ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ لَا أَعَاتِبُهُ

(١) ديوان البحري ١٨٢ ، ٢ / ٧٤٧ دار المعارف .

(٢) في الديوان « والمجد » .

(٣) سقط هذا البيت من طبعة بيروت .

(٤) المرخ : شجر كثير الوري سريعه ، كما في اللسان ٢٢/٣ وفي م « ذا الوري » .

(٥) ديوانه ٧٨٧ ، ١ / ٢٢٦ .

(٦) في الديوان « دار أط بها . . . أكثر . . . أحاذبه » . وألظ بها : أقيم ، كما في اللسان

وَلَوْ أَخَفْتُ لَتِيمَ الْقَوْمِ جَنَّبَنِي أَذَاتَهُ ، وَصَدِيقُ الْكَلْبِ ضَارِبُهُ
وَلَنْ نُعِينَ أَمْرًا يَوْمًا وَسَائِلُهُ مَا لَمْ تُعِنَهُ عَلَى حُرِّ ضَرَائِبِهِ^(١)

وقال :

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَصْدِقَاءُ تَعُودُ عِدًّا ، وَحَالَاتٌ تَحُولُ^(٢)
وَقَدْ تَعْفُو الظُّنُونُ بِمَنْ يُرَجَّى فَتُخْلِفُ مِثْلَ مَا تَعْفُو الطُّلُولُ
وَمَا فَقِدَ الْجَمِيلُ لِقَرَبِ عَهْدٍ فَتَسْأَلُ عَنْهُ ، بَلْ نَسِيَ الْجَمِيلُ
وَيَلُومُ سَائِلُ الْبُخْلَاءِ حِرْصًا وَإِسْفَافًا كَمَا لَوْمُ الْبَخِيلِ^(٣)

وقال :

لَمْ أَلَقْ مَقْدُورًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فِي الْحِظِّ إِمَّا نَاقِصًا أَوْ زَائِدًا^(٤)
وَعَجِبْتُ لِلْمَحْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِبًا كَلِفًا ، وَلِلْمَجْدُودِ يَغْنَمُ قَاعِدًا
وَتَفَاوَتْ الْأَرْزَاقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا يَأْتِلِينَ نَوَازِلًا وَصَوَاعِدًا
مَا خَطَبُ مَنْ حُرِمَ الْإِرَادَةُ وَإِدْعَا خَطَبُ الذِي حُرِمَ الْإِرَادَةُ جَاهِلِدًا^(٥)

وهذا كله في غاية الجودة والحسن والصحة والبراعة والحلاوة .

فأقول في الموازنة بينهما : إنهما^(٦) أحسنا جميعاً في هذا الباب وأجادا ،
وأجعلهما متكافئين مع ما فيه لأبي تمام من الإساءة .

(١) في الديوان « إن لم تعنه » هنا وقد سها الناسخ فأعاد هنا كتابة تعليق الآمدي على الأبيات

السابقة .

(٢) ديوانه ٣٠١ « في كل دهر » .

(٣) م « وإسفافاً » .

(٤) ديوانه ٦٤٦ ، ٢ / ٨٢١ دار المعارف .

(٥) م « خطت الذي » !

(٦) م « أيهما » .

ما قالاه في طلب الرزق والنهوض إليه

قال أبو تمام :

سَيَبْتَغِي الرُّكَّابَ وَرَاكِبِيهَا فَتَنِي كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غَرَارُ^(١)
أَظَلَّ عَلَى كُلِّ الْآفَاقِ حَتَّى كَانَتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ^(٢)

غَرَار : قليل . وهذا البيت حسن جداً ، ولو كان في مدح خليفة ضبط .
الدنيا ، وأحسن سياستها ، ومراعاة كل ناحية منها - كان أحسن وأليق .

وإنما سرق المعنى من قول منصور النمرى يمدح الرشيد :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِّيَّةِ طَرَفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قَرِبُهَا وَبَعِيدُهَا

وقال :

سَلِي هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سَبَّاسِبٌ وَغَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَّاسِبًا^(٣)
تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٤١ وفي شرح التبريزي ١٥٥ / ٢ عن المعري « هذا معنى لطيف ، وهو نحو من التورية ، لأنه ذكر السيف ، ثم ذكر الغرار ، وهو يريد به النوم القليل ، والسيف له غرار . فهذا المعنى الذي قصده الطائي » .

(٢) م « على طل » وقال المعري - فيما نقل التبريزي - : « كل : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ؛ لأن من اطلع على كلية الشيء فقد خبره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا في الباطن » .

(٣) ديوانه ١٧ وشرح التبريزي ١٤٧/١ « والركاب : الإبل المركوبة . والسباب : القفر من الأرض . يقول : غمرت القفر بسفري ، وصار منزل كالقفر لتركى له » . وفي م « وهى » .

(٤) في التبريزي « وغربت » .

خُطُوبٌ إِذَا لَا قَيْتُهُنَّ رَدَدَنِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَ^(١)
 وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ خَلَاتِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبًا
 وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظْفَرُ خَائِبًا
 فَآفَةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا وَآفَةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا^(٢)
 قوله : « فَآفَةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا » - ليس بالجيد ؛ لأن الشجاع

المظفر قد يقطع السيف الكَهَامُ في يده ، ألا ترى إلى قول البحترى :
 وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَزْ غَادٍ لِرِزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ^(٣)
 وكان الأجود له أَنْ يقول : فَآفَةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ مَغْنَمًا ، أو مَضْرِبًا .
 يعنى المرء المظفر . وَآفَةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا . يعنى السيف ؛ لأنه قد
 جعل آفته في أَنْ صَارَ كَهَامًا (أى) أنه لم يجد ضاربًا يضرب به . ولم يذهب
 إلى نحو قول الفرزدق :

كَذَاكَ سَيْوْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظَبَائِهَا وَتَقَطُّعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ^(٤)
 لأن هذا معنى آخر .

• • •

وقال أبو تمام :

وَأُخْرَى لَحَنَنِي حِينَ لَمْ أَتْبِعِ الْهُوَى قِيَادِي ، وَلَمْ يَنْقُضْ زَمَاعِي نَاقِضُ^(٥)
 أَرَادَاتِ بَلَّانٍ يَحْوِي الرِّغَبَاتِ وَادِعُ وَهَلْ يَفْرِسُ اللَّيْثُ الطَّلَى وَهُوَ رَائِضُ
 وهذا بيت الباب كله . فإنه لا يمر فيه أجود منه . ولا أليق : ولا أحسن .

(١) ويرى : « لقيت كتابا »

(٢) راجع روايات البيت في شرح التبريزي وهامشه ١ / ١٤٨ .

(٣) ديوانه ٥٢ وفى م « إلا ابن غاد » .

(٤) ديوانه ١٨٦ « ويقطن أحيانا نياط » .

(٥) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٦ م « أتبع الهوى » .

وعلى أنه معنى مأخوذ من مَثَلٍ للأسد : قيل له : لم أنت غليظ الرقبة ؟ فقال : لا أَلَزَمُ خِدْرِي وَأَتَكَلُّ فِي فَرِيَسَتِي عَلَى غَيْرِي . وقد سمعت فيه شعراً أيضاً منظوماً ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن المعنى جداً .

وقال :

إِنَّ خَيْرًا [مِمَّا] رَأَيْتُ مِنَ الصَّفِّ حَجْرٌ عَنِ النَّائِبَاتِ وَالْغَمَاضِ^(١)
 غُرْبَةٌ تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ
 غَرَضِي نَكَبَتَيْنِ مَا قَتَلَا رَأً يَا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْتُ أَنْتِفَاضِ^(٢)
 مَنْ أَبَنَّ الْبُيُوتَ أَصْبَحَ فِي ثَوْبِ مِنَ الْعَيْشِ لَيْسَ بِالْفَضْفَاضِ
 وَالْفَتَى مَنْ تَعَرَّفَتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَّافِي كَالْحَيَّةِ النَّضْاضِ^(٣)
 صَلَّتَانُ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ^(٤)
 كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِي فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَةِ الْبَرَّاضِ

أَبَنَّ الْبُيُوتَ : أقام بها ولزِمَهَا . وَالْفَضْفَاضُ : الواسع . وَالْحَيَّةُ النَّضْاضُ : هو الخفيف الكثير الحركة .

وقد عيب عليه قوله : « مُسْتَفَاض » ، وقالوا : إنما هو مستفيض ، وقيل : إنه أراد مستفاض فيه ، وليس ذلك بشيء^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٩ / ٢ .

(٢) ويروى « غرضاً » .

(٣) تعرفته الليالي : أخذت ما عليه من اللحم ، وهم يشنون على الهزال إذا كان في طلب المجد والسمو ويذمون السنن . كما في شرح التبريزي ٣١١ / ٢ .

(٤) في التبريزي « من عزمه » وصلتان : ماض في أمره .

(٥) نقل التبريزي عن المعري : « وأهل اللغة يزعمون أن الصواب أن يقال : حديث مستفيض ،

والقياس لا يمنع أن يقال : مستفاض ، وهو من فيض الماء ، فإذا قيل : مستفيض فعناه منتشر ، وإذا قيل مستفاض فعناه منشور » .

وقد قاله البحترى أيضاً في قصيدته التي على هذا الوزن :
 أَفَرَطْتُ لَوْتَهُ ابْنِ أَيُّوبَ وَالشَّاءُ نِعُ مِنْ ذِكْرِ أَفْنِهِ الْمُسْتَفَاضِ^(١)
 وقد نطق بها غير واحد من المتأخرين . وهي رديئة .

وذكرها «الطُّرْمَاحُ» على غير هذا الوجه ، فقال يصف حمار وحش :
 وَيَظَلُّ الْمَلِيءُ يُوفِي عَلَى الْقَرِّ نِ عَذُوبًا كَالْحُرْصَةِ الْمُسْتَفَاضِ^(٢)
 القرن : الجيل . عَذُوبًا : رافعاً رأسه لا يذوق شيئاً .

شبهه بالحُرْصَةِ ، وهو رجلٌ يجيء به أصحابُ الميسر . رَذُلٌ من الرجال
 ساقط . ، ويشدُّون عينه . ويدفعون إليه القِدَاحَ فيفيض بها لهم ، فقليل
 له : الْمُسْتَفَاضُ ؛ لأنه جعله مفيضاً . والإفاضة بالقдах هي أن يدفعها دفعة
 واحدة من الرِّبَابَةِ إلى قُدَّام . فيخرج من مَخْرَجِهَا الضيق قَدَحٌ واحد . ويقوم
 الرقيب فيأخذه ، وينظر : فإن كان لاحظ له رَدَهُ إلى الرِّبَابَةِ ، و [قال]
 لِلْحُرْصَةِ : أَعَدَّ الْجَلْجَلَةَ والإفاضة . وإن كان السهم من ذوات الحظوظ دفعه
 إلى صاحبه وقال له : اعتزل . فإن كان الفَدُّ أخذ نصيباً واحداً وهو عُسْرُ
 الجزور ، وإن كان غيره أخذ على قدر أنصبيائه .

ولقيس بن زهير ، والحارث بن مُضَاض [في] اغترابهما حديث ،
 وكذلك لِلْبَرَّاضِ فِي فَتَكَتِهِ . وأنا أذكر جميع ذلك بعد الفراغ من [هذا]^(٣)
 الباب بإذن الله .

* * *

(١) ديوان البحترى ٣٩٢ « من أفن رأيه » .
 (٢) اللسان ٨ / ٤٠٤ والمعاني الكبير ٣ / ١١٤٩ والميسر والقдах ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب
 ١٩١ « الملىء : للقادر » وفي م « عذوقاً » .
 (٣) م « الفراغ باباً من الباب » .

وقال أبو تمام :

أَعَاذِلْنَا : مَا أَخَشَنَ اللَّيْلَ مَرَكَبًا وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي الْمُلِمَاتِ رَاكِبُهُ^(١)
دَعَيْنِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَعَانِيهَا فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ^(٢)
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى أَخْوَالُنُجَحٍ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ؟^(٣)
دَعَيْنِي عَلَى أَخْلَاقِي الصَّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ ، أَوْ سِرْبُ تُرْنٍ نَوَادِيهِ^(٤)
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهِنْدَوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَالَمْ تَفْلَأْ مَضَارِبُهُ
وَقَلْقَلْ نَائِي مِنْ خُرَاسَانَ جَاشَهَا فَقُلْتُ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضُ عَازِبُهُ^(٥)
وَرَكِبِ كَاطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ
لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وَحَسْبُكَ بِهَذَا كُلُّهُ جُودَةٌ وَحَسَنًا .

وهذا البيت الأخير إنما أخذ معناه من قول الشاعر ، وأنشده في

الحماسة :

فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمَنُونُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٤٣ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٤ .

(٢) أعانها : أفاضها .

(٣) في شرح التبريزي : « الزماع : المضاء على الأمر . يقول : ألم تعلمي أن من باشر الأسفار وترك الحفص وابتذل نفسه - أنجح ونال الطلبة ؟ »

(٤) م « أخلاق الضمر التي » ويرى « الصمل » أى الشديدة : والوفر : المال . يقول :

دعيني أرتحل . فإما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن .

(٥) يقول : « أحزنها بعدى إلى خراسان ، فقلت اسكني فإن الروض أنضره ما بعد ولم يكن قريباً

فينال » .

(٦) سبق تخريجه في الجزء الأول ص ٢١ .

وقال [أبو تمام] وسبيله أن يقدم في أول الباب ؛ لأنه من إحسانه

المشهور :

وَلَكِنِّي لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا فَفَزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ^(١)
وَلَمْ تُعْطِنِي الْآيَامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَدُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدٍ
وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتَيْهِ فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَلَاَحَةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
قوله : « لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا ... إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّد » يريد أنه لم
يَخَوِ ذلك إِلَّا فِي الْغُرْبَةِ مَعَ مَفَارِقَةِ وَطْنِهِ وَأَحْبَابِهِ . وأنه لم يَنَمْ نَوْمًا سَاكِنًا
إِلَّا بَعْدَ نَوْمٍ مُشَرَّدٍ فِي الْأَسْفَارِ . وهذا مَبْنِي عَلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

« وَلَمْ تَدْرِ أَنَّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ »^(٢)

وقوله : « فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ » ... مَسْرُوقٌ مِنْ قَوْلِ الْكُحَيْمِتِ :

« وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمَلَّتِ »

وقال أبو تمام :

هُنَّ الْبَجَارِيُّ [أ] يَا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْوَسُ الْغُوبِرُ^(٣)
يَوْمَ مَقَامٍ عَلَى وَفَارٍ وَسَائِرَ الدَّهْرِ فِيهِ سَيْرُ
فِي ثُبَّةٍ إِنْ سِرْنَ جُنُودٌ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ
قَدْ ضَجَّ مِنْ فَعْلِهِمْ جَدِيلُ بِنَسْلِهِ وَأَشْتَكِي غُرَيْرُ
هَذَا عُبَيْدٌ ، وَذَا زِيَادٌ وَذَا لَبِيدٌ ، وَذَا زُهَيْرُ
يَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزَمٍ لَوْ أَنَّهُ فِي عَصَاكَ سَيْرُ

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣ .

(٢) الكامل ١ / ١٧٣ وعيون الأخبار ١ / ٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وصدرة : « تقول سليبي :

لو أقمْتُ بأَرْضنا » .

(٣) سبق في الجزء الأول ص ٢٥ .

رُبَّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرٌ كَمْ مَطَرٍ بَذْوُهُ مُطِيرٌ
صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا مَا صَنَعَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ

فهذه معان مستقيمة صحيحة . ونسج جيد ، ولفظ حسن إلا قوله :
« هُنَّ الْبَجَارِيُّ يَا بُجَيْرٌ » ، فإنه لفظ متعسف مستكره . والبجاري : جمع
بُجْرِيَّة وهو ما يمر بالإنسان^(١) من البُجْرِ والمَصَائِب . من قوله عليه السلام :
« أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عُجْرِي وَبُجْرِي » فالبُجْرُ : جمع بُجْرَة .

ثم قال : « أَهْدَى لَهَا الْأَبْوُسَ الْغَوِيرُ » . وهذا هو المثل : « عَسَى
الْغَوِيرُ أَبْوَسًا »^(٢) .

يقول : جاءها البؤس من حيث لم تعلم أن هناك بؤسًا .^(٣) والبَجَارِيُّ
هى البؤس أنفسها . فكان ينبغى أن يقول : أَهْدَى لِي الْأَبْوُسَ الْغَوِيرِ ،
لا أَهْدَى لَهَا .

وإن كان أراد أَهْدَى لَهَا يعنى نفسه ، ولم يجر لها ذكر فهو ردىء .

وقال البحتري :

وَأَحَبُّ أَفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ [يُنَالِ] بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ^(٤)
كَمْ مَشْرِقٍ قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فَجَعَلْتُهُ لِي عُدَّةً فِي الْمَغْرِبِ

(١) م « ما يمر الإنسان من البحرى » .

(٢) مجمع الأمثال ١٧ / ٢ وجمهرة الأمثال ١٤٣ .

(٣) م « بؤس » .

(٤) ديوان البحتري ١٢٣ / ١٠ ، ٢٨٣ وفى م « وأحق » .

وقال :

أُمِّي زَمِيلًا لِلظَّلَامِ وَأَعْتَدِي رَدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الْأَشْهَبِ^(١)
فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِفًا لِمَشْرِقِ الْإِزْوَاجِ أَقْصَى ، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِمَغْرِبِ^(٢)
وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُعْدِمٍ فَالْبَسْ لَهَا حُلَّ النَّوَى وَتَغَرَّبِ
وَلَقَدْ أَبَيْتُ مَعَ الْكَوَكِبِ رَاكِبًا أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كَالْكَوْكَبِ
وَاللَّيْلِ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ هُوَ فِي حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْعَبِ
حَتَّى تَبْدَى الصُّبْحُ مِنْ جَنَابِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلِبِ^(٣)
وَالْعَيْشُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا أَنْجَلَى صَبْنُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ^(٤)

وهذا من إحسان أبي عبادة الذي يتقدم على [كل] إحسان في

معناه .

وما قيل في وضوح الصبح أجود ولا ألطف معنى ، ولا أبرع من قوله :
« كالماء يلمع في خلal الطحلب » .

وقوله : « فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِفًا لِمَشْرِقِ الْإِزْوَاجِ أَقْصَى » - أجود من قول
أبي تمام :

« تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ » ؛ لَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ سَمْعُ^(٥)
أَهْلِ بَلَدٍ يَذْكُرُونَ الْمَشْرِقَ ، وَلَيْسُوا جُهَاًلًا بِهِ .

(١) ديوان البحري ٦٠١ ، ١ / ٧٩ دار المعارف .

(٢) سبق ص ٢٦٣ .

(٣) في الديوان « حتى تجل الصبح في جنباته » . من وراء الطحلب « وفي م » في ظلال الطحلب .

(٤) في الديوان « والعين تنصل » .

(٥) م « يسمع » .

وقوله : « حتى قد نسيتُ المَغَارِبَا » . يجوز أن ينساها فلا يذكرها ، وأن ينسى أباه فلا يذكره ، وليس ماله بـ « روى »^(١) ، لأن غرضه فيه معروف ، ولكن قول البحترى أجود .

وقال البحترى :

أَشْرُقُ أَمْ أُغْرِبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ^(٢)
عَدَّتْنِي عَنْ نَصِيبِينَ الْعَوَادِي فَحَظُّي أَبْلَهُ فِيهَا بَلِيدُ^(٣)
أَرَى الْجِرْمَانَ أَبْعَدُهُ قَرِيبُ بِهَا ، وَالنُّجَجَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ
تَقَادَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا خَبِرُ شُرُودُ^(٤)

قوله : « خبرُ شُرُود » - معنى غريب طريف .

وقال :

وإِنْ اغْتَرَابَ الْمَرْءُ فِي غَيْرِ بُغْيَةٍ يُطَالِبُهَا مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهُ^(٥)
فَلَيْسَ بِمَعْذُورٍ إِذَا رُدَّ سِرْبُهُ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ
وَيُعْطِيهِ مُرْجُوُّ الْعَوَاقِبِ مُسْرِعًا إِلَيْهِ رَكُوبُ الْأَمْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
أُرْجَى وَمَا نَفَعَ الرَّجَاءُ إِذَا أَلْتَقَتْ مَنَاجِسُ أَمْرِ مُجْهِفٍ وَمَعَاظِبُهُ
وَمِمَّا يُعْنَى النَّفْسُ كُلُّ عَنَائِهَا تَوَقُّعُهَا الصُّنْعَ الْبَعِيدَ تَقَارُبُهُ^(٦)

وهذا البيت يصلح أن يكون في باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتعن

المعاني وأحسنها .

(١) كذا بالأصل ولعلها « وليس ما قاله بردى » .

(٢) ديوان البحترى ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ سبق الأول ص ٢٣٤ .

(٣) في الديوان « فقلبي أبله » ، « فنجحى أبله » .

(٤) وفيه « جمل شرود » .

(٥) ديوانه ٥٨٨ ، ١ / ٢١٩ .

(٦) في الديوان « الصنع البطيء » .

وقال :

عَسَتْ الإِضَافَةُ أَنْ تَنَالَ بِهَا سَعَةً وَنَكَلَ ضَارِبًا شِبْعَةً^(١)
وَالْفَسْلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتُهُ أَذْنَى وَجُودٍ كِفَايَةً تَسْعُهُ^(٢)
لَا يَلْبَثُ الْمَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ حَتَّى يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعَةً^(٣)
وَالنَّيْلُ دَيْنٌ تَسْتَرْقُ بِهِ فَارْتَدَّ لِرِقِّكَ عِنْدَ مَنْ تَضَعُهُ^(٤)
قوله : « نَكَلَ ضَارِبًا شِبْعَةً » . أَى أَقْعَدَهُ حَتَّى نَكَلَ عَنِ الْمَطْلَبِ .

* * *

وقال :

أَسِيرُ إِذْ كُنْتُ فِي طَوْلِ الْمَقَامِ بِهَا أَكْدَى لَعَلِّي أَجْدَى عِنْدَ مُرْتَحِلِي^(١)
وَرُبَّمَا حُرِمَ الْغَازُونَ غُنْمَهُمْ فِي الْغَزْوِ ، ثُمَّ أَصَابُوا الْغُنْمَ فِي قَفْلٍ^(٢)
شَرْقٍ وَغَرْبٍ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ لِمَا . طَالَبْتَ فِي ذِمْلَانِ الْإِئْتِاقِ الدُّمْلُ^(٣)
وَلَا تَقُلْ أُمُّ شَتَّى وَلَا نَسَقُ^(٤) فَلَا أَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ^(٥)
قوله : « وَلَا تَقُلْ أُمُّ شَتَّى وَلَا نَسَقُ » . أَى لَا يَصُدُّكَ عَنِ السَّفَرِ أَنْ
تَقُولَ : كَيْفَ أَلَاقَى أُمًّا مَتَفَرِّقِينَ مُتَبَاعِدِينَ ، غَيْرَ مُقْتَرِنِينَ ، وَلَا مُتَسِقِينَ ،
وَأَتَرَكَ أَهْلِي وَبِلَدِي ؛ فَإِنْ تَرَبَّهَ الْأَرْضُ وَاحِدَةً . وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ .
وَصَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ رَدِيءٌ . وَعَجِزَهُ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْبَرَاءَةِ .

* * *

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٣٧ . وهو في طبعة مصر ٢ / ٨٣ .

(٢) في طبعتي الديوان « فاطلب لرقك » .

(٣) ديوان البحري ٢٢٧ .

(٤) في الديوان « في القفل » .

(٥) في الديوان « بما طاليت » .

(٦) م « شتى ولا فرق » .

ولولا أن محاسن أبي تمام في هذا الباب هي أبياته الأربعة والجميع من معانيها مَسْرُوقَة - لفضّلته على البحري إلا في بيت الطحلب فإنه معنى ما علمتُ أحداً سَبَقَ إليه ، ولا قيل في وضوح الصبح أبرع منه . فأجعلهما متكافئين .

ومما * ذكرنا فيه سرى الإبل

قال أبو تمام :

لَا تُذِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ كَمْ بَدَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ^(١)
رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ ، وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
فَأَسْأَلِ الْعَيْسَ مَا لَدَيْهَا وَالْفُ بَيْنَ أَشْبَاحِهَا وَبَيْنَ السُّهُوبِ^(٢)

وقال :

فَتَى النِّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا قَطَفَنَّ بِهِ إِلَى خُلُقِي وَسَاعِ^(٣)
يُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ يَهِيمُ بِهَا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ
أَبْنٌ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءِ [حَتَّى] لَحَاثَتُهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ
فَلَبَّ الْحَزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا بَأْنُ تَسْطِيعَ غَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ^(٤)
فَلَمْ تَرَحْلُ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارِي وَلَمْ تُرَكِّبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ

قوله : « قَطَفَنَّ » أى أبطأ في الانصراف والانكشاف عنه ، وشاغلن في المضي ، مأخوذ من قولهم : دَابَّةٌ قَطُوفٌ ، وهو الذى يقصّر خطوه فيبطل ذهابه .

* م « وما » .

(١) ديوان أبي تمام ٣٦ وشرح التبريزي ١ / ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ويروى : « بين أشخاصها » .

(٣) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٦ ويروى « أطفن » يقول : « هو صاحب النكبات

والشدائد يرتكبها ويأوى إلى خلق واسع إذا ضيقن من مذاهبه وأحطن به » .

(٤) م « فليت الحزم » وفي شرح التبريزي « ويروى : قلب الحزم ، يقول : إنه أردت أن

تقدر على مالا يقدر عليه ، فأوجب عزمك واتبعه ولا تخالفه ، فإن العزم يؤدبك إلى النجاح . . . وقال

المرزوق .. معنى البيت : أجب الحزم وعلبك به فيما تطلبه من المهمات . فإن الحزم يعين على كل شيء

حتى على مالا يتأتى ولا يسهل » .

يقول : فإنه مع هذه الحال يأوى إلى خلق واسع . وصبر على المِحْنِ حتى تنكشف .

وقوله : « يُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرٍ » . أى يبطأ كل بلدة مَخُوفَةً ، وتثير مطيته غبار كل بقعة . ونسب العجاجة إلى عَدِيَّ بن الرَّقَّاع لَأَن عَدِيَّا وصف العَيْرَ وَالْأَتَانَ وما يُثِيرَانِهِ مِنَ الْغُبَارِ فِي السَّهْلِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا صَارَا إِلَى الْحَزْنِ لَمْ يَوْجِدْ لَهَا فِيهِ نَقْعٌ ، فَشَبَّهَهُ بِمَلَأَةٍ يَنْشُرَانِهَا مَرَّةً ، وَيَطْوِيَانِهَا أُخْرَى فَقَالَ :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَأَةٌ سَوْدَاءَ دَاجِيَّةٍ هُمَا نَسَاجَاهَا^(١)
تُطَوِي إِذَا عَلَوَا مَكَانًا نَاشِرًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسْهَلَتْ نَشْرَاهَا
وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة . فجعل أبدو تمام عَدِيَّا ممن هام بهذه العجاجة ، أتى بوصفها إعجاباً بها ، وَأَن نَاقَتَهُ أَيْضًا تُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ كَهَذِهِ الْعَجَاجَةِ .

وهذا تمحل منه لحنى غير لائق بما هو بسبيله من ذِكْرِ سَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَرَادَ أَنَّهُ أَيْضًا يَثِيرُ النَّقْعَ فِي السَّهْلِ ، وَلَا يَثِيرُهُ فِي الْحَزْنِ فَكُلُّ سَائِرٍ فِيهِمَا هَذِهِ حَالُهُ ، فَمَا وَجَّهَ ذِكْرَهُ عَجَاجَةً عَدِيَّ ، وَإِنَّمَا حَسَنَ مِنْ عَدِيَّ ، وَصَحَّ التَّشْبِيهُ لِأَنَّ الْحِمَارَ إِذَا طَلَبَ الْأَتَانَ فَلَيْسَ يَجْرِيَانِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ بَلْ تَرَاهُمَا بَيْنَاهُمَا فِي الْحَزْنِ صَارَا إِلَى السَّهْلِ . ثُمَّ يَعُودَانِ إِلَى الْحَزْنِ ، فَتَرَاهُمَا مُسْهَلَيْنِ وَمُحْزَنَيْنِ لِحَوْلَانِهِمَا ، فَتَرَى عَجَاجَتَهُمَا تَثُورُ حِينًا ، وَتَلْبُدُ حِينًا ، فَصَحَّ التَّشْبِيهُ وَحَسَنَ . وَالْمَسَافِرُ إِنَّمَا يَمُرُّ عَلَى سَنَنْ وَاحِدٍ فَلَيْسَ يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ سَهْلٍ إِلَى حَزْنٍ ، وَمِنْ حَزْنٍ إِلَى سَهْلٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تَدْرِكُهُ

(١) الطرائف ٩٦ وأمالى المرتضى ١٠٣/١ ونقد الشعر ٤٢ ومعجم الشعراء ٢٥٢ وفي م نشرهما .

منه العيون فيكون الغبار مشبهاً للماء تنشر وتطوى . وإنما يقع ذلك في أوقات متراخية يسقط . معها هذا المعنى .

وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الرُّكَّابَ زُجَاجَةً مِنْ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبِ (١)
فَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الْغَوَارِبُ بِالسُّرَى وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ (٢)
يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودَ طُلُوعَ ثَائِرٍ وَبِالْعَرَمِيسِ الْوَجْنَاءَ غُرَّةَ آيِبِ (٣)
كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
قوله : « لم تقصد لها كف قاطب » . أى سيراً لا يلين ولا يفتر ،
كما تقطبُ الرَّاحُ أَنْ تُمَزَّجَ وَتُكْسَرَ بِالماءِ وتلين .

وقال :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلُّقِ وَأَسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السَّهَادِ هُجُودًا (٤)
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السُّرَى وَخُذْ يَبِيتُ النُّومُ مِنْهُ شَرِيدًا (٥)

(١) ديوان أبي تمام ٤١ وفى شرح التبريزى ١ / ٢٠٩ عن الصولى : « أى يسكرون المطى بالنعب فكانهم سقوها زجاجة ، أى شراباً فى زجاجة ، وقاطب : أى مازج . أى ليست هى على الحقيقة زجاجة فيها شراب يناولها الساق صاحبه بقصد » .
(٢) فى الديوان وشرحه « فقد أكلوا ، يقول : أتعبوها حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنة فوقها » .

(٣) نقل التبريزى عن الصولى قوله : « هذا الرجل من حبه للسفر فى طلب العلى . إذا رأى الكعاب الحسناء فكأنما يرى طلعة ثائر قد جاء ليأثر منه ، لبغضه للكعاب وحبه للسفر ، إلى أن يبلغ مراده وينال حاجته . ويرى بالعرميس . وهى الناقة الصلبة - من حبه لها طلعة قادم عليه ، حتى يبلغ إلى أبى دلف هذا الممدوح . . . » .

(٤) ديوانه ٨٨ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ « بالعميس : أى بركوب العميس . ومن تحت السهاد : أى من تحت الصبر على السهاد . أى اطلب بالحركة فى الأسفار سكوناً ودعة فوما بعد ، و بالأرق نوماً » .
(٥) فى شرح التبريزى : « علل السرى : يعنى إسرائه بعد إسرائه ، أخذه من علل الشرب . ومن روى على علل السرى - بكسر العين - أى ما يحدثه السرى من هزالها وغير ذلك » .

يَعْدِي بِمُنْصَلٍ يَظُلُّ إِذَا وَنَى ضَرْبَاوُهُ حَلَسَا لَهَا وَقُودًا^(١)
 جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وَودَعَ رَاضِيًا بِالهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قَعُودًا^(٢)
 وقال :

وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الْهَمِّ لَا يَرْضَى قِرَى إِلَّا مُدَاخَلَةَ الْقِفَارِ دِلَاثًا^(٣)
 شَجْعَاءَ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أَصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطِيُّ غِرَاثًا^(٤)
 أَجْدًا إِذَا دَنَتْ الْمَهَارِي أَرْقَلَتْ رَقْلًا كَتَحْرِيْقِ الْغُضَا حَشْحَاثًا^(٥)
 مُدَاخَلَةُ الْقِفَارِ : مُوثَّقَةُ الْخَلْقِ .

وَالدِّلَاثُ : السَّرِيعَةُ ، وَالْمُنْدَلِثُ : الْمُسْرَعُ ، يُقَالُ : أَنْدَلَتْ أَنْدِلَاتَنَا .
 و « شَجْعَاءُ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ »^(٦) ، مِثْلُ ، أَيْ إِذَا أَجْتَرَّتْ الْإِبِلُ الْعَلْفَ مِنْ
 بَطُونِهَا وَلَا كَتَتْهُ فَلَيْسَ لِهَذِهِ النَّاقَةُ جَرَّةٌ [إِلَّا الذَّمِيلُ] وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ

(١) المنصلي : الماضي في الأمر . وضرباؤه : نظراؤه يقول : هذا الرجل قد ألف ظهور العيس
 فكأنه يثوب لها وهذا مثل قولهم : بنو فلان أحلاس الخيل . وفي م « لمنصلي » .
 (٢) نقل التبريزي عن المرزوقي قوله : « والمعنى أنه امتطى الليل وخلف من كان يرضى بالهوان
 ويلزم بيته ، ولا يسمى في كسب المال وتحصيله ، بل اتخذ جلوسه قعوداً له ، أي اقتنعه ورضى به مركبا »
 ومن أمثال العرب : اتخذ الليل جملا : أي سرى الليل كله وركبه في حاجته . راجع اللسان ١٣ / ١٣١
 وجميع الأمثال ١ / ١٣٥ .
 (٣) ديوانه ٦٤ وشرح التبريزي ١ / ٣١٧ والفقار : خرز الظهر . والدلائث : الناقة الجريئة
 على السير .

(٤) قال المرزوقي : « الشجعاء : الطويلة ، وقيل : هي التي بها جنون من نشاطها ، والجرة :
 ما تخرجه الناقة من جوفها إلى فيها وتجتر به . والذميل : السير السريع . وتلوكه : تمصغه . والأصل :
 العثية . والفراث : الجلياع . يصف ناقة فيقول : هي نشيطة تجتر بالذميل إذا جاء الوقت الذي تكل فيه
 الإبل ، وهو العثية متى سارت النهار كله ، أي تسير سيرا سريعا . وجعل الاجترار مثلا للحقوق الكلال
 وانقطاع القوى والأثر ، يقول : هي تصل السير بالسرى باقيا نشاطها إذا حسرت الإبل وكلت قواها .
 ويفسر البيت الذي بعده » .

(٥) الأجد : التقوية الموثقة الخلق . والإرقال : الإسراع . والغضا : شجر يوقد به ، وهو من
 أجود الوقود عند العرب . وحشجائا : سريعا . وفي م « حشجائا » وهو تحريف .
 (٦) م « والشجعاء وجرتها الذميل » .

كما قال في وصف الخيل :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ * (١)

جعل ذلك مكان الشعرير في المَخَالِي إذا عُلِّقَتْ عليها .

يقول : إذا وَنَتْ الرُّكَّابُ وَغَرِثْتُ ، أى احتاجت إلى العَلَفِ ، فَإِنَّ هذه الناقة لاقتدارها على السير ، وَصَبَرِهَا عَلَى (٢) الرَّمْلِ - تَلَوُّكَ الذَّمِيلِ كَأَنَّهُ طَعَامُهَا .

وهذه القطع كلها جياذ صحيحة المعانى والألفاظ .

* * *

وقال :

سَأَخْرِقُ الْخَرْقَ يَا بَنِي خَرْقَاءَ كَأَنَّ
مُقَابِلَ فِي الْجَدِيلِ صُلْبِ الْقَرَا لُوحِكَ مِنْ عَجَبِهِ إِلَى كَنَدِهِ
تَامِكِهِ نَهْدِهِ مَدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ مُحْزَنِلِهِ أَجْدِهِ
« ابن خَرْقَاء » : يريد بغيراً .

وَالْهَيْقُ . الظَّالِمُ . شُبَّهَ [بِهِ] لِنَشَاطِهِ وَسُرْعَتِهِ .

وَالنَّجْدُ : الْعَرَقُ . أى هو كَالْهَيْقِ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي يُقَدَّرُ فِيهَا فُتُورُهُ .

مُقَابِلُ : كَرِيمُ الْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ . فِي الْجَدِيلِ : وَهُوَ فَحْلُ كَرِيمٍ .

لُوحِكَ : شُدَّ وَوُثِّقَ . وَالْكَنْدُ : مَا يَتَّصِلُ بِالْحَارِكِ مِنَ الْعُنُقِ .

(١) ديوان أبي تمام ٢٨١ وصدره « بسوام لحق الأياطل شرب » .

(٢) م « عن » .

(٣) ديوانه ٩١ وشرح التبريزي ١ / ٤٣٤ .

والتَّامِكُ : المرتفع ، وكذلك النَّهْدُ^(١) .

والمَلْمُومُ : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظام شاخص .

والمُحْزَلُّ : المرتفع ، يقال : أَحْزَلَ أى ارتفع فى السير .

وهذه معانٍ صحيحة . ولكن النَّسْجَ لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه .

وقال :

وَإِلَى جَنَابِ أَبِي الْحُسَيْنِ تَشَنَّعْتُ بِزِمَامِهَا كَالْمُضْعَبِ الْمَخْطُومِ^(٢)
جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجِ خَوَانِفَ فِي الْبُرَى وَعَوَارِفِ بِالْمَعْلَمِ الْمَأْمُومِ
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا حِيصَتْ ظَهَارَتُهُ بِجِلْدِ أَطُومِ
تُشْنِي مِلَاطِيهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ سَعْدَانَةً كَادَارَةَ الْقُرْزُومِ
طَلَبَتْكَ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقَمِ كُومٌ عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ كُومِ
يَنْسِينَ أَصْوَاتَ الْحِدَاةِ وَنَبْرَهَا طَرِبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى وَالْبُومِ
فَأَصْبَنَ بَحْرَ نَدَاكَ غَيْرُ مُصَرِّدٍ وَرَدًّا ، وَأَمَّ نَدَاكَ غَيْرَ عَقِيمِ
لَمَّا وَرَدَنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلْحًا خَيْمَنَ ، ثُمَّ شَرِبَنَ شَرْبَ الْهِيمِ

قوله : « تَشَنَّعْتُ » : أى أَخَذْتُ أَهْبَتَهَا للسير ، وشمِرت ، من قولهم : تَشَنَعَ الْفَارُسُ ، إِذَا لَبَسَ سِلَاحَهُ .

(١) م « النهو » وهو تحريف .

(٢) ديوان أبى تمام ٣٠٦ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٦٢ « وىروى : كالبازل المخطوم » يقال

تشنمت الناقة . إذا ترفعت فى سيرها . وإذا شهبوا الإناث بالفحول فذلك مبالغة عندهم .

وَمُعْجٌ : جمع مُعْجَةٍ . وَالْمَعْجُ : التَّغْلُبُ فِي الْجَرْيِ ، يُقَالُ : مَرَّ الْحِمَارُ بِمَعْجٍ مَعْجًا ، إِذَا جَرَى فِي كُلِّ وَجْهٍ بِسُرْعَةٍ ، وَحِمَارٌ مَعَّاجٌ .

وَالْخَوَانِفُ : جمع خُنُوفٍ . وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تُضْرَبُ بِبَيْدِهَا فِي السَّيْرِ مِنْ نَشَاطِهَا وَفِيهِ بَعْضُ الْمَيْلِ .

وَالْمَعْلَمُ : الطَّرِيقُ . وَالْمَأْمُومُ : الَّذِي يُؤْتَمُّ . عَارِفَةٌ بِالطَّرِيقِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَوَمَّهَ لَطُولَ دَائِبِهَا ، وَكَثْرَةَ سِيرِهَا فِي الطَّرِيقِ الْمُخْتَلَفَةِ .

وَقَوْلُهُ : « حَبِصْتُ » خِيَطْتُ بِجِلْدِ أَطُومٍ . يُقَالُ : إِنَّ الْأَطُومَ : السَّلَاحِفَاءُ الْبَحْرِيَّ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهِ الذَّبْلُ^(١) . وَيَشْبَهُ جِلْدَ الْبَعِيرِ الْأَمْلَسِ بِهِ . وَيُقَالُ : الْأَطُومُ : سَمَكَةٌ فِي الْبَحْرِ غَلِيظَةٌ . وَقِيلَ بَلْ هِيَ بَقْرَةٌ يَتَخَذُ مِنْ جِلْدِهَا الْخِفَافَ لِلْحَمَّالِينَ . قَالَ الشَّامَخُ يَصِفُ نَاقَةً :

وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحُ كَضَاحِيَةِ الصَّيْدَاءِ مَهْزُولُ^(٢)
قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : الْأَطُومُ : سَمَكَةٌ بَحْرِيَّةٌ تُخَصِّفُ الْخِفَافُ وَالنَّعَالُ بِجِلْدِهَا .

وَيُؤَيِّسُهُ : يُدْلِلُهُ ، وَالتَّائِيِسُ : التَّنْذِيلُ .

وَالطَّلْحُ : وَالْقُرَادُ هَاهُنَا . وَالطَّلْحُ : الضَّئِيلُ الْمَهْزُولُ .

وَالصَّيْدَاءُ : حَصَى . وَالصَّيْدَانُ^(٣) : حِجَارَةٌ .

وَضَاحِيَةٌ : مَا ضَحَا لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَظَهَرَ .

وَقَالَ الْأَخْفَشُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا الْبَيْتَ : الْأَطُومُ : طَيُّ الْبُثْرِ بِالصَّخْرِ

الْأَسْوَدِ ، وَيُقَالُ : الْأَطُومُ : الصَّدَفُ .

وَقَوْلُهُ : « تَنْثَنِي مِلَاطِيهَا » أَيْ تُبَاعِدُ بَيْنَهُمَا .

وَمِلَاطَاهَا : وَعَضْدَاهَا .

(١) المراد بالذبيل هنا : الأسورة والأمشاط ، راجع اللسان ١٣ / ٢٧٢ .

(٢) ديوان الشماخ ٧٩ « بضاحية الصياد » وفي اللسان ٤ / ٣٨٥١ « بضاحية » .

(٣) اللسان ٤ / ٢٥١ .

سَعْدَانَةٌ : والسَّعْدَانَةُ من البعير: هي الْبَلْدَةُ^(١) . أى تباعد بين عضديها كِرْكِرَةً^(٢) ، أو بَلْدَةً مستديرة كإدارة الْفُرُورُم . وهي الخشبة المَدْوَرَّةُ التي يَحْدُو عليها الحَدَّاءُ^(٣) . وذلك محمود في الإبل أن يتباعد عَضْدُ البَعِيرِ من زَوْرِهِ في السير .

وَالْكُومُ : الْعِظَامُ الْأَسْنِمَةُ ، واحدتها كَوَمَاءُ .

وقوله :

يَنْسِينَ أَصْوَاتَ الْحَدَّاءِ [وَنَبْرَهَا] طَرَبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى وَالْبُومِ^(٤)

أى أَلْفَتْ صوت الصَّدَى والبوم لكثرة سيرها في الفياق ، حتى صارت تطرب لذلك وتَنسَى أصواتَ الحَدَّاءِ .

وهذا من مبالغاته البعيدة الباطلة .

ولو قال : إلفاً لأصوات الصدى كان أشبه بالصواب قليلاً من الطَّرَبِ .

وهذه أبيات صالحة على ما فيها من التكلف .

وقال :

الْهَمُّ ، وَالْعَيْسُ ، وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنَ فِي قَرْنِ^(٥)

حَوْبًا حَلًا ، قَاسِمِيْنِ الْهَمِّ يَا أَبْنَتَهُ فَقَدْ خَلِقْتَ لِغَيْرِ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ^(٦)

(١) البلدة : ثغرة النحر . راجع اللسان ٦٣ / ٤ .

(٢) في اللسان ٤٥٢ / ٦ الكركرة : رعى زور البعير والناقة ، وهي إحدى الثفنيات الخس

وهي زور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة ، وجسمها كراكر « .

(٣) اللسان ٣٧٥ / ١٥ .

(٤) م « الصق والبوم » !

(٥) ديوان أبى تمام ٢٣٤ وشرح التبريزي ٣ / ٣٣٨ .

(٦) في الديوان وشرحه « أقول للحررة الوجناء لا تنهى فقد » .

قوله : « حَوْبًا حَلَا » زَجَرٌ مِنْ زَجَرِ الْإِبِلِ^(١) ، كَأَنَّهُ زَجَرَ نَاقَتَهُ ، وَقَالَ لَهَا : قَاسِمِيْنِي الْهَمَّ يَا ابْنَتَهُ : يَا بِنْتَ الْهَمِّ ، سِيرِي وَانْطَلِقِي فَقَدْ خُلِقْتُ لغيرِ الْحَوْضِ وَالْعَطْنِ ، أَيْ خُلِقْتُ لِقَطْعِ الْأَسْفَارِ لَا لِلْإِقَامَةِ .
وَلِنَظْمِ هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ رَدِيءٌ ، وَنَسَجُهُ قَبِيحٌ .

وَأَخَذَ الْبَحْتَرِيْ مَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَالَ :

يَا خَلِيلِيْ بِالسَّوَاغِيرِ مِنْ وَدْبٍ نِ مَعْنٍ وَبُخْتَرِ بْنِ عَتُوْدٍ^(٢)
اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

وقال البحتري :

بَنَاتُ الْعَيْدِ تَعْتَادُ الْفَيَافِي إِذَا شِئْنَا اسْتَمَرَّ بِهَا الذَّمِيلُ^(٣)
وَمَا طَرَفًا زَمَانَ الْمَرْءِ إِلَّا مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ ، أَوْ رَحِيلُ

وقال :

وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِلَادُ أَوْ خَلِيلُ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ^(٤)
وَحَدَانُ الْقِيَالِصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ
يَتَرَفَّرِقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ نَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي^(٥)
كَالْقَيْسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسَدِ هُمْ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ^(٦)

وهذا من أوصاف الإبل إذا أضمرها السير [وهي] في غاية الحسن والصحة
والحلاوة في اللفظ. والنسج .

(١) اللسان ١ / ٢٣٠ .

(٢) ديوان البحتري ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٣ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٠١ .

(٤) ديوانه ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٧ .

(٥) م « يترقرن » .

(٦) م « الأوتاد » .

ومثله في الجودة والحسن قوله :

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ مِنْ حُلُولٍ ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعٍ ^(١)
 رَبٌّ مَرَّتْ مَرَّتْ تَجَازِبُ قُطْرُ سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الْمَشْرُوعِ ^(٢)
 وَسُرَى تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
 كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسَبَنَّ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً مِنْ نُسُوعِ ^(٣)
 وقال :

سَوْفَ أُعْطِيَ السُّلُو وَالصَّبْرَ مَا أَمْ نَعُ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى أَوْ تَلِيدِ ^(٤)
 بِالْمَهَارَى يَلْبَسَنَّ لَوْنًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
 فَهِيَ طُولُ النَّهَارِ بِيضٌ وَطُولُ الْ لَيْلِ فِي أَقْمُصٍ مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
 طَالِبَاتٍ فِي الْعَوَثِ غَيْثًا سَكُوبًا وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
 وهذا كل جيد بالغ ، وعذب حلو ، ومعان لطيفة لائقة .

وقد أجاد كل واحد منهما وُصِفَ إِبْلِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَصَدَهَا
 واعتمدها ، وإن كانت معاني البحترى فيما ذهب إليه من الضرر حلوة
 جدًا .

فأقول : إنهما في الباب متكافئين .

(١) ديوان البحترى ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩ دار المعارف .

(٢) البيت ليس في ديوانه ، وهو في طبعة مصر ٩١ / ٢ .

(٣) في الديوان « في النُوع » كالبرى سمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال
 وما أشبهها . والبرى : جمع برة وهي الحلقة من صفر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير . والنُوع جمع
 نسع ، وهي السير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، وقال ابن الأثير : هو سير مضفور يجعل
 زماماً للبعير وغيره ، كما في اللسان ١٠ / ٢٣٠ .

(٤) ديوانه ١ / ٧٦٩ دار المعارف .

* * *

ولأبي تمام في وصف الإبل أشياء رديئة لم أكتبها ، وفيها قصيدة يصف فيها ناقة حج عليها - رديئة جدًا أولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ وَمُوفٍ بِالْعُهُودِ عَلَى الرُّسُومِ^(١)

له فيها ألفاظ مختلفة ، ومعان من معاني السوق . وقد تقدم في الباب^(٢) قوله :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِيَّةَ
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ صُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

في أبيات [ما هي^(٣)] من ذلك الباب ، ثم قال بعدها ما هو من هذا الباب في وصف الإبل . وسبيلها أن تثبت في هذا الباب في أوله :

عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهْدَمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ ، وَأَنْضَمَّ حَالِيهِ^(٤)
رَعْتُهُ الْفَيَافَى بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
فَأَضْحَى الْفَلَاقُ قَدْ جَدَّ فِي بَرِّي نَحْضِهِ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يُلَاعِبُهُ
فَكَمْ جِرْعٍ وَإِدِ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ أَتَمَكَّتُهُ مَذَانِبُهُ

قوله : «مَوَارٍ الْمِلَاطِ» : فَاَلْمِلَاطُ . : عَضْدُ الْبَعِيرِ . وَمَوَارٍ : يَرِيدُ حَرَكَتَهُ فِي السَّيْرِ .

وعريكته العلياء : يَعْني سَنَامُهُ . تَهْدَمَتْ مِنْ طَوْلِ السَّفَرِ ، وَكَذَا انْضَمَّ حَالِيهِ^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام ٤٢٣ .

(٢) في باب طلب الرزق ص ٢٦٧ .

(٣) م في أبيات هو من « .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٩ .

(٥) م « جان . » .

وقوله : « يلاعبه » : لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله :
[جَدَّ] في بَرِّي نَحْضُهُ ، ليطابق بين العجد واللعب .

أى إن الفلا جَدَّ في أخذ لَحْمِهِ في سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا
القول : « وكان زماناً قبل ذلك يُلاعبهُ » على مذهبه في عشق « الطَّبَّاق » الذى
لا بُدَّ له من أن يأتى به وإن حصل المعنى ضعيفاً رَكِيكاً . وَرَبَّما كان مُحَالاً .
وقوله : « أَتَمَكَّنْتُهُ » أى أَسَمَنْتُ تَامِكُهُ ، وهو سنامه .
والمَدَانِيبُ : مجارى الماء ، وهى أَبَدًا مُعْشِبَةٌ .

ولئن كانا جميعاً أحسنا في هذا الباب فما وصفا مطيَّهما بالسرعة
وصف « مسلم بن الوليد » إذ يقول :

إلى الأمام تَهَادَانَا بِأَرْحَلِنَا خَلَقُ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظُلْمَانٍ^(١)
كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا أَفْلَاتُ صَادِرَةٌ عَنْ صَوْتِ مِرْنَانٍ^(٢)
تَنْسَابُ فِي اللَّيْلِ لَا تَرَعَى لِهَا جِسْمَةٍ كَأَنَّنِي رَاكِبٌ فِي رَأْسِ ثُعْبَانٍ^(٣)

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٧٦ طبع الهند والأول والثاني في ديوان المعارف ٢ / ١٢٢ وأمال المرتضى
٥٥٤ / ٩ وجاء في شرح الديوان يقول : إلى الأمام . يعنى هارون الرشيد - تهادانا بأرحلنا . أى حملنا
بأرحلنا . خلق من الريح ، يعنى النوق . في أشباح ظلمان أى في أبداء ظلمان ، وهى ذكور النعام . شبه
النوق بسرعتها في السير بالريح . وذكر وثيمة في كتاب الهدى : أن الإبل خلقها الله من الريح حين
خلق الخلائق في أول الزمان ، والشعراء المولودون قد كثروا من ذلك . والأشباح : الشخصوس : واحد اشباح
بفتح الباء . وفي م « تهادينا بأرحلنا » وانظر ديوانه طبع دار المعارف ١٢٦ .

(٢) م « والبحر يأخذ » وفي الديوان : « صادرة عن قوس حسان » يقول : كأن إفلات هذه
الناقة ، أى انبعاثها في السير انبعاث ظلية رماها رام فأخطأها ، وقد سمعت وتر القوس وشمرت بالسهم
فهي تقرر ، شبه ناقتها بها في السرعة . وقوله : عن قوس حسان ، يقال لضرب من القسي : حسانية ،
منسوبة إلى رجل أو بلد ، وصادرة : راجعة عن الماء . يريد أنها أرادت شرب الماء فأصابته رامياً تصمها
بهم فأخطأها فنفرت مسرعة .

(٣) في الديوان : « ينساب » . لا يرعى « أى لا يرعى سمعه لحركة في الليل من صوت ، كأنه
راكب في رأس ثعبان ، يصف ، ما هو فيه من مزاولته السير في الظللة بالليل » .

وقد أفرط. الذي يقول ، وأحسن في إفراطه :

مَرْوَحٌ بِرِجْلَيْهَا إِذَا هِيَ هَجَرَتْ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا

وقال « الشماخ » :

* تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ رَأْيِ الْقَطِيعِ ^(١) *

وقال « الحُطَيْئَةُ » :

وَإِنْ نَظَرْتُ يَوْمًا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهَا إِلَى عِلْمٍ بِالغَوْرِ قُلْتُ لَهُ أَبْعِدْ ^(٢)

(١) ديوان الشماخ ٥٩ و صدره : « مروح تقتل بالبيد حرف » .

(٢) ديوان الحطيئة ٢٣ « في الغور قالت له » .

باب الشحوب والتغير من الأسفار

قال أبو تمام :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَتَمْتُ لِحَظْهَا حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ^(١)
وَرَأْتُ سُحُوبًا رَابَهَا فِي وَجْهِهِ مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرٍ^(٢)
غَرَضُ الْحَادِثِ لَا تَزَالُ مُلِمَّةً تَرْمِيهِ عَنْ شَرْرٍ بِأَمٍّ حَبْوَكِرٍ^(٣)
سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُوهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ^(٤)

وهذا ما لا غاية وراءه في الحسن والصحة والبراعة .

قوله : « سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ » ، أَى لَزِمَتْهُ ، وَغَرِيَتْ بِهِ .

وقال البحترى نحو هذا البيت الأخير ولكن على وجه آخر وأحسن

وأجلى ، قال :

وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرَوُّهُ بِسَعْيٍ لَأَذْرَكْتُ الذِّى لَمْ يُقْدَرِ^(٥)

وقال أبو تمام :

نَكِرْتُ فَتَى آلَوَى بِنَضْرَةٍ وَجْهِهِ وَبِمَائِهِ - نَكَدُ الْخُطُوبِ وَلَوْهَا^(٦) .

(١) ديوان أبي تمام ٢٩٦ .

(٢) في الديوان « شحوبا رابها في جسمه » .

(٣) وفيه : « عن شفق » وأم حبوكر : أعظم الدواهي ، كما في اللسان ٥ / ٢٣٤ .

(٤) م « سدكت بها » .

(٥) ديوان البحترى ٢١٥ .

(٦) ديوان أبي تمام ٣١٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٧٢ .

لَا تُنْكِرِي شَيْمِي فَإِنِّي زَائِدِي حَزْمًا حِصَارُ النَّائِبَاتِ وَشَيْمُهَا^(١)
 فَلَقَبِلْ أَظْهَرَ صَقْلٍ سَيْفٍ أَثَرُهُ فَبَدَا وَهَذَبَتِ الْقُلُوبُ هُمُومَهَا
 وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
 حِصَارُ النَّائِبَاتِ : بِيضُهَا ، وَشَيْمُهَا : سُودُهَا . يريد أنه يزيد في حزمه
 ومعرفته بالأمور - ما يقاسيه من الخير والشر .

وقال :

لَا يَطْرُدُ الْهَمَّ إِلَّا الْهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقْلَقِلٍ لَبَنَاتِ الْقَفَرَةِ النَّعْبِ^(٢)
 لَا تُنْكِرِي مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلُهُ فَالسَّيْفُ لَا يَزْدَرِي إِنْ كَانَ دَاشُطَبِ^(٣)
 وهذا كله جيد بالغ حسن نادر .

• • •

وقال البحترى :

مَا تُنْكِرُ الْحَسَنَاءُ مِنْ مُتَوَغِّلٍ فِي اللَّيْلِ يَخْلِطُ أَيْنَهُ بِسُهُودِهِ^(٤)
 قَدْ لَوَّحَتْ مِنْهُ السُّهُوبُ وَأَثَرَتْ فِي يَمْنَتَيْهِ وَعَنْسِهِ وَقُتُودِهِ
 فَلِفِضَّةِ السَّيْفِ الْمُحَلَّى حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا وَمَضَاوُهُ لِحَدِيدِهِ
 تَمَّ الْبَاب .

• • •

وهذا ما قلت أذكره في آخر الباب من حال قيس بن زهير ، والحارث

ابن مُضاض ، والبراءض .

(١) في الديوان « لاتنكرى هـى » وفي م « حزنا » .

(٢) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ « ألم الأول : ما يجده الرجل في صدره ما يوجب رحيه . وألم الثانى : الهمة . مقلقل : من القلقه وهى الحركة العنيفة . وبنات القفر : الإبل ، جعلها بنات القفر لأنها تقطع بها . والنعب : جمع نعوب ، والنعبان : تحريك الناقة رأسها في السير ، وذلك من النشاط » .

(٣) م « تخديدا تجلله كالسيف » يقال تخدد لحم الرجل : إذا هزل فصارت فيه طرائق ، وأصل ذلك من الخد ، وهو حفرة مستطيل في الأرض . لا يزدري : لا يحتقر . وشطب السيف : طرائفه التى فيه .

(٤) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ والأين : النعب .

فَأَمَّا قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ الْعَبْسِيُّ فَإِنَّ بَنِي بَدْرٍ الْفَزَارِيِّينَ قَتَلُوا أَخَاهُ مَالِكًا فَتَنَشَبَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ابْنِي^(١) بَغِيضٍ.

وكان سبب ذلك رَهَانُ دَاحِسٍ وَالْعَبْرَاءُ فَقَتَلَ قَيْسٌ حُدَيْفَةَ بْنَ بَدْرٍ وَحَمَلَ
ابن بَدْرٍ وَغَيْرَهُمَا . ودامت^(٢) الحرب بينهما دهرًا طويلًا حتى كادوا يفنون .

وتشاءمت العرب بقيس ، وكان سيدًا حكيمًا أريبًا حليماً . فقال :
لَا أَقِمُ بِلَادَ قَتَلْتُ بِهَا سَادَاتِ قَوْمِي وَلَمْ أَحْلَمْ . وَلَمْ أَقَارِبَ . وَلَمْ أَصْلَحْ
فقال :

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيَّنَا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ^(٣)
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَى ، وَالْبَغَى مَرْتَعُهُ وَخِمُ
أُظُنَّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

ثم خرج ضَارِبًا فِي الْبِلَادِ عَلَى وَجْهِهِ مُتَخَلِّيًا مِنْ كُلِّ أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَصَارَ
إِلَى بَعْضِ نَوَاحِي عَمَانَ فَهَلَكَ هُنَاكَ . وَلَهُ فِي هَلَاكِهِ خَبَرٌ . فَهَذِهِ غُرْبَةُ قَيْسٍ .

وَأَمَّا غُرْبَةُ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ الْجُرْهُمِيِّ فَإِنَّهُ كَانَ سَيِّدَ جَرَاهِمَ فِي زَمَانِهِ ،
وَكَانَ إِلَى قَوْمِهِ حِجَابَةَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ فَغَلِبَتْهُمْ عَلَيْهِ خِزَاعَةٌ ، فَخَرَجُوا
وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ .

(١) م « ابن » والتصويت من العقد الفريد ٥ / ١٥٠ .

(٢) م « فأدامت » .

(٣) في معجم البلدان لياقوت ٣ / ١١٥ « جفر الهباءة ؛ اسم يتر بأرض الشربة ، قال بها
حذيفه وحمل ابنه بدر الفزاريان ، قال قيس بن زهير وهو قتلها . ثم ذكر البيت الأول » . وذكر الأبيات
في « الهباءة » ٨ / ٤٤١ وزاد في آخرها :

ومارست الرجال ومارسوني معوج على ومستقيم
الموازنة - ثان

وفى ذلك يقول الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ^(١)
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَازَالَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ
ويقال : بل قائل هذه الأبيات بكر بن غالب بن الحارث بن مُضاض .

* * *

فَأَمَّا فَتَكَةُ الْبَرَّاضِ ، فهو برَّاضُ بن قَيْسِ بن رَافِعِ الْكِنَانِي ، أحد
بنى مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس . وفتكته كانت بِعُرْوَةَ^(٢)
الرَّحَّالِ بن عتبة بن جعفر بن كلاب . وكانت من أجله وقعة « النِّجَارِ
الْعُظْمَى »^(٣) .

وسبب ذلك أَنَّ الْبَرَّاضَ [و] كان رجلاً شريراً فاتكاً - صار إلى
النُّعْمَانِ بن الْمُثَنَّرِ . ولما حضر الموسم جهز اللَّطِيْمَةَ إلى « سوق عكاظ » ،
وهي من كُلِّ الْمَتَاعِ . ولا يقال [لها] لطيمة إلا إذا كان فيها مسك وطيب ،
فقال النُّعْمَانُ : مَنْ يُجِيرُهَا ؟ قال الْبَرَّاضُ : أَنَا أَجِيرُهَا على قومي بنى
كِنَانَةَ (قال : وعلى العرب أجمعين^(٤)) قال البراض : وعلى بنى كنانة .
قال نعم ، على العرب والعجم ، وعلى الجن والإنس . فسار فيها عروة ، وأتبعه
البراض حتى إذا كان بذي طلال قريباً من خيبر حَمَلَ عليه فقتله ، وكانت
الْحَرْبُ .

(١) له في اللسان ١٦ / ٢٦٤ ولعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض في سيرة ابن هشام ١٢٠ / ١ .

(٢) م « لعروة الرجال بن عمه » .

(٣) المقد الفريد ٥ / ٢٥٣ .

(٤) كذا في الأصل وفي المقد : « بن كنانة » . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يجيرها على
أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرجال . وهو يوثق رجل هوازن : أكلب خليف يجيرها لك ، أبيت اللعن ؟
أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقبصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعل بنى كنانة تجيرها
يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم » .

باب

مضت أنواع النسيب^(١) كلها . وهذا باب أرسم فيه^(٢) الأبواب التي خرجا فيها من النسيب إلى المديح .

اعلم أنهما جميعاً قد تعملاً في بعض قصائدهما النسيب . وصلاً به النسيب بالمديح ، وأعرضا في كثير من أشعارهما عن هذا المعنى . وابتدأ بالمدح منقطعاً عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراء الجاهلية والإسلام . وكانوا كثيراً ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض : « فَدَعْ ذَا » . فتجنبها المتأخرون واستقبحوها . وكذلك قولهم : « فَعَدَّ عَنْ ذَا » . وهي عندهم أحسن .

فمما قطعه أبو تمام مما قبله :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِثٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ^(٣)

ثم خرج إلى المدح فقال :

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ

وقال :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ ، وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّخْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا^(٤)

(١) في الأصل الشيب .

(٢) م « فيها » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٧٩ .

(٤) ديوانه ٢٩١ ، وفي م « وزعمتم » ومضى في ص ١٩٧ .

ثم قال :

مَنْ رَأَى بَارِقًا سُرَى صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهُولَهَا وَالْحُزُونََا

وقال :

أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خِصَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِصَابِي^(١)

ثم قال :

لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَتَابِ

وقال :

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا^(٢)

ثم قال :

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلْفًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا^(٣)

وقال :

كَأَنَّ لَهُ دِينًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ ثَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ^(٤)

ثم قال :

رَأَيْتُ لِعِبَاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ

وقال :

حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِنَكْسٍ، وَذُو الْحِجَا يُدَافُ لَهُ سُمٌّ مِنَ الْعَيْشِ مُنْقَعٌ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٩ وشرح التبريزي ١ / ٨٣ .

(٢) ديوانه ٢٦ وشرح التبريزي ١ / ١٦٨ .

(٣) ويروي : « رغبيا » و « عجبيا » .

(٤) ديوانه ١٤ وشرح التبريزي ١ / ١٥٩ .

(٥) ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٥ .

ثم قال :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ أَبِي يُوسُفَ وَذُ النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوْلَعُ

وقال :

فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارَى وَلَمْ تُرْكِبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ^(١)

ثم قال :

بِمَهْدِيٍّ بَنِ أَضْرَمَ عَادَ عُودِي إِلَى إِيرَاقِهِ ، وَأَمْتَدَّ بَارِعِي

ومن ذلك قول البحترى :

تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ^(٢)

ثم قال :

لَعَمْرُكَ مَا أَلْدُنْيَا بِنَاقِصَةِ الْجَدَا إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بَنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ

وقال :

وَمَنْ يَطْلُعُ شَرْفَ الْأَرْبَعِينَ يُلَاقِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيباً^(٣)

ثم قال :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ تَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيباً

وقال :

تَأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَقْهَمَا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٨ وفي م « هموما » .

(٢) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف « يجي من الشيب . . . » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٩ .

ثم قال :

اللَّهُ جَارُ بَنِي الْمُدَبِّرِ كُلَّمَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ مَا أَعْفَ وَأَكْرَمًا^(١)

وقال :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي جَمِيلَةٍ وللصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهُ^(٢)

ثم قال :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعَلِّيِ إِلَى الْمَجْدِ ضَرْفُهُ دَعِ الْمَجْدَ فَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَاغِلُهُ^(٣)

وقال في وصف الغيث :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلَىٍّ وَمِنْ حُلَلٍ مَا يُمْتَعُ الْعَيْنَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيْبَاجٍ^(٤)

ثم قال :

إِلَى عَلِيٍّ بَنِي الْفَيَاضِ بَلَّغْنِي سُرَايَ مِنْ حَيْثُ لَا يُسَرَى وَإِذْ لَا جِي^(٥)

وقال :

مَا كَانَ هَجْرُكَ مَكْرُوهًا أَحَاذِرُهُ وَلَا وَصَالُكَ مَعْرُوفًا أَرْجِيهِ^(٦)

ثم قال :

بَنُو ثَوَابَةِ أَقْمَارُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَلْبَثِ اللَّيْلُ أَنْ يَنْجَابَ دَاجِيهِ

(١) في ديوان البحري ٤ / ١٩٥٩ « ذكر الأكارم »

(٢) ديوان البحري ٥٢ / ٣٤ / ١٦١٢ « عتى حميدة » .

(٣) في الديوان ٥٢ « طوقه » .

(٤) ديوانه ٣٨٧ / ١٤ / ٤١١ « ما صاغ من قبر ومن ورق وحاك ما حاك » .

(٥) م لا تسرى » .

(٦) ديوانه ١٧٥ / ٤٤ / ٢٤٢٣ .

وقال :

أَمِيلُ بِقَدْبِي عَنْكَ ثُمَّ أَرُدُّهُ وَأَعْذُرُ نَفْسِي فِيكَ ثُمَّ أَلُومُهَا^(١)

ثم قال :

إِذَا الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ عُدَّتْ خِلَالُهُ حَسِبْتَ سَمَاءَ كَانَتْكَ نُجُومُهَا^(٢)

وقال :

وَهَلْ هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَسِيرَةٌ يُذِيبُ الْحَشَا وَالْقَلْبَ وَجُدًا غَلِيلُهَا^(٣)

ثم قال :

وَلَوْلَا مَعَالِي أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ لَأَضَحَّتْ دِيَارُ الْحَمْدِ وَحَشَا طُلُوعُهَا^(٤)

فهذا الجنس من الخروج إلى المدح هو الأعم في أشعارهما .

* * *

وأما الوجه الذي يجعلون^(٥) له سبباً يَصِلُ النسيب بالمدح فعلى معاني شتى :

منها الخروج بذكر وَصْفِ الْإِبِلِ وَالْمَهَامِرِ إِلَى الْممدوح . وهذا المعنى عام كثير في أشعار الناس .

فمن ذلك قول أبي تمام :

يُصْبِرُنِي إِنْ ضِيقْتُ ذَرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَائِلُهُ^(٦)

(١) ديوان البحري ١٠٧ / ٢٠٢٣ .

(٢) في الديوان « سبت السماء » .

(٣) ديوانه ١٧٧٩ / ٣ طبع المعارف .

(٤) هو أحمد بن محمد بن بطام المتوفى سنة ٢٩٧ هـ .

(٥) م « يجعلوا له » .

(٦) ديوان أبي تمام ٢٣٠ « يعفني » . ذرعا يحبه « في شرح التبريزي ٢ / ٢٤ » ذرعا بتأني » .

ثم خرج إلى مدح المعتصم فقال :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْمَلَأَ أَدْمَانُهُ وَجَرَّأُولُهُ^(١)
 نَصَرَنَ السُّرَى بِالْوَحْدِ فِي كُلِّ صَحْصَحٍ وَبِالسُّهْدِ الْمَوْصُولِ وَالنَّوْمِ خَاذِلُهُ^(٢)
 رَوَّاجِلُنَا قَدْ بَزَنَّا الْهَمَّ أَمْرَهَا إِلَى أَنْ حَسِبْنَا أَنَّهُنَّ رَوَّاجِلُهُ
 إِذَا خَلَعُ اللَّيْلِ النَّهَارَ رَأَيْتَهَا بِإِرْقَالِهَا فِي كُلِّ وَجْهِ تُقَابِلُهُ^(٣)
 إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِمَدْحِهِ مَدَحْتُ بَنَى الدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهُ
 الْمَلَأَ - الْمُقْصُورَ - : الْمُتَسَّعُ مِنَ الْأَرْضِ .

وَالْأَدْمَانُ : جَمْعُ دَمَتْ وَهِيَ الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ .

وَالْجَرَّأُولُ : جَمْعُ جَرَّؤُلَ - وَهِيَ [الْأَرْضُ] الْخَشْنَةُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ .

ومنه قول أبي تمام أيضًا :

الْيَوْمَ يُسَلِّيكَ عَنْ طَيْفٍ أَلَمٍ وَعَنْ بَيْلَى الرُّسُومِ بَلَاءُ الْأَيْتُقِ الرُّسْمِ^(٤)
 مِنْ الْقِلَاصِ الدَّلَوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ
 إِذَا بَلَغْنَ أَبَا كُلْثُومٍ اتَّصَلَتْ تِلْكَ الْمُنَى وَأَخَذَنَ الْحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قوله :

سَيَبْتَعُ الرُّكَّابَ وَرَاكِبِيهَا فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غِرَارُ^(٥)

(١) في «ديوان وشرحه» «أتاك أمير» وفي م «عليها المدي» .

(٢) م «نصرت» .

(٣) قال الصول فيما نقل التبريزي «يقول : نجد في السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله ؛ لأن سير النهار أحب إليها . و «تقابله» بالباء يدل على أن سير الليل أحب إليها من السير في النهار» .

(٤) ديوانه ٢٦٨ وشرح التبريزي ١٨٦ / ٣ وفي م : «يسلك» .

(٥) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٥ / ٢ .

أَطْلَّ عَلَى طُلَى الْآفَاقِ حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ^(١)
تَوَّمَّ أَبَا الْحُسَيْنِ وَكَانَ قَدَمًا فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

وقوله :

وَبَسَاطٍ. كَأَنَّمَا الْآلُ فِيهِ وَعَلَيْهِ سَحَقُ الْمَلَأِ الرَّحِيضِ^(٢)
يُضْبِحُ الدَّاعِرِيُّ ذُو الْمِرَّةِ الْمِرْ جَمُ فِيهِ كَأَنَّهُ مَابُوضُ^(٣)
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بَيْدِهِ خَاتَمَ الْخَوْ فِ. وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوضُ
بِالْمَهَارَى يَجْلُنَ فِيهِ وَقَدْ جَا لَتْ عَلَى مُسْتَمَاتِهِنَّ الْغُرُوضُ^(٤)
جَازِعَاتٍ سُودَ الْمَهَامِهِ تَهْدِيدِ هَا وَجْهَهُ لِمَكْرَمَاتِكَ بَيْضُ^(٥)

وقوله :

فَاطْلُبْ هُدًوًا بِالتَّقْلُقِ وَأَسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السَّهَادِ هُجُودًا^(٦)
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السُّرَى وَخَدًا يَبِيْتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدًا
تَخْدِي بِهِ نَصَلْتُ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضَرْبَاؤُهُ جِلْسًا لَهَا وَقُتُودًا

(١) في الديوان وشرحه « على كل » .

(٢) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٠ البساط : الأرض الواسعة . والسحق : البالي .

ويروى : « السحن » وهو الثوب الأبيض . والرحيض : المغسول .

(٣) « الداعري » : الفحل من الإبل . والمرة : القوة ، ويروى « ذو الميعة » وهي النشاط .

والمرحم : الذي يرمى بنفسه الأشياء كأنه يرجعها . والمأبوض : الذي عليه إياض ، وهو جبل يشد في مأبض البعير . وهو باطن الركبة .

(٤) المسنات : الإبل العظام الأسنة . يقول : هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها

لأجل ذلك .

(٥) جازعات : من جزع الوادي إذا قطعه . وعنى بالسود الليالي . ويروى « سود المروارة »

والمروارة : الأرض التي لا شيء بها . أي هؤلاء القوم يسرون بالليالي السود بالمروارة .

(٦) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١ / ٤١٦ .

جَعَلَ الدُّجَى سِتْرًا وَودَّعَ رَاضِيًا بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قَعُودًا^(١)
 طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ الْمُئَهِّي لَهَا وَوَرَدَنَ ظِلُّ رِوَاقِهِ الْمَمْدُودَا^(٢)

قوله : « فاطْلُبْ هُدُوءًا فِي التَّقَلُّقِ » من قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْد :

* ولم تدر أُنَى لِلْمَقَامِ أَطْوَف *

وقوله : « الْمُئَهِّي لَهَا » أَيْ الَّذِي أَكْثَرَتْ مِيَاهُهُ . وَيُرْوَى « الْمُئَهِّي » لَهَا
 أَيْ الَّذِي يُكْثِرُ لَهَا الْمَاءَ . وَلَيْسَ يَرِيدُ الْمَاءَ بَعِينَهُ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْخِصْبَ وَالسَّعَةَ
 لِأَنَّهُ بِالْمَاءِ يَكُونُ .

وهذا الخروج كله جيد بالغ .

وله على هذا الوجه خروجات رديئة ومتوسطة لم أذكرها . ومنها قوله :
 دَعَّ عَنْكَ هَذَا إِذَا أُنْتَقَلْتَ إِلَى الْـ حَذَحْ وَشَبَّ سَهْلُهُ بِمُقْتَضَبِهِ^(٣)
 فَالسَّهْلُ : مَا يَأْتِيهِ بِهِ خَاطِرُهُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا طَالِبٍ .

وَالْمُقْتَضَبُ مَا يَقْتَطِعُهُ خَاطِرُهُ اقْتِطَاعًا بِالْفِكْرِ وَالتَّعَبِ ، وَيُقَالُ : نَاقَةٌ
 قَضِيبٌ ، وَهِيَ الَّتِي رِيضَتْ وَلَمْ تُذَلَّ كُلُّ الذَّلِّ لِلْحَمَلِ وَالرُّكُوبِ .

فَأَمَّا قَوْلُ الْبَحْثَرِيِّ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ^(٤) فِي عِتَابِ حُلُوٍ :
 دَعَّ ذَا وَأَخِيرَنِي بِشَانِ صَدِيقِنَا بِيَشِيرٍ وَهَلْ يُرْضَى لِبِشِيرٍ شَانُ^(٥)

(١) سبقت روايته « الدجى جملا » .

(٢) ويروى : « فتفألت ظلالها الممدودا » و « فوردن ظل ربيعة المهدودا » .

(٣) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزي ١ / ٢٧٥ .

(٤) م « المدبر بن عتاب » .

(٥) لعله بشر بن الفرج الذي مارحه بأبيات ختمها بقوله : « يحب الدناة حب الوطن » راجع

ديوانه طبع مصر ٣٠١ / ٢ .

فإنَّ «دَعَّ» هاهنا حسنة ، وليست مثلها في الخروج من النسيب إلى المدح .
ثم قال أبو تمام هو قوله : «دَعَّ عَنْكَ هذا» :

لَسْتُ مِنَ الْعِيْسِ أَوْ أَكَلَفَهَا وَخَدًا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصِيهِ^(١)
إِلَى الْمُصَفَّى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ أَنْ صَغَنَ أَنْصِياعَ الْكُدْرِيِّ فِي قَرَبِهِ^(٢)
قوله : «يُدَاوِي الْمَرِيضَ» ، يعنى المريض في حاله لا في جسمه ؛ لأنه
يُدْنِيهِ مِنَ الْغَى .

وَالْأَنْصِياعُ : الانحراف في السير من النشاط والسَّرعَة . وَالْكَدْرِيُّ الْقَطَا .
يعنى إذا جنحت في الطيران وانحرفت نشيطة مسرعة .

ومن هذا الباب قول البحرى :

فَالْعِيْسُ تَرْمِي بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فِي مَهْمِهِ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرَيْسِ رَخْرَاحٍ^(٣)
نَهْدَى إِلَى الْفَتْحِ - وَالنُّعْمَى بِذَلِكَ لَهُ مَدْحًا يُقَصِّرُ عَنْهُ كُلُّ مَدَّاحٍ^(٤)
وقوله :

سَيَحْمِلُ هَمِّي عَنْ قَرِيبٍ وَهَمَّتِي قَرَى كُلَّ ذِيَالٍ جُلَالٍ جَلَنَفَعٍ^(٥)

(١) الذى بعده في الديوان وشرحه :

إنى لذو ميم يلوح على صمود هذا الكلام أو حبه

وقال التبريزى : لست من العيس : أى لست صاحبها حتى أكلفها سيرا يشق صدر المهموم ويذهب
عدم الفقير . والوصب : الوجع ، أخذه من قول القطامى :

وسارت سيرة ترضيك منها يكاد وسيجها يشق الصدا

(٢) في قربه ، أى في طلبه للماء ، ومنه ليلة القرب وهى التى يصبحون منها على الماء .

(٣) ديوان البحرى ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ .

(٤) م « نهى . . بذلك له » .

(٥) ديوانه ٨٩ ، ٢ / ١٢٣٨ ، والقرى : الظهر ، والذيال : طويل الذيل ، والجلال : الضخم .

وقال أبو العلاء المعرى : ووصفه الجمل بذيال قلما يستعمل ، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشى .
والجلفنغ : الغليظ الشديد وإنما توصف به الإبل ، وربما استعملوه في الظلم ، والأثنى جلفنفة . واجمع
عبث الوليد ١٣٣ .

يُنَاهِبْنَ أَجَوَا زَ الْفَيَّافِي بِأَرْجُلٍ عِجَالٍ إِلَى طَى الْفَيَّافِي وَأَذْرُعُ^(١)
مَتَى تَبْلُغِ الْفَتْحُ بِنَ خَاقَانَ لَا تُنِخْ بِضَنْكَ ، وَلَا تَفْرَعْ إِلَى غَيْرِ مَفْرَعِ
الْجَلَنْفَعِ : الْمُتَنَاهِي فِي سَنَّهُ وَقَوْتَهُ^(٢) .

« يُنَاهِبْنَ أَجَوَا زَ الْفَيَّافِي . . . » بيت في غاية الحسن ، وجودة اللفظ .

وقول البحترى أيضًا :

وَلَقَدْ تَعَسَّفْتُ الْأُمُورَ وَصَاحِبِي حَزْمٌ يَلْفُ حُزُونَهَا بِسُهُولِهَا^(٣)
وَنَشَرْتُ أَرْذِيَّةَ الصَّبَا وَطَوَيْتُهَا بِالْعَيْسِ بَيْنَ وَجِيفِهَا وَذَمِيلِهَا^(٤)
شَامَتْ بُرُوقَ سَحَابَةٍ قُرْشِيَّةٍ غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا^(٥)

وقوله :

وَإِذَا أَسْتَضَعَبْتُ مَقَادَةَ أَمْرِ سَهَّلَتْهَا أَيْدِي الْمَهَارَى الْقُودِ^(٦)
حَامِلَاتُ وَفَدَ الثَّنَاءِ إِلَى أَبْ لَمَجَ صَبَّ إِلَى ثَنَاءِ الْوُقُودِ
عَلِقُوا مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ حَبْلٍ لِرُوقِ الْخِلَافَةِ الْمَمْدُودِ^(٧)

وقوله :

تَشَكَّى الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بِقِيْعِهَا^(٨)

(١) م « أجواز الفياي » .

(٢) وكان خليفاً بالآملى أن يزيد بعد ذلك : وهي كلمة في غاية السخف .

(٣) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣ / ١٧٧١ .

(٤) م في الديوان « أردية الدجى . . . والعيس » .

(٥) في الديوان : « بين سهولها » .

(٦) ديوانه ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٤ والمهاري القود : الإبل الطويلة الأعناق .

(٧) يقصد محمد بن عبد الملك الزيات .

(٨) ديوانه ٥ ، ١٢٩٧ وإعجاز القرآن ٩١ وعبث الوليد ١٣١ والرجى : أن يشتكى البير

باطن خفه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه . والقيح من الأرض . المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

وَلَسْتُ بِزَوَّارِ الْمُلُوكِ عَلَى الْوَنَى
تَوْمُ الْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ
لَئِنْ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا وَنُسُوعُهَا^(١)
بِحَيْثُ تَلَاقَى غَرْدُهَا وَبَدِيعُهَا^(٢)
إِذَا أَشْرَفَ الْبَرْجُ الْمَطْلُ رَمَيْنَهُ
بِأَبْصَارِ خَوْصٍ قَدْ أَرْنَتْ قُطُوعُهَا^(٣)
يُضِيءُ لَهَا قَصْدَ السَّرَى لَمَعَانَهُ
إِذَا أَسْوَدَّ مِنْ ظَلَمَاءِ لَيْلِ هَزِيعِهَا
نَزُورُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ
سُهُوبُ الْبِلَادِ رَحْبُهَا وَوَسِيعُهَا

وهذه ألفاظ ومعان في غاية الصّحة والحسن ، وكثرة الماء .

وقوله : « عُرِّيَّةٌ » منسوبة إلى فَعَلٍ من فحول الإبل مذكور يقال له : غُرَيْر .
وَعَرْدُهَا وبديعها : قصران .

* * *

وقال في ابن المدبّر :

إِنِّي لَأَجِيءُ إِلَى عَزَمَاتٍ مُعْدِيَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْهُجُومِ^(٤)
يَتَلَاَعِبْنَ بِالْفِيَا فِي وَيُودِي نَ بِنَقِي الْمُسُومَاتِ الْكُومِ^(٥)
التَّرَامِي بَعْدَ الْوَجِيفِ إِذَا أُسْتُو نِفَ خَرَقُ ، وَالْوَحْدُ بَعْدَ الرِّسِمِ^(٦)
كُلُّ مَهْزُوزَةٍ الْمُقْدِزِينَ تَلْقَى رَوْحَةَ الْجَابِ خَلْفَهَا وَالظَّلِيمِ^(٧)

(١) في الديوان : « على الوجي » والأغراض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل والنسوع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرجال .

(٢) في الديوان « غربها وبديعها » .

(٣) البرج : قصر للمتوكل مكث به ثلاثة أيام فحم ، فأمر بهدمه . والخص : غزور العين .
أرنت : أخلقت وبلت . والقطوع : جمع قطع يكسر القاف ، وهو الطنفسة تحت الرجل على كفى البعير .

(٤) ديوان البحري ٥٩٤ ، ٤ / ٢١٢٢ « على طروق » .

(٥) النقي : مخ العظام وشحمها ، كما في اللسان ٢٠ / ٢١٤ .

(٦) في الديوان « بعد الوجيفة . » وفي طبعة المعارف « قبل الرسيم » .

(٧) قال ناشر الديوان في شرحه « المقذنين : مثني مقذ ، وهو آلة ، من قذ السهم : الصق به الريش » وهو خطأ محض . والصواب ما قاله الآمدي . وفي طبعة المعارف « تلى » .

جُنْحًا كَالسَّمَامِ يَحْمِلُنَ رَكْبًا طَلْحًا مِنْ ضُؤْلَةٍ وَسُهْمٍ^(١)
 مَالَهُمْ عَرْجَةٌ وَإِنْ نَأَتِ الشَّمَةُ قَمَةٌ دُونَ الْأَغَرِّ إِبْرَاهِيمَ^(٢)

قوله : « مَهْزُوزَةُ الْمِقْدَتَيْنِ » : قَالِمَقْدَانٍ : أصول الأذنين . وإنما يريد
 حركة رأسها عند السير ، وما أكثر ما تصف العرب ذلك .

وقوله : « تَلَقَّى رَوْحَةَ الْجَبَابِ » إذا سارت مع حمار الوحش ، والظليم ،
 وهو ذكر النعام . فوصلت غُدُوَّةً - وَصَلًا بعدها عَشِيًّا . يصفها بالسرعة
 والقوة عا السير .

وَالسَّمَامُ^(٣) : جنس من الطير .

وَجَنَحَ يُجَنِّحُ فِي طَيْرَانِهِ . أى يميل من النشاط . على أحد جناحيه وكذلك
 تفعل كرائم^(٤) الإبل تتصرف في سيرها .

وقوله :

قَدْ أَقْذِفُ الْعَيْسَ فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ
 حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلَتْ أَخْرَاهُ عَنْ أَفْقٍ
 وَأَوْرَدَتْ صَادِيَةَ الْأَمَالِ فَاَنْصَرَفَتْ
 وَشَيْئًا مِنَ النُّورِ . أَوْ أَرْضًا مِنَ الْعُشْبِ^(٥)
 مُضْمَخٌ بِالصَّبَاحِ الْوَرْدِ مُخْتَضِبٍ
 عَنِّي بِهَا . وَأَخَذْتُ النُّجَجَ مِنْ كُتْبِ^(٦)

(١) م « جنحا كالسما » وهو تحريف ، وفي الديوان « كالسهام . . من سامة وسهم » .

(٢) في الديوان « غير الأغر » .

(٣) م « والسمام » .

(٤) م « جرايم الإبل » !

(٥) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ .

(٦) في الديوان « فانصرفت بريها وأخذت » .

هَاتِيكَ أَخْلَافُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنْ الْعُلَا . وَالْعُلَا مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ^(١)

أَرَادَ أَوْرَدَتْ^(٢) صَادِيَةَ الْآمَالِ بِهَا أَيْ بِالْعَيْسِ فَانْصَرَفَ عَنْ^(٣) الْآمَالِ
الصَّادِيَةِ . وَهِيَ الْعِطَاشُ . وَأَخَذَتْ النُّجُجَ مِنْ كَثَبٍ . أَيْ مِنْ قُرْبٍ .

وقوله : « فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ شَيْئًا مِنَ النُّورِ » [أَيْ] فِي لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ ،
فَإِذَا اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ أَشْرَقَتْ كَوَاكِبُهُ مَا صَغُرَ مِنْهَا وَ [مَا] كَبُرَ . وَأَحْسَنُ
مَا تَكُونُ السَّمَاءُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَهَا .

وإلى هذا المعنى ذهب ذو الرُّمَّةِ فِي قَوْلِهِ :

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ^(٤)

أَرَادَ الْحَلِي الَّذِي [عَلَى] جِلْبَابِهَا . شَبَّهَ اللَّيْلَ بِهِ فِي حَسَنِ نُجُومِهِ . وَإِنَّمَا
يُرِيدُ أَنَّهُ أَدْرَعَ لَيْلًا شَدِيدِ الظُّلْمَةِ ، مُضِيءَ الْكَوَاكِبِ .

وَفِي شِدَّةِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا :

وَاللَّيْلُ فِي صَبْعِ الْغُرَابِ كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَبِ^(٥)

حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحُ مِنْ جَنَابَتِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلُبِ^(٦)

وَهَذَا مَعْنَى مَا سَمِعْتُ فِي شَعْرِ قَدِيمٍ وَلَا مُحَدَّثٍ أَحْسَنَ وَلَا أَرْوَعَ مِنْهُ .

(١) يَقْصِدُ الْوَزِيرَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ بَلِيلٍ .

(٢) م « أَرَادَ أَوْ رَدَّتْ بِمَعْنَى أَوْ رَدَّتْ » .

(٣) م « فَانْصَرَفَتْ حَتَّى الْآمَالِ » .

(٤) دِيْوَانُ ذِي الرُّمَّةِ ٢٩ وَدِيْوَانُ الْمَعَانِي ١ / ٣٤٢ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٢٣٣ وَأَخْبَارُ أَبِي تَمَامٍ ٨٣

وَأَمَّا الْمُرْتَضَى ١ / ٥٤٨ .

(٥) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٦٠١ ، ١ / ٨٠ « فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ » .

(٦) فِي الدِّيْوَانِ « فِي جَنَابَتِهِ » . يَلْمَعُ مِنْ وَرَاءِ .

ثم قال :

وَالْعَيْسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا أَنْجَلَى
صَبِغُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ^(١)
يَطْلُبْنَ مُجْتَمَعَ الْعَلَا مِنْ وَاثِلٍ
فِي ذَلِكَ الْأَصْلِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ^(٢)

وقال البحتري :

سَوْفَ أُعْطِيَ السُّلْوَى وَالصَّبْرَ مَا أَمْ
نَعُ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى وَتَلِيدِ^(٣)
بِالْمَهَارَى يَلْبَسُنْ ثَوْبًا جَدِيدًا
مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
فَهِيَ طَوَّلَ الشَّهَارِ بَيْضٌ وَطَوَّلَ الْ
لَيْلِ فِي أَقْمَصِ مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
طَالِبَاتُ فِي الْغَيْثِ غَيْثًا سَكُوبًا
وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٤)

وقال في محمد بن علي القمي :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَبْدِيَّةَ الْعَيْسِ أَنْنِي
أَهْبُ إِذَا نَامَ الْهَدَانُ وَأُعْنِقُ^(٥)
خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ بَيْضًا لَمْ نَرَالِدْ
دَادِي إِلَّا وَهَى مِنْهُنَّ أَمَحُ^(٦)
هَشَمَنْ إِلَى ابْنِ الْهَاشِمِيَّةِ أَوْجُهَا
عَوَابِسَ لِلظُّلُمَاءِ مَا تَتَطَلَّقُ^(٧)

قوله : « خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ » . يريد في الليالي البيضاء ، وهي التي يكون القمر فيها طالعاً من أولها إلى آخرها .

وقوله : « بَيْضًا » : يريد الآدم من الإبل . وهو الأبيض ، فإن خالطته

(١) هذا البيت مقدم في الديوان عن البيت الثاني . وما هنا أنسب .

(٢) وفيه : « الأطيب » .

(٣) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٩ ، ٣ / ١٤٩٣ - ١٤٩٤ .

(٤) مضت روايته : « غينا سكونا » .

(٥) ديوانه ٥١٨ « أجب إذا » وجاء في اللسان ١٧ / ٣٢٦ « الهدان » : الأحمر الجاني الوخم

الثقيل في الحرب . . . وقيل : الهدان . النوام الذي لا يصل ولا يبكر في حاجة » .

(٦) م « خرجت بها » .

(٧) في الديوان « عوابس للبيداء » .

حمرة فهو أصهب . وأظنه قال هاهنا بيضاً أراد حسننها وصفاء ألوانها وسمنها .
والدأدى : هى الليالى فى آخر الشهر ، وهى مظلمة .

أى لم نصل إليها حتى هزلت مطايانا . وصارت أمَحَقَ منها . وإنما جعل
الدأدى ممحقة لأنها آخر الشهر^(١) .

والهدانُ : الرجل البليد الذى ترضيه بالكلمة فيرضى .

وقال :

وَأَرَى الْمَطَايَا لَا قُصُورَ بِهَا عَنْ لَيْلِ سَامِرَاءَ تَدْرِغُهُ^(٢)
يَطْلُبُنَ عِنْدَ فَتَى رَبِيعَةٍ مَا عِنْدَ الرَّبِيعِ تَتَخَايَلَتْ بُقْعُهُ
قوله : «تَخَايَلَتْ» . أى صارت مُخَيَّلَةً للنبات ، ظاهراً ذلك فيها .
أو أن يريد صارت كالخيلاق من النبات .

وقال :

كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحَسِّنَ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي النَّسُوعِ^(٣)
أَبْلَغْتَنَا مُحَمَّدًا فَحَمِدْنَا حُسْنَ ذَاكَ الْمَرْتَى وَالْمَسْمُوعِ^(٤)

وقال :

وَمَا ثَنَى مُسْتَهَامًا عَنْ صَبَابَتِهِ مِثْلُ الزَّمَاعِ وَوَجَدِ الْعُرْمِيسَ الْأَجْدِ^(٥)

(١) فى اللسان ١ / ٦٣ « أبو الهيثم : الثلاث التى بعد الحاق سمين دأدى ، لأن القمر فيها يدأدى
إلى الغيوب أى يسرع . وقال الأصمى : فى ليلالى الشهر ثلاث محاق ، وثلاث دأدى . والدأدى الآخر
وأُنشد :

أبدى لنا غرة وجه بادی كزهرة النجوم فى الدأدى »

(٢) ديوان البحرى ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٤٩ وفى م « لا قصور لها » .

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٨٠ .

(٤) يقصد القائد محمد بن يحيى الوائلى .

(٥) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٤ والزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والإسراع فى المشى .
والوخد : ضرب من سير الإبل سريع . والعروم : الناقة الصلبة الشديدة . والأجد : الناقة القوية الموثقة
الخلق ، ولا يقال للجمال : أجد .

إِلَى أَبِي نَهْشَلٍ ظَلَّتْ رَكَائِبُنَا يَحْدِنُ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ إِلَى بَلَدٍ^(١) .
إِلَى فَتَى مُشْرِقِ الْأَخْلَاقِ لَوْسِبَكْتَ أَخْلَاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدْ
وقد جعل البحترى مكان الناقة هاهنا « فرسا » فقال في مدح الشاه بن
ميكال :

فَتَنَاسَ مَنْ لَمْ تَرُجْ رَجْعَةً وَدَّهِ وَوَصَالِهِ فَتَعَرَّ عَنْ ذِكْرَاهُ^(٢)
بِمُجَنَّبِ رَحْبِ الْفُرُوجِ مُشْدَبِ نَابِي الْقَذَالِ حَدِيدَةُ أَذْنَاهُ^(٣)
ضَافِي السَّبِيبِ مُقْلَصٍ لَمْ تَنْخَزِلْ مِنْهُ الْقَطَاةُ ، وَلَمْ تَخْنُهُ شَطَاهُ^(٤)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّ غُرَّةَ وَجْهِهِ فَلَقُ الصَّبَاحِ أَنْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ
يَجْرِي إِذَا جَرَّتِ الْجِيَادُ عَلَى الْوَنَى فَيَبْدُ أُولَى جَرِيهَا أُخْرَاهُ
يُذْنِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَغَرَّ سَمِيدَعٍ يُذْنِيكَ مِنْ أَقْصَى مُنَاهُ رِضَاهُ^(٥)

وقد خرج أبو تمام إلى المدح بوصف الخيل أيضاً فقال :
حَذَوْنَاهَا الْوَجَى وَالْأَيْنَ حَتَّى تَجَاوَزْتَ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ^(٦)
إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْعَدَرَاتِ قُلْنَا : خَرَجْتَ حَبَائِصًا إِنْ لَمْ تَعُودِي

- (١) في الديوان « يحدن » أبو نهشل : كنية محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي الطائي .
(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢٤٣١ - ٢٤٣٢ طبع المعارف .
(٣) المجنب : المجنوب ، أي المقود . والفرس المشذب : الطويل القليل اللحم . القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية .
(٤) السبيب : شعر ذنب الفرس . مقلص : طويل القوائم منضم البطن . والقطاة : العجز ، وبنا بين الوركين أو متعد الرديف من الفرس . وفي م « شطاه » والشطى : عظم لازق بالذراع . فإذا زال قيل شطى الفرس . وقوله : لم تخنه شطاه ، كقول أسرى القيس : « سليم الشطى » .
(٥) السמידع : السيد الشريف السخي الشجاع . ولعل « مناه » محرفة عن « مناك » ثم رأيتها في طبعة المعارف « مناك » .
(٦) ديوان أبي تمام ١٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٣٥ « حذوناها : أي جعلنا الوجى لها مثل الأحذية » .

فَكَمْ مِنْ سُودِدٍ أَمْكَنْتَ مِنْهُ بِرُمْنِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِي
أَهَانِكَ لِلطَّرَادِ وَلَمْ تَهْوِي عَلَيْهِ . وَلِلْمَقْيَادِ - أَبُو سَعِيدٍ^(١)

وقد جعل البحترى أيضًا « السفينة » مكان الناقة فقال :

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ الْعِرَاقِ أَيْانِقُ سَحْمُ الْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ^(٢)
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ دُعَجَ كَمَا ذَعَرَ الظَّلِيمُ الدُّهْدِبُ^(٣)
يَحْمِلْنَ كُلُّ مُفَرِّقٍ فِي هِمَّةٍ فَضْلٌ يَضِيقُ لَهَا الْفَضَاءُ السَّبَسْبُ^(٤)
رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمَلُوا نَشْوَانَ يُبْدِي فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ^(٥)

قوله : أَيْانِقُ جمع أَيْنَقُ ، وهو جمع ناقة .

وهذا من المقلوب الذي جاء في كلامهم ؛ لأنَّ النون من شأنها أن تتقدم
الياء ، فلو جاء على الاستقامة لكان أَيْنِقُ^(٦) وَأَنْانِقُ . وهذا مثل مَلَكٍ وَمَلَانِكَةٍ ،
وَالْأَصْلُ مَالِكٌ وَمَالِكَةٌ .

وقوله : « سَحْمُ الْخُدُودِ » . يريد سَوَادَ الْقَارِ .

وَلُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ : يريد الخضرة التي تتعلق بالسفن من طول المَكْثِ
في الماء .

وقوله : « خَمْسُ خَوَافِقٍ » . يريد أربعة مجاديف ، وسكان . أو قائم الشراع .

وَدُعَجُ : سَوَادُ الْقَارِ أَيْضًا .

(١) أبو سعيد : محمد بن يوسف الطائي .

(٢) ديوان البحترى ٦٨٢ ، ١٤ / ٧٣ ولغام البعير : زبده .

(٣) في الديوان « يضيق بها » .

(٤) فيه « وأملوا جذلان » .

(٥) م « لكان أَيْنَقُ » .

وقوله : « كما دُعِرَ الظَّلِيمُ » يريد سرعة السفن . وانبعاثها كما ينبعثُ
الظلم ويَجْفُلُ إذا فزع .
والإِهْدَابُ : السُّرْعَةُ .

وقوله : « يَحْمِلُنَ كُلُّ مُفَرَّقٍ » . أى مُتَقَسِّمٍ . فى هِمَّةٍ فَضْلٍ . أى همة
واحدة . يضيق لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وَسَعَتِهَا .
وَالْفُضْلُ : الثوب الواحد الذى يقتصر ^(١) عليه الرجل والمرأة ويبتذله
للأعمال . قال امرؤ القيس :

* لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ ^(٢) *

وأظن البحترى أراد بقوله : « فَضْلٌ » . أى همة واحدة ^(٣) . وَجْهٌهَا ^(٤) إليك
دُونِ مَنْ سِوَاكَ . وجعلها عظيمة على قدر الممدوح . أى اتسعت الهمة فيك
وعظمت ؛ قد تقسمته وصار لا فضل فيه لغيرها .
وهذه أبيات حسان .

* * *

(١) م « يتسر » .

(٢) بقية البيت كما فى ديوان امرئ القيس ١٣١ :

« وتضحى فتبت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل »

(٣) لقد أغرب الآمدى فى ظنه موقع بعيداً عن مراد الشاعر القريب الواضح . وبيان ذلك : أن
الهمة : واحدة المهم ، وهى ما يهيم به الإنسان من أمر ليفعله ، وهى توصف بالصغر والعظم ، فيقال :
إنه لصغير الهمة ، وإنه لعظيم الهمة بعيدها . وإن همته لزائدة . وهذا المعنى هو الذى أراغ إليه البحترى .
فبنى قوله : « فضل : أى زيادة . يريد أن هذه السفن تحمل أناساً قد فرقهم فى البلاد : مطوفين فى
الآفاق بسبب ما انطوت عليه صدورهم من هم عظيمة بعيدة المدى يضيق بها الفضاء الفسيح . فقول الآمدى :
« فى همة فضل أى همة واحدة » خطأ محض ، لأن المعنى الذى قصد إثباته من كلمة « فضل » وتجشم
الاستشهاد عليه بقول امرئ القيس « لم تنتطق عن تفضل » — قد تكفل به بيت البحترى الثانى الذى يقول
فيه : إن جميع هؤلاء الذين قد فرقهم همهم وأزعجهم عن أهلهم وأوطانهم قد ركبو الفرات إلى الفرات الذى
يلذ له الإبداع فى السباح ويسكره الإغراب فيه .

(٤) م « وجهها إليك » .

وقد قال أبو تمام في « السفينة » والمسير فيها إلى المدوح في قصيدة أولها :
 دَنِفُ بَكى آياتِ رُبْعٍ مُدْنَفٍ لَوْلَا نَسِيمُ تَرَابِهِ لَمْ يُعْرِفِ^(١)
 أَبْيَاتًا رَدِيئَةً جَدًّا لَمْ أَكْتُبْهَا^(٢) .

والجيد النادر في وصف السفينة قول بشار يذكر مَسِيرَهُ إلى المَهْدَى :
 وَعَذْرَاءُ لَا تَجْرِي بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ قَلِيلَةُ شَكْوَى الْأَيْنِ ، مُلْجَمَةِ الدَّبْرِ^(٣)
 إِذَا طَعَنْتَ فِيهَا الْقَبُولُ تَشْمَصَتْ بِفُرْسَانِهَا لَا فِي وُءُوثٍ وَلَا وَغْرِ^(٤)
 وَإِنْ قَصَدْتَ مَرَّتْ عَلَى مُنْصَبٍ ذَلِيلِ الْقَرَا لَا تُثِيَّ يَفْرِى كَمَا يَفْرِى^(٥)
 تُلَاعِبُ نَيْنَانَ الْبُحُورِ وَرُبَّمَا رَأَيْتَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي^(٦)
 سَمُونًا إِلَى الْمَهْدَى قَصْدًا وَإِنَّمَا قَطَعْنَا بِهَا أَمْوَاجَ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ^(٧)

فبلغ سيبويه قوله : « نَيْنَانَ الْبُحُورِ » فأنكر ذلك ، وزعم أن
 العرب لا تجمع النون - وهو الحوت - على نَيْنَانَ . فبلغ ذلك بشارًا ،
 فقال : وَيَحَهُ : أما يقول : حُوتٌ وحيثان ، وغُولٌ وغيلان ، فكذلك نون

(١) شرح التبريزي ٢ / ٣٩٤ وهذه القصيدة لا توجد في ديوان أبي تمام .

(٢) أولها ص ٣٩٦ :

حملت رجاء إليك بنت حديقة غلباء لم تفلح لفحل مقرف
 نجت وقد حوت الهندية وابنتت في شطرها وتبوعت في النيف
 فأتت محلى وهى حمل بناتها تسرى بقائمى خريق حرجف
 فاعنامها ذو خبرة بفحولها ندس بجيلة حلقها متلطف

ثم يمضى في وصفها على هذا النحو في ثمانية أبيات آخر .

(٣) ديوان بشار ٣ / ٢٨٠ والأغاني ٣ / ٦٩ . والأين : الإيعاء .

(٤) م « ولا دعر » والقبول : ربح الصبا وهى رخاء للسفن . وتشمصت : نفرت وأسرت في سيرها ، كما تفعل الدابة التى تنحس وتساق . والوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

(٥) م « دليل » والقرأ : الظهر .

(٦) م « أنكر » .

(٧) لم يرد هذا البيت في ديوانه ولا في الأغاني .

ونينان ، وتوعدَ سيبويه وَلَدَغَه فَكَفَّ سيبويه عن تتبع شعره ، واحتجَ بشيءٍ
[منه] تقرباً إليه ، وأستكفأفا لشهره .

وللبحتري في الخروج إلى المديح بذكر الإبل غير شيء لو استقصيته ،
وأنتيت بجميع ما لأبي تمام فيه - لطلال الباب . وما تركتُ لهما إلا وسطا
ليس بجيد ولا رديء .

ولا خفاء بفضل البحتري في سائر ما أوردته على أبي تمام .

وهذا وجه آخر من الخروج
و خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول^(١) أبي تمام :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلَ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٢)
وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرُّكَّابِ يَحْنُثُهَا مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ
وهذا معنى لطيف حسن .

ومنه قول البحترى :

وَلَمْ أَنْسَهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ وَنَثَرَهَا سَوَابِقُ دَمْعٍ أَعْجَلَتْ أَنْ تُنْظَمًا^(٣)
وَقَالَتْ هَلِ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ مُعَقِّبٌ رِضًا فَيَعُودَ الشَّحْلُ مِنَّا مُلَاقًا
وقوله :

قَامَتْ تَوَدُّعُنِي عَجَلِي وَقَدْ بَدَرَتْ سَوَابِقُ مِنْ تُوَامِ الدَّمْعِ تُجْرِيهَا^(٤)
وَأَمْتَنَكَرَتْ ظَعْنِي عَنْهَا فَقَلْتُ لَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ أَنْضَى الْعَيْسِ مُنْضِيهَا^(٥)

وما أكثر ما يستعمل الشعراء في خروجهم^(٦) إلى المدح هذا الوجه .

(١) م « قال » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٦ وشرح التبريزي ٣ / ٧٧ « الركاب ينصبا » .

(٣) ديوان البحترى ٩٤ ، ٣ / ١٩٨٢ .

(٤) ديوان البحترى ٣٦ « وقد حدثت » ، في ٤ / ٤٢١٠ كما هنا .

(٥) الذي في الديوان « أمضى العيس مضميا » .

(٦) م « خروجها » .

ومن جيد ذلك قول جرير :

رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لُقَاحٍ ^(١)	تَعَزَّتْ أُمُّ حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ
بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَّاحِ ^(٢)	تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِيَةٌ بَيْنِهَا
أَذَاةَ اللَّوْمِ ، وَأَنْتَظِرِي أَمْتِيَّاحِي	سَامُتَاحُ الْبُحُورِ فَجَنَّبَنِي
وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ	ثِقَمِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

(١) ديوانه ٩٧ .

(٢) ساغبة : جائعة . الشيم : البارد . والقراح : الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به كالعسل والمز والزيت .

وربما خرجا إلى المدح ييمين يحلفان بها

ومن ذلك قول أبي تمام :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَدْمَى نُحُورُهَا وَرَبِّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُقَصِّدِ^(١)
لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَارِ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ^(٢)

فالبيض : هي الأذم من الإبل ، يقال : بعير آدم إذا كان أبيض .

وقوله : « تباريح ثار » أراد أن سيفه كفَّ تباريح ثاره ، أى كفَّ ما برح به من الثار حتى أدركه .

ومن ذلك قوله :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ ، وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٣)
مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ، وَلَا غَدْتُ نَفْسِي عَلَى إِلْفِ سَوَاكَ تَحُومٌ^(٤)

ومن ذلك قول البحتري :

حَلَفْتُ بِمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ وَحَجَبَتْ وَحَازَ الْمُصَلَّى وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٠١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤ « تدمى متونها » والمتاد : المنحنى . والمقصد : المتكسر .

(٢) قيل : إن الثاني هو الأول . وقيل : الأول : محمد بن يوسف هذا المدوح ، والآخر : محمد بن حميد الذي قتله بابل ، وهما جميعاً من بني الصامت .

(٣) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٣ / ٢٩٠ .

(٤) ويروى « سنن الوداد » .

(٥) ديوان البحتري ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٩ .

وَأَهْلَ مِنَى إِذْ جَاوَزُوا الْخَيْفَ مِنْ مِنَى وَهُمْ عَصَبُ شَتَّى ، مُجِلٌّ ، وَمُحْرِمٌ ^(١)
يَهْلُونَ مِنْ حَيْثُ أَبْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِي سَنَاهُ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَى اللَّيْلُ يُظْلِمُ ^(٢)
لَقَدْ جِثِمَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ خُطَّةً مِنَ الْمَجْدِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشِّمُ

ومن ذلك قوله :

وَشَمَائِلِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ إِنَّهَا فِي الْمَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبِ ^(٣)
لَيَقْصُرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِبٍ وَلَيَقْصُرَنَّ لَجَاجُ دَمْعٍ سَاكِبِ ^(٤)

وهما في هذا الباب متكافئان .

(١) م « عَصَبُ نَوْحَى » .

(٢) م « أَنْتَهَى اللَّيْلُ » .

(٣) ديوانه ٦٩٧ ، ١٠ / ١٥٩ طبع المعارف .

(٤) في الديوان ٦٩٧ « شَوْقٌ بِالْغ » وفي طبعة المعارف كما هنا . وبعد البيت :

فَالْعَزَمَ يَقْتُلُ كُلَّ سَقَمٍ قَاتِلٍ وَالْبَعْدَ يَغْلِبُ كُلَّ وَجَدٍ غَالِبٍ

وربما خرجا إلى المديح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلك قول أبي تمام :

أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيَّ أَهْلًا بِمَعْنَا لَكَ ، وَعِنْدَ السُّرَى ، وَحِينَ يَثُوبُ^(١)
لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَّاتُ تَحْكِيَةٍ هُنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّعِيبَ النَّعِيبُ
وهذا ليس بالشهوى ، ولا الحلو العذب .

والجيد النادر قول البحتري :

أَقُولُ لِشَجَّاجِ الْغَمَامِ وَقَدْ سَرَى بِمُخْتَفَلِ الشُّؤْبِوبِ صَابَ فَعَمَّمَا :^(٢)
أَقِلَّ وَأَكْثِرْ لَسْتَ تَبْلُغُ غَايَةَ تَبِينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمًا^(٣)

وأجود من هذا وأحلى وأبلغ - قوله يمدح المتوكل :

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْثِ الرُّكَّامِ وَلَجٌ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَالْحَّ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)
لَا تَغْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

ومن الجيد النادر في هذا الباب أيضًا - قوله :

رِبَاعٌ تَرَدَّتْ فِي الرِّبَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ٥٨ وشرح التبريزي ١ / ٢٩٧ .

(٢) ديوان البحتري ١٢٧ ، ٤٠ / ٢٠٨٨ والصناعتين ٤٥٧ وعيار الشعر ١١٦ .

(٣) في الديوان ١٢٧ « لست تدرك » والهيثم الغنوي : هو الممدوح .

(٤) ديوانه ٤٣ ، ٢٠ / ٧٠٣ والصناعتين ٤٥٧ والبدیع لأسامة ٢٨٨ « قلت لغيم » .

(٥) ديوانه ٥٤ ، ١٠ / ٦٢٤ .

إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَايِبُ مُجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدُ^(١)
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ
وقال :

سُقِيتَ رَبَّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبْلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا^(٢)
فَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا^(٣)
بِسَحَابَةٍ غَرَاءٍ مُتَّشِمَةٍ إِذَا كَانَ الْجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمًا^(٤)
فقوله : «سُقِيتَ رَبَّكَ» - بيت ليس بالبارع لفظاً ولا معنى ، وما بعده
جيد حلو .

وإنما خَصَّ الْجَهَامَ لِأَنَّهُ الَّذِي قَدْ كَانَ فِيهِ مَاءٌ فَأَرَاكَ ، ومثله لا يكون
عقيماً . جعله كالمرأة الوالد .

وقال [أبو تمام] في هذا المعنى أيضاً :

شَجَا فِي الْحَشَا تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَقْتَرُ بِهِ صُمْنٌ آمَالِي وَإِنِّي لَمُفْطِرُ^(٥)
حَلَفْتُ بِمُسْتَنِّ الْمُنَى تَسْتَرِشُّهَا سَحَابَةٌ كَفَّ بِالرَّغَائِبِ تُمَطِّرُ
إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا كَفَّكَتْ لَهَا وَقَامَ يُبَارِيهَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ^(٦)

وهذه ألفاظ . ومعانٍ ونسج في غاية الرداعة والهَجَانَةِ ، والبعد من البلاغة
والبراعة ، على ما فيها من التعقيد واتفاق المعاني .

فقوله : «حَلَفْتُ» يعني نفسه .

(١) م « مجتاب عليها » .

(٢) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٥ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل المدوح .

(٤) م « السحاب عظيم » . والمتنم : التي تفع اثنتين في بطن واحد .

(٥) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٤ في منح جعفر الخياط .

(٦) م « درجت فيها » .

و «مُسْتَنُّ الْمُنَى» : المحل الذى يستن فيه المنى ، أى يَطْرُدُ ، يَذْهَبُ وَيَجِيءُ ويكثر . يريد محل المدوح وساحته .

وقوله : «يَسْتَرْشُهَا . إِنَّمَا أَرَادَ يَسْتَرْشُ سَحَابَةَ كَفَّ فَقَالَ : «يَسْتَرْشُهَا»
فقدم الكناية ، وجعل «سَحَابَةَ كَفَّ» بدلاً من الهاء والألف .

يقول : حلت بمحل تستن فيه المنى ، وتطلب رشاى سحابة كَفَّ .
وقوله : «إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا» . يريد فى مُسْتَنِّ الْمُنَى . كَفَّكَفَتْ لَهَا
أى للسحابة .

وكفكفت : أى دنت وقربت .

و «قَامَ يُبَارِيهَا» أى يبارى الصبا بسحابة كَفَّه أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ .
وهذان البيتان لا يتصلان بالبيت الأول . وإنما كان وجه الكلام أن يقول :
شجاً فى الحشا كان تَرْدَادُهُ ليس يَفْتُرُ ، وكانت آمالى به صائمه ، فَحَلَلْتُ
بِمُسْتَنِّ مُنَى مِنْ حَالِهِ وَصِفَتِهِ . حتى يتصل الكلام بعضه ببعض .

والحذف والاختصار فى كلام العرب موجود ، ولكن ليس فى مثل هذا .

ومن هذا الباب ، وفيه بعض الغموض ، قوله :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِيَتَصَرَّفَ الْأَحْرَاسُ^(١)
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَاسِ

يريد أن الله تعالى ، جعل أقوات عباده من وجود مختلفة على قدر أزمانها .

وَالْأَحْرَاسُ : الدهور ، واحدها حَرَس .

(١) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٦ وفى م «الأجراس» .

يقول : فالأَرْضُ إنما تحيا بما تَقْرِيها السماء من الغَيْثِ ، وبنو الرجاء لهم بنو العباس . أى بنو الرِّجَاء بنو العباس لهم ، أى لهم عِصْمَةٌ ، كما يقال : الله لك . أى مُعِينٌ ومُغِيثٌ .

ويجوز أن يكون أبا تمام ذهب في ذكر الأرض والغيث هاهنا^(١) وجعل بنى العباس رجاء الناس لذلك ؛ لأنَّ الناس في أيام عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه . احتبس عنهم المطر فأخذ عمر بضِعِّ العَبَّاس وقال : اللهم إن هذا عم نبيك ، اللهم اسقنا غيثك . فما بَرِحَ النَّاسُ حتى وافاهم المطر . فلعل أبا تمام ذهب إلى هذا المعنى . والله أعلم .

والبيتان رديئان نسجاً ولفظاً .

ولا محالة أن البحتري أيضاً في هذا الباب - يتقدم أبا تمام .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح
وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق المدوح بها

فمن ذلك قول أبي تمام :

مِنْ فَاقِعٍ غَضَّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ [دُورٌ] يُشَقِّقُ قَبْلُ ، ثُمَّ يُزَعْفَرُ^(١)
صُنْعُ الَّذِي لَوْلَا بَدَائِعُ صُنْعِهِ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ
خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَدِيَهُ الْمُتَيْسِّرُ

فقوله : « خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ » - معنى صحيح .

« وَهَدِيَهُ الْمُتَيْسِّرُ » . فالهدى : سَمَتُهُ وَدَلُّهُ وَشَكْلُهُ . و « الْمُتَيْسِّرُ » .

قافية رديئة جداً .

* * *

ومثله قول البحتري :

وَيُرِيكَ الْأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ بِأَعْتِنَاكِ الْحَوَذَانِ وَالْأَقْحُونِ^(٢)
صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَعْلَا قِ حُسَيْنٍ [ذِي] الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ^(٣)

وهذا أيضًا خُرُوجٌ ليست له قوة لفظ [و] لا حلاوة فيه ولا معنى .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٩٦ .

(٢) ديوان البحتري ٤ / ٢١٩٨ وفي اللسان ٤ / ٢١ « والحوذان : نبت يرتفع قدر الفراع ، له

زهرة خمراء في أصلها صفرة وورقة مبرورة » وفي الديوان « باعْتِنَاكِ » وهو تحريف .

(٣) يقصد مملوكة : الحسين بن الحسن بن سهل .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

منه قول أبي تمام :

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كُتُبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا^(١)

وهذا خروج حسن^(٢).

وقال أيضًا :

فَلْيُبْلَغِ الْفَتَيَانُ عَنِّي مَالِكًا أَنِّي مَتَى يَتَنَلَّمُوا أَتَهْدَمُ^(٣)
وَلَنْتَعْلَمَ الْأَيَّامُ أَنِّي فَتَاهَا بِأَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ

قوله : « مَالِكًا » : جمع مَالِكَةٍ ، وهي الرِّسَالَةُ ، ونصبها على الحال .

وقال أبو تمام أيضًا :

وَعَاذِلْ حَاجٍ لِي بِاللَّوْمِ مَارِبَةً بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصَّدْرِ تَصْطَخِبُ^(٤)
لَمَّا أَطَالَ أَرْجِيحَالُ الْعَذْلِ قُلْتُ لَهُ الْحَزْمُ يُشْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الْخُطْبُ
لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فِي مِصْرٍ وَلَا طَرَفٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ وَالشُّوبُ^(٥)

قوله : « الْحَزْمُ يُشْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ » - ليس بواجبٍ قاطعٍ على كلِّ

حال . ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازمًا قطَّ يصيبه خطب من الدهر

يكرهه . ولكنه لما كان الحزم قد يفعل ذلك صالح أن يذكره .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٨ .

(٢) بل هو خروج ردي .

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٥٠ « مالكا » وانظر اللسان ١٢ / ٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٨ ويروى « هموم النفس » وأنثاء به : الحاء .

(٥) م « يجتمع خط » .

وقال أبو تمام :

يَا أَيُّهَا السَّائِلِي أَنَا شَارِحٌ لَكَ غَائِبِي حَتَّى كَأَنَّكَ حَاضِرُهُ^(١)
 إِنِّي وَنَصْرًا وَالرِّضَا بِجَوَارِهِ كَالْبَحْرِ لَا يَبْغِي سِوَاهُ مُجَاوِرُهُ
 مَا إِنْ يَخَافُ الْخَذْلَ مِنْ أَيَّامِهِ أَحَدٌ تَيَقَّنَ أَنَّ نَصْرًا نَاصِرُهُ
 قوله : « أنا شارحٌ لك غائبي » . لست أراه شرح شيئاً . وإنما ذكر أن
 رضاه بجوار نصر كالبحر لا يبغي سواه مجاوره . وهذا خبر مُختصر ؛
 والشرح لا يكون في نصف البيت .
 فأما قوله : « ما إن يَخَافُ الْخَذْلَ » فليس يتعلق بقوله : « أنا شارحٌ
 لك غائبي حَتَّى كَأَنَّكَ حَاضِرُهُ » .

وقد أخبر البحتري بخبر حسن هو أولى بالشرح من أبي تمام فقال :
 وَمِنْ غَرَائِبِ مَا تَأْتِي الْخُطُوبُ بِهِ فِي أَوَّلِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَوْتَالِ^(٢)
 أَخْذُوثَةُ عَجَبٌ أَنْبِيكَ عَنْ خَبْرِي فِيهَا ، وَعَنْ خَبَرِ الشَّاهِ بْنِ مِيكَالِ
 فَرَزْتُ مِنْهُ حَيَاءٌ مِنْ قُصُورِي عَنْ جَزَاءِ مَا زَادَ فِي جَاهِي وَفِي مَالِي^(٣)
 لَوْلَمْ أَعْوِضْهُ شُكْرًا عَنْ تَطَوُّلِهِ إِذْ لَمْ أَقَابِلْهُ إِفْضَالًا بِإِفْضَالِ^(٤)
 وقد ذكر هذا المعنى في غير موضع . وإنما أذكره في أبوابه إذا جاءت بإذن الله .

وقال البحتري :

لَعَمْرُ أَبِي الْأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَيَّ ، وَلَا أَعْطَيْتُهُ نِسِي مِقْوَدِي^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٥٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠ .

(٢) ديوانه ٢ / ١٧٢١ .

(٣) م « حياء عن » .

(٤) في الديوان لم لم أعوضه . . . إذ لم أكأيله . . . » .

(٥) ديوانه ٢٣١ ، ٢ / ٧٧٢ « ولا أعطيتها » وهي في مدح أحمد بن محمد بن المدبر . وسبق

البيت الأول في الجزء الأول ٤٢٩ ، « مقول » وهو خطأ .

وَكَيْفَ أَخَافُ الْحَادِثَاتِ وَصَرَفَهَا عَلَى وَدُونِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(١)

وقال :

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوَدَادِ فَكَمْ يَكْفِيكَ مِنْ عُدُوِّ فِي الدَّهْرِ تَجْعَلُهَا
أَمْسَيْتُ أَخْذَرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ^(٢) ذُخْرًا - سَمَاعُ أَبِي بَكْرٍ وَنَائِلُهُ^(٣)

وقال :

لَا أَمْدَحُ الْمَرْءَ أَقْصَى مَا يَجُودُ بِهِ نَيْلُ يُكَسِّرُ مِنْ حَافَاتِ جُلُودِ
حَسْبِي بِأَحْمَدَ إِحْسَانًا يُبْلَغُنِي مَدَى الْغِنَى ، وَبِفِعْلِ مِنْهُ مَحْمُودِ

قوله : « وَبِفِعْلِ مِنْهُ مَحْمُودِ » . يريد معونته إياه على أموره . وبذله
جاهه له :

ومن طريف خروج البحتري وعجيبه قوله :

إِذَا الرَّجَالُ اعْتَمَتَ أَجْوَادَهُمْ فَاسْمُ إِلَى الْأَشْرَفِ مَا فَلَا شَرَفَ^(٤)
أَذْفَعُ بِأَمْتَالِ أَبِي غَالِبٍ عَادِيَةَ الْعُدْمِ أَوْ اسْتَعْفِفَ

ومن جيد ذلك ونادره أيضًا قوله :

يَرْجُو الْبَخِيلُ اغْتِرَارِي أَوْ مُخَادَعَتِي حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهِ الْمَدَحَ مَجَانًا
لَأَكْسُونَ بَنِي الْفَيَاضِ مِنْ مِدْحِي مَا بَاتَ مِنْهُ لِيُئِمْ النَّاسَ عُرْيَانًا

وهذا في غاية الحسن .

(١) يقصد مدوحه : أحمد بن محمد بن المذبر .

(٢) ديوان البحتري ٩٧٠ ، ٣ / ١٨٢٩ في مدح أبي بكر الكاتب ، المعروف بجرادة .

(٣) في الديوان « للدهر » .

(٤) ديوانه ٣٤٧ ، ١ / ٥٤٧ في مدح أحمد بن عبد الوهاب . في م « ما تجود » .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٢٠ / ١٣٦٠ - ١٣٦١ في مدح أبي غالب بن أحمد بن محمد بن المذبر .

واعتمت : اخترت ، ومنه قول طرفة : أرى الموت يمتام الكرام ... » .

وقال :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌ بِي فَرَاجِعَةٌ أَيَّامُهُ لِي فِي أَعْقَابِ أَيَّامِي ^(١)
لَوْ أَنَّهُ نَائِلٌ عَمْرٍ يُجَادُ بِهِ لَقَدْ تَطَلَّبْتُهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامٍ

وهذا أيضًا خروج حسن طريف .

ومن جيد خروجه ^(٢) أيضًا قوله :

لِتَسْرِبَنَّ قَوَائِي الشَّعْرَ مُعْجَلَةً مَا بَيْنَ سَيْرِهِ الْمُثْلَى وَشُرْدِي ^(٣)
جَوَازِيًا حَسَنًا مِنْ حُسْنِ أَنْعَمِهِ وَعَنْ بَوَادِيهِ فِي الْجَدْوَى وَوُدِّي ^(٤)

ومن طريفات الخروج أيضًا قول أبي تمام :

تَدَاوَى مِنْ شَوْفِكَ الْأَقْصَى بِمَا فَعَلْتَ خَيْلُ ابْنِ يُوسُفَ وَالْأَبْطَالُ تَطَرِدُ ^(٥)
ذَلِكَ السُّرُورُ الَّذِي آلَتْ بِشَاشَتُهُ أَنْ لَا يُجَاوِرَهَا فِي مُهْجَةٍ كَمَدُ

وهذا - لعمرى - معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال أبو تمام :

تَوَاتَرَتْ نَكَبَاتُ الْعُسْرِ تَرُشِقُنِي بِكُلِّ صَائِبَةٍ عَنْ قَوْسِ عَضْبَانِ ^(٦)
مَدَّتْ عِنَانُ رَجَائِي فَاسْتَقَدْتُ لَهَا حَتَّى رَمَتْنِي فِي بَحْرِ ابْنِ حَسَّانِ ^(٧)

(١) ديوان البحرى ٤ / ٢٠٩٦ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : أحمد بن محمد بن بسطام .

(٢) م « خروجاته » .

(٣) ديوانه ٥٨٠ ، ١٠ / ٤٩٩ فى ملح الحسن بن مخلد .

(٤) فى الديوان « عن حسن » .

(٥) ديوان أبى تمام ٩٧ وشرح التبريزى ٢ / ١٢ « أى تسل عن غمك بفراق أحبتك بسرورك بما

فتحت خيل محمد بن يوسف الطائى » .

(٦) ديوانه ٣٢٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣١٢ ويروى : « نكبات الدهر » .

(٧) فى الشرح « رمت بى » .

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ زَبَدًا حَبَابُهُ الْوَدْقُ مَقْرُونٌ بِعَقِيَانٍ^(١)
وهذا من لفظ. العوام وأشعار الصبيان .

ومن ردىء خروجه أيضاً قوله :

وَدَّعَ فَوَّادَكَ تَرْدِيْعَ الْفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيْعِ مُنْصَرِفًا^(٢)
يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْزِيهِ جِهَادُهُ الْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا^(٣)

وقد أصلحه الناس : « مُجَاهَدَاتُ الْقَوَافِي » . وبني ما لا يمكن إصلاحه
وهو قبح قوله : « يَجْزِيهِ » ، فإنها لفظة بشعة .

ومجاهدته للقوافي أيضاً معنى ردىء . وإنما كان ينبغي أن يقول :

إِنْ الشَّعْرُ يُيسِّرُ فِيهِ ، وَتَطْرُدُ قَوَافِيهِ بِمَدْحِهِ لَكثْرَةِ فُضَائِلِهِ ، وَيَأْتِي فِيهِ
عَفْوًا ، وَلَا يَتَعَذَّرُ ، كَمَا قَالَ :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ^(٤)

ومن ردىء خروجه^(٥) أيضاً وقبيحه قوله :

يَعْجِبُنِي مِنْهُ أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِي وَكَذَلِكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرٍ^(٦)
مَلِكٌ إِذَا الْحَاجَاتُ لُذْنَ بِحَقْوِهِ صَافِحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ الْمُتَيْسِّرِ

فلم عجب من سماحة جعفر؟ وإنما العجب من سماحة البخلاء ، فأما

(١) م « موجه أبدأ » وفي الديوان وشرحه « فضة زيت » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٠١ وشرح التبريزي ٣٦٢ / ٢ .

(٣) م « الشوق طراً » . . . فجاهدته » .

(٤) ديوانه ٢٢٧ .

(٥) م « خروجاته وقبيحها » .

(٦) ديوانه ٣٩٨ وفي م « أن سهرت » .

الكرماء الذين من عاداتهم البذل فما وجه التعجب من سماحتهم ؟
وليس في البيت الثاني ما يوجب التعجب ، وإنما ذكر فيه أن نواله
متيسر . وهو بيت ردى .

ومن ردىء خروجه ^(١) أيضاً لفظاً ومعنى قوله :

يَقُولُ أَنَاسٌ فِي جَبِينَاءَ عَايَنُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ ^(٢)
أَظْهَرَتْ كَنْزًا أَمْ صَبَحَتْ بِغَارَةٍ ذَوِي غِرَةٍ حَامِيَهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ ^(٣)
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَإِذَا وَلَا ذَاكَ دَيْدَنِي وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ

وهذا من معاني العوام أن يقولوا لمن رأوا حاله قد حسنت : عَلَى مَنْ أَغْرَتْ
أَوْ أَى كَنْزٍ وَجَدْتَ ؟ وما ظننت مثل هذا يُنْظَمُ في شعر .

وقوله : « أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ » كلام كالفارغ . وإنما كان ينبغي
لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن يقول في جوابهم : نعم كنز خالد ، وأغار على
ندى خالد . ولكنه ، لعمرى ، بَيَّنَّ المعنى في البيت الثانى ، وعرفهم سبب
عِمَارَةِ رَحْلِهِ بِأَن قَالَ :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيحًا بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ

وهذا ، وأبيه ، معنى متناه في بَرْدِهِ وَغَثَائِثِهِ وَرَكَاتِهِ ، وَلَشْتِيْمَةُ الممدوح

عندى بالزنى أحسن وأجمل مِنْ جَذَبَ نَدَاهُ حَتَّى يَخْرَّ صَرِيحًا !!!

ولو لم يعلمنا أن ذلك كان غُدْوَةَ السَّبْتِ كيف كان يتم بَرْدُ المعنى .

و « حَبِينَاءَ » : اسم موضع ، في غاية القبح والهجانة . فإنهم وإن كانوا

(١) م « خروجاته » .

(٢) ديوان أبى تمام ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥ في مدح خالد بن يزيد الشيبانى .

(٣) و يروى « أصادفت كنزاً » .

قالوا ما قالوا له في هذا الموضع فإنه لم يك مضطراً إلى ذكره ، كما أنه لم يك مضطراً إلى ذكر غُدْوَةِ السَّبْتِ .

ومن سبيل الشاعر أن لا يذكر إلا ما حُسِّنَ من أسماء المواضع ، وأن يعتمد أسماء المواضع الغريبة المتكررة في أشعار الفصحاء ؛ ألا ترى أن « الفرزدق » أنكر على « مالك بن أسماء بن خارجة » وقد أنشده :

* حَبْدًا لَيْلَتِي بَيْلٌ بَوْنَا ^(١) *

فقال : أفسدت أبياتك بذكر بَوْنَا ، فقال له : فني : « بَوْنَا » كان ذلك . قال : وإن كان .

* * *

ومن خروجه الرديء قوله ^(٢) :

يَدُ الشُّكْوَى أَتَتْكَ عَلَى الْبَرِيدِ تُمَدُّ بِهَا الْقَصَائِدُ مِنْ نَشِيدِ ^(٣)
تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلًا جَدِيدًا تَدْرَعُ حُلَّتِي طَمَعٌ جَدِيدِ
شَكْوَتْ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

فقلوه : « تُقَلِّبُ بَيْنَهَا » . يعنى القصائد .

وقوله : « أَمَلًا جَدِيدًا تَدْرَعُ حُلَّتِي طَمَعٌ جَدِيدِ » ^(٤) لفظ رديء جداً ؛ لأن معنى الطمع والأمل والرجاء معنى واحد في مقاصد الناس واستعمالهم ،

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٥٧ والأغانى ١٦ / ٤٠ .

(٢) م « خروجه الرديئة » .

(٣) ديوان أبي تمام ١٣٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٣٣ في مدح عبد الحميد بن جبريل « القصائد بالشيد » ويروى « تمديد القصائد » !

(٤) م « حلتى أمل » .

تقول : أنا آمل من الله تعالى الفرج ، كما تقول : أطمع وأرجو . وإنما يُنسَقُ بعضها على بعض لاختلاف اللفظ .

وتقول : قد انقطع من فلان الطمع ، وانقطع الأمل ، وانقطع الرجاء . وكذلك خاب .

فإن كان بين هذه الألفاظ . فرق في أصل وضع الكلام [فقد أُجريت]^(١) مُجَرًى واحداً فلا فائدة إذا في قوله : « أَمَلًا جَدِيدًا تَدَرَّعَ حُلَّتِي طَمَعٍ جَدِيدٍ » .

ولو كان قال : تَدَرَّعَ حُلَّتِيْ جَدِيدَ كان أولى بالصواب ، إن شاء الله .
قوله :

شَكَوْتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ
لو كان عبد الحميد طبيباً كان يكون معنى البيت مستقيماً ؛ لأن الرجل الْمُعْتَرَّ^(٢) الطالب الجدوى لا يشكو نحول جسمه إلى ممدوحه الذي يلتمس الفضل منه ، وإنما يشكو إليه اختلال الحال ، وقُصُورَ اليد ، فأما أن يشكو إليه نحول الجسم فإن ذلك غاية الخناعة^(٣) والنذالة والانحطاط في المسألة .
إنه^(٤) يخبره بشدة جوعه وأن ذلك هو الذي أذاب لحمه . وهذا لا يقوله شاعر على هذا الوجه . بل إنما يذكر الخمص بوجه^(٥) حسن ، ولفظ . معتاد .
ونحول الجسم فإنما يشتكى إلى الحبيب إذا كان من غلة أو عشق .

(١) زيادة لازمة .

(٢) م « المقتر » .

(٣) م « الصناعة » .

(٤) م « إنما » .

(٥) م « وجه » .

ولو كان قال : شكوت إلى الزمان قصور حال : كان أشبه من نحول
الجسم الذى قد يكون من أشياء كثيرة .

أو لو كان ذكر هَجَرَ حَبِيبٍ وما لَحِقَهُ من الضَّنَى والسَقَم - لَصَلَحَ أَنْ
يجعل شكواه إلى الممدوح كما قال أبو نواس :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكُمُ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا^(١)

فقال الفضل : جعلنى قَوَّاده . وإنما أراد أبو نواس لعل الفضل يُشِيبُنِي بما
أَصِلُ بِهِ إِلَى الْاجْتِمَاعِ مَعَكُمْ .

وهذا الباب فى الخروج من النسيب إلى المديح مما لا خفاء بفضله
البحترى فيه على أبى تمام .

(١) ديوان أبى نواس ٧٥ « هواك » والعمدة ١ / ٢٣٥ .

وللمتأخرين خروجات ظريفة حلوة نادرة

فمن ذلك قول ابن وهيب :

رُبَّمَا أَبَيْتُ مَعَانِقِي قَمَرٌ للحسن فيه مَخَابِلُ تَضِحُ^(١)
 نَشَرَ الْجُمَانُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِدَعَا وَأَذْهَبَ هَمُّهُ الْفَرَحُ^(٢)
 يَخْتَالُ فِي وَدْقِ الشَّبَابِ بِهِ مَرَحٌ وَدَاوُكُ أَنَّهُ مَرِحُ^(٣)
 مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَأِشْفُهُ وَيُعِلُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ^(٤)
 حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٥)
 وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَهُ الْخَافِيفَةَ حِينَ يُمْتَدِّحُ^(٦)

وحسبك بهذا حسناً يزيد على كل ما تقدم للطائيين.

ومن المذاهب الطريفة في باب الخروج قول «بكر بن النطّاح الحنفي»
 في قصيدة يمدح فيها مالكا الخزاعي :

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى لِيَتَرْضَى فَقَالَتْ: قُمْ فَجِئْنِي بِكَوْكَبِ^(٧)

(١) الأغاني ١٧ / ١٤٨ ومعاهد التنخيص ٢ / ٥٨ وأنوار الربيع ٣٦٩ .

(٢) في الأغاني وما بعده «نشر الجمال» .

(٣) وفيها «في حلال الشباب» .

(٤) الصناعتين ٦٣ وزهر الآداب ٢ / ١٨ .

(٥) الخليفة : المأمون . والبيت في معجم الشعراء ٤٣٠ والصناعتين ٦٣ . ٤٥٥ ومعيار الشعر

١١٤ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٧٠٨ والعمدة ٢ / ٣٨ .

فَقُلْتُ لَهَا : هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءِ مُغْرِبٍ
 فَلَوْ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ خَالِدٍ وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي^(١)
 فَتَى شَقِيتُ آمَالُهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيتُ قَيْسَ بَارِزَ مَاحِ تَغْلِبِ

* * *

ونحوه قول الخليل^(٢) في كلمة يمدح فيها عاصمًا الغساني :

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصْتُ عَيْنِي، وَدَمَعِي عَلَى خَدِّي: ^(٣)
 أُرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتُ فَوَادَهُ بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّائِسِفِ وَالْجَهْدِ
 فَقَالَتْ : عَذَابٌ بِالْهَوَى قَبْلَ مَيْتَةٍ وَمَوْتُ إِذَا أَفْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي
 لَقَدْ فَطَنْتُ بِالْجُودِ فِطْنَةً عَاصِمٍ لِصُنْعِ الْأَيَادِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
 وهذا يسميه قوم « الاستطراد » . وهو حسن جدًا .

(١) في الكامل « في جود مالك » وهو الصواب لأن الأبيات في مدح مالك بن علي الخزاعي .

(٢) الخليل لقب للحسين بن الضحاك ، لقب به لكثرة خلاعته ومجونه .

(٣) الأبيات له في الأغاني ٢ / ٢٠٣ والكامل ٢ / ٧٠٩ .

باب المديح

أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص
الخلفاء من ذلك دون غيرهم : من ^(١) ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول
من معانيها .

وذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم : من ذلك
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التي كانت للنبي ، عليه السلام ، فصارت إليهم .

وذكر الآثار بالحرم ، وذكر علو القدر وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة . وذكر إفاضة العدل وإقامة الحق .

وذكر سداد الرأي وحسن السياسة والتدبير والاضطلاع بالأمور والحلم
والعقل .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر كرم الأخلاق ولينها .

وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها

قال أبو تمام في المعتصم :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظْلَمُ حَدِثٌ عَيْنُ الْهُدَى : وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجَرٌ^(١)
كَثُرَتْ بِهِ حَرَكَاتُهَا وَلَقَدْ تَرَى مِنْ فِتْرَةٍ وَكَأَنَّهَا تَتَفَكَّرُ^(٢)
مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ عَقْدَ مَرَامِهَا فِي كَفِّهِ مُذْ خُلِيتُ تَتَخَيَّرُ^(٣)

قوله : « كثر به حركاتها » . يريد به ظهور الأمر والنهي والتدبير والسياسة .

ويريد بالفترة ما كان من إهمال هذه الأشياء . و « كأنها تتفكر » لفظ . ليس بالحلو ولا الشهي هاهنا .

وقال فيه :

فَلَاذَتْ بِحَقْوَيْهِ الْخِلَافَةُ وَالْتَقَتْ عَلَى خِذْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٤)
أَتَتْهُ مُعِدًّا قَدْ أَتَاهَا كَأَنَّهَا وَلَا شَكَّ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تُرَاسِلُهُ

فالبيت الأول جيد بالغ .

والبيت الثاني في غاية السخف والرداءة ؛ لأنه جعل الخلافة قد أتته ، وجعله قد أتاه . وكان ينبغي أن يقتصر على إتيانه إياها . أو إتيانها إياه وهو أجود .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٩٦ / ٢ .

(٢) م « حركاته فلقد ترى من فكره » .

(٣) في الديوان « أن عقدة أمرها » .

(٤) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزي ٢٦ / ٣ .

فَلَمَّا أَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَيْنِ فَمَا وَجْهَهُ؟ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلِمَنَا لِمَا تَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ : أَيْنَ التَّقْيَا؟ أَفَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب في الألفاظ والمعاني، ومن ها هنا فسد أكثر شعره .
وقوله ^(١) : « ولا شك » من سخييف الألفاظ وسفسافها، وهي حشو ردىء .
وليس بالبيت إليه حاجة .

والجيد النادر في هذا قول البحترى في المهدى بالله :

بَارَكَ اللَّهُ لِلْخَلِيفَةِ فِي الْمُلْكِ الَّذِي حَازَهُ لَهُ الْمِقْدَارُ ^(٢)
رُتْبَةً مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ قَدْ طَا لَتْ بِهَا رِقْبَةٌ لَهُ وَأَنْتِظَارُ
طَلَبَتُهُ فَقَرًّا إِلَيْهِ وَمَا كَا نَ بِهِ سَاعَةٌ إِلَيْهَا أَفْتِقَارُ ^(٣)

ومثله في الجودة قوله فيه :

سَرَتْ تَتَبَّعَاهُ الْخِلَافَةُ رَغْبَةً إِلَيْهِ بِأَوْفَى قَصْدِهَا وَعَتِمَادِهَا ^(٤)
فَمَا عَلِقَتْهُ خَبْطَ عَاشِيَةِ الدُّجَى وَلَكِنَّهَا اخْتَارَتْهُ بَعْدَ آرْتِيَادِهَا

فهذه هي المعاني الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسبك الرصين .

وما أحسن ما قال « سَلَّمَ الْخَائِرِ » فِي الْمَهْدَى :

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ خِلَافَةٌ دَفَعَتْ إِلَيْكَ زِمَامَهَا وَقِيَادَهَا

(١) م « قولك » .

(٢) ديوان البحترى ١٠٥ ، ٢٤ / ٨٥٣ .

(٣) م « طلبته فقر . . . ساعة إليه » .

(٤) ديوانه ١١٠ ، ٢٤ / ٦٧٥ و يروى « سعت » .

ومثل قول البحتري قول « الحطيئة » :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ^(١)
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ بِكَ اسْتَأَثَرُوا إِنْ كَانَتْ الْأَثَرُ^(٢)

وقال « ابن هرمة » في المنصور :

وَمَا النَّاسُ أَعْطَوْكَ الْخِلَافَةَ عَنُوءَ وَلَكِنَّهُ مَنْ يُعْلِيهِ اللَّهُ يَسْتَعْلِي

ومن ذلك في الجودة قولُ البحتري :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا وَأَضَاءَ فِيهَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلَّلُ^(٣)
لَبِسَتْ جَلَالََةَ جَعْفَرٍ فَكَانَتْهَا سَحَرُ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ^(٤)
جَاءَتْهُ طَائِعَةٌ وَلَمْ يُهْزَرْ لَهَا رُفُوحٌ ، وَلَمْ يُشْهَرْ عَلَيْهَا مُنْصُلُ^(٥)
أَنْتَى وَإِنْ كَانَتْ تَعَلَّتْ نَحْوَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْفَضَاءُ فَتَعْقِلُ^(٦)
حَتَّى أَتَتْهُ يَقُودُهَا اسْتِحْقَاقُهُ وَيُسَوِّقُهَا حَظُّهُ إِلَيْهِ مُقْبِلُ^(٧)

ويروى : « ويسوقها حظُّه إليه مكمل » .

و « تُصْنَع » كانت هاهنا أحسن من « تُعْقِلُ » فجاء بتعقل من أجل القافية .

رأى أبو تمام في الواثق :

إِنَّ الْخِلَافَةَ أَصْبَحَتْ حُجْرَاتُهَا ضَرَبَتْ عَلَى ضَخْمِ الْهُمُومِ هُمَامِ^(٨)

(١) ديوان الحطيئة ٨١ « أنت الأمين » .

(٢) في الديوان « لم يؤثروك . . . لكن لأنفسهم كانت بك الخير » .

(٣) ديوان البحتري ٢٥ « وأضاء فيه » ، ٣ / ١٧٥٤ - ١٧٥٥ .

(٤) في الديوان ٢٥ « لبست خلافة .. تجلله النهار .. » والبيت مع سابقه في الجزء الأول ص ٢٧٢ .

(٥) م « ولم يشهد » !

(٦) في الديوان « وإن كان التلفت نحوه » . وفي طبعة المعارف « أتى وقد كانت تلفت نحوه » .

(٧) م « يقودها استخفافه » !

(٨) ديوان أبي تمام ٢٧٧ « ضخم الغطاء » .

ضخم الهموم: يريد ضخمَ الهمّة لا الهمّ الذي يراد به الحزن. وهذا لفظ هجين في هذا الموضع .

لَا قَدَحَ فِي عُودِ الْخِلَافَةِ بَعْدَمَا مَتَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ^(١)
 هِيَهَاتَ تِلْكَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي مَا كَانَ يَتَرُكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ
 إِرْثُ النَّبِيِّ وَجَمْرَةُ الْمُلْكِ الَّتِي لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وَضِرَامٍ^(٢)
 مَذْخُورَةٌ أَحْرَزْتَهَا بِحُكُومَةٍ اللَّهُ تَشْدِخُ أَرْوُسَ الْحُكَّامِ^(٣)
 وقال أبو تمام في الواثق أَيْضًا :

جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ - سَبْحَانَهُ - لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُونُ^(٤)
 وَلَتَمُدَّ رَأْيَاهَا لَهُ بِتَمْلُونَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهُ وَبُطُونُ^(٥)
 وَلِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ^(٦)
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَذْ تَرَعَرَعَ أَنَّهُ لِأَمِينٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

قوله : « جعل الخلافة فيه ربُّ » بيت في غاية الركاكة والرداءة ؛ لأن مثل هذا إنما يقال في الأمر العجب الذي لم يكن يُقَلَّرُ ولا يتوقع . ولا يُظَنُّ أَنَّ مثله يكون ، فيقال إذا وقع ذلك : قُدْرَةُ قَادِرٍ ، وَفِعْلٌ مِنْ لَا يَعْجِزُهُ أَمْرٌ ، وَمَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُونُ . فَأَمَّا الْأُمُورُ الَّتِي لَا يَتَعَجَّبُ مِنْهَا ، وَلَا تُسْتَغْرَبُ ، وَالْعَادَاتُ جَارِيَةٌ بِهَا وَمَا يَشَبَّهُهَا - فَلَا يُقَالُ فِيهَا

(١) م « ثبتت إليك » .

(٢) م « الملك الذي » .

(٣) في الديوان « لله تملو » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٦ .

(٥) أي كنا نقدر أنها تصير إليه بالتحايل الدالة ، وبينه وبينها مدة بعيدة .

(٦) م « ولذلك » .

مثل هذا ، وإنما يُسَبِّحُ الله تعالى ، وتُذَكَّرُ قدرته على تكوين الأشياء
لَوْ جَاءُوا بِأَبِي الْعَبَرِ^(١) أَوْ بِجُحَا فَجَعَلُوهُ خَلِيفَةً .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبي تمام في أن أفضت إليه الخلافة وأبوه
خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور ،
وأخوه جده خليفة وهو الهادي ، وأخوه جد جده خليفة وهو السفاح ، وعماه
خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم^(٢) وقد عدد
أبو تمام منهم خمسة في البيت فقال :

يَسْمُو بِكَ السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ أَلْ مَهْدِيُّ وَالْمَعْصُومُ وَالْمَأْمُونُ^(٣)
وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبه الواثق به فقال :

[وَجَلُّوا جَنَابَ الْمَلِكِ أَخْضَرَ] وَأَجْزَلُوا هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونَ

فما وجه التعجب من خلافة مَنْ كانت هذه صورته ؟

وقوله : « وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ يَقْلُوبِنَا » وقوله : « وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ
الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ » - فهذه كهانة عجيبة من أبي تمام في الواثق لم يفتن
لها غيره .

وعلى أن هذين البيتين جيّدان في نظمهما ولفظهما ، ولكنه وضع المعاني
في غير مواضعها .

وقوله : « لَأَمِينٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينٌ » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

(١) أبو العبر : هاشمى من بنى العباس . كان أديباً شاعراً ماجناً يظهر الحماسة وله فيها كتاب
اسمه : « جامع الحماقات وحاوى الرقاعات » توفى سنة ٢٥٠هـ وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٤٢
والأغاني ٨٩/٢٠ - ٩٣ وتاريخ بغداد ٤٠/٥ .

(٢) نقل هذا النقد ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ في كتابه سر الفصاحة ٢٣٤ ثم قال :
« وهذا الذى ذكره أبو القاسم صحيح واضح » .

(٣) ديوانه ٢٣٠ .

وقد أصاب « أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » في هذا المعنى إذ يقول
للأمين :

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ ثَوْرُهَا لِلنَّاطِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ إِنْ بَيَّعَهُ عَقِدَتْ وَإِنْ لَمْ تُعْقَدْ

وما أحسن ما قال « الحسين بن الضحاك^(١) الباهلي » في المأمون أيضاً :
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ فَمَلَكَهُ ، وَاللَّهُ أَعَزُّ بِالْعَبْدِ^(٢)

وقال البحتري في المتوكل ، وزاد على الإحسان :

اللَّهُ أَثَرُ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا وَرَأَهُ نَاصِرَهَا الَّذِي لَا يُخْذَلُ^(٣)
هِيَ أَفْضَلُ الرِّبِّ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْهَا أَفْضَلُ^(٤)

وقال فيه :

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمَّا أَهْتَزَّ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا^(٥)
أَبْدَى التَّوَاضُعِ لَمَّا نَالَهَا رِعَا عَنْهَا ، وَنَالَتَهُ فَأَخْتَالَتْ بِهِ تَيْهَا^(٦)

وهذا هو المعنى الحلو ، والمدح الذي يليق بالخلفاء .

(١) م « الحسين بن أبي الضحاك » وهو خطأ .

(٢) البيت في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٩ وديوان المعاني ٢ / ٢٠٦ والفرج بعد الشدة

١ / ٧٤ ونهاية الأرب ٣ / ٢٥٦ .

(٣) ديوانه ٢٣ .

(٤) م « أفضل الدنيا » .

(٥) ديوانه ٢٨ ، ٤ ، ١٤٢١ .

(٦) في الديوان : « نالها دعة » .

وقال في المهدي :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا فَهُوَ شَمْسٌ لِلنَّاسِ ، وَهِيَ نَهَارٌ^(١)
وَأَجَارَ الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْفِ وَالْخَرِّ فِ فَهْلُ يَشْكُرُ الْمُجِيرَ الْمُجَارُ

وقال في المتوكل :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةَ إِنَّهَا قِسْمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِمٍ فَأَلْفَضَلِ^(٢)
وَتَمَنَعَتْ فِي ظِلِّ عِرْكَ وَأَعْتَدَتْ فِي خَيْرِ مَنْزِلَةٍ وَأَحْصَنِ مَقِيلِ^(٣)

أخذ قوله : « عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ^(٤) الخلافة » من قول أبي تمام :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةُ وَالتَّقَتْ عَلَى خِدْرِيهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٥)

وقال في المعتز :

حَامِلٌ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ مَا يَبْعُ جِزْ عَنْهُ ذُو الْأَيْدِ وَالْإِضْطِلَاعِ^(٦)
مُسْتَقِيلٌ بِالثَّقَلِ مِنْهَا رَحِيبُ الْ صَدْرِ نَهَضًا بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ

وقال في المتوكل :

وَقَدْ سَرَفِي أَنْ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ مُخِيْمَةٌ مَا إِنْ يُخَافُ أَنْتَقَالَهَا^(٧)
لَكُمْ إِرْثُهَا وَالْحَقُّ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ لِغَيْرِكُمْ إِلَّا أَسْمُهَا وَأَنْتَحَالَهَا

وقال فيه :

وَأَرَى الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ حَقًّا لَكُمْ وَوَرِاثَةً مَا تُنْزَعُ^(٨)

(١) ديوانه ١٠٦ ، ٢ / ٨٥٤ في مدح المهدي بالله وفي م « شمس النهار » .

(٢) ديوانه ١٦ « بحقوك » وفي ٣ / ١٦٢٧ كما هنا .

(٣) في الديوان « وأحسن معقل » .

(٤) م « بحقويه » .

(٥) ديوانه ٢٣١ « ولأدت بحقويه » .

(٦) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

(٧) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١ .

(٨) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ .

أَعْطَاكُمْوهَا اللَّهُ عَنْ عِلْمٍ بِكُمْ وَاللَّهُ يَعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

وقال في المعتز :

أَغْرُ مِنْ الْأَمْلاكِ إِمَّا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ أَبَا إِسْحَاقَ وَالْقَرَمَ جَعْفَرًا^(١)
تَقَدَّمَ فِي حَقِّ الْخِلَافَةِ سَهْمُهُ إِذَا رُدَّ عَنْهَا غَيْرُهُ فَتَأَخَّرَا^(٢)
وَيُصْبِحُ مَعْرُوفًا لَهُ الْفَضْلُ دُونَهُمْ وَمَا يَتَدَعَاهُ الْأَبَاعِدُ مُنْكَرًا^(٣)

وقال في المتوكل :

فَضْلُ الْخَلَائِفِ بِالْخِلَافَةِ وَاقِفٌ فِي الرُّتَبَةِ الْعُلْيَا ، وَفَضْلُكَ أَفْضَلُ^(٤)
أَوْفَيْتَ عَاشِرَهُمْ فَإِنْ نُسِبُوا إِلَى كَرَمٍ وَإِحْسَانٍ فَأَنْتَ الْأَوَّلُ^(٥)
وهذا غاية في مدح الخلفاء .

وقال في المتوكل أيضاً بفضله على الخلفاء ، وأحسن كل الإحسان :

وَمَا الْخُلَفَاءُ لَوْ جَارَوْكَ يَوْمًا بِمُعْتَلِقِكَ رَأْيًا وَأَعَزَّ أَمَّا^(٦)
أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزَكَّا هُمْ عُودًا وَأَمْضَاهُمْ حُسَامًا ؟
وَلَوْ جَمِيعَ الْأَيِّمَةِ فِي مَقَامٍ تَكُونُ بِهِ لَكُنْتَ لَهُمْ إِمَامًا
ولست أعرف لأبي تمام في ذكر الخلافة غير ما قدمته .

(١) ديوانه ٧٦٣ ، ٩٣٢ وأبو إسحاق : المعتصم ، وجعفر : المتوكل .

(٢) في الديوان « حق الإمامة . . . رد فيها » .

(٣) وفيه « يتدعاه » .

(٤) ديوانه ٢٦ ، ٣ / ١٢٥٧ .

(٥) في الديوان « ألفت عاشقهم فإن ندبوا » ! وفي طبعة المعارف « عاشرهم فإن ندبوا » .

(٦) ديوانه ٣٠ ، ٢ / ٢٠١٠ وفي م « بمعتليك » .

ومن مدح الخلفاء ذكر الملك والدولة

قال أبو تمام في المعتصم :

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلِفِ أَطَّادَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ^(١)
بِئْمَنِ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ لَا أَوْدٌ بِالْمُلْكِ مَذْضَمَّ قُطْرِيهِ ، وَلَا خَلَلُ^(٢)

قوله : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » . والطُّوْلُ : الحَبْلُ ، ولا وجه له هاهنا ، وليس يريد الطول بمعنى الزمان من قولهم : طَالَ طِيلُكَ وطُولُكَ وطَوَالُكَ ؛ لأن ذلك يكون اطَّادَتْ قواعد الملك ممتدًّا أزمانه ، ولا يصلح في الحال هاهنا ؛ لأن الفعل وهو « أَطَّادَتْ » لا يكون عاملا فيها ؛ لا تقول : قد استقر البناء طويلا زمانه ؛ لأن استقراره ليس هو من طول مدته في شيء ، وإنما تقول : قد استقر البناء جَيِّدًا عمله ، ومُتَقَنَّأً أساسه ، أو وَثِيقًا صنْعته ، أو أن تقول : طويلا شرفه أو علوه . وإلى هذا أذهب كأنه أراد وَأَطَّادَتْ قواعد الملك مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ أى رسا أصله ، وعلا فرعه ، كما قال البحترى في المعتز بالله :

بِكَ أَشْتَدَّ عَظْمُ الْمُلْكِ فِيهِمْ فَأَصْبَحَتْ تَقِرُّ رَوَاسِيهِ وَتَعْلُو مَرَاتِبُهُ^(٣)

فجعل موضع تعلو مراتبه : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » ، وهذا غير حسن ولا لائق . بلى ، لو قال : « فَلْيُمْدَدْ لَهُ الطُّوْلُ » على الدعاء كان سائغا ، إِلَّا أَنَّ « الطول » ها هنا على كل حال غير جيد ؛ لأنها لفظة مشتركة^(٤) .

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ « اعتدلت » ومعنى « اطَّادَتْ : ثبتت » .

(٢) ويروى « بالدين مذ » .

(٣) ديوان البحترى ١٣٧ ، ٢١٨ / ١ .

(٤) م « سائغا لا أن » .

وقال أبو تمام في نحوه :

بِئْسَ أَيْبَى لِإِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الْهَدَى وَقَامَتْ قَنَاةُ الْمَلِكِ ، وَأَشْتَدَّ كَاهِلُهُ ^(١)
وهذا بيت جيد . وقد قال قبله : ... ؟ « وَأَضْحَى الْمَلِكُ قَدْ شُقَّ
بِأَزْلُهُ » ^(٢)

وكان أحدهما يغني عن الآخر .

• • •

وقال البحتري في المعتز :

أَقَامَ قَنَاةُ الْمَلِكِ بَعْدَ أَعْوَجَاجِهَا وَأُرْبَى عَلَى شَغْبِ الْعَدُوِّ الْمُشَاغِبِ ^(٣)
وقال البحتري :

مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمُلْكَ لَكَ فَاضْضَحَتْ لَهُ مُعَانَا وَرِدْعَا ^(٤)
وقال في تعظيم الملك ، في المتوكل :

مُلْكٌ كَمُلْكِ سُلَيْمَانَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الْبَرِيَّةُ قَاصِبِيهَا وَدَانِيهَا ^(٥)

• • •

وأجود من هذا قول أبي تمام في المأمون :

فِي دَوْلَةٍ لَحِظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بَعَيْنَيَّ أَرْمَدِ ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٢ .

(٢) بقيته : « وقام فقام العدل في كل بلدة خطيبا » .

(٣) ديوان البحتري ١٥٣ ، ١٠٩ / ١ « قَنَاة الدين » .

(٤) ديوانه ١٢٨ / ١ مصر ، ٢١ / ١ بيروت « مَعَانَا وَرِدْعَا » وفي طبعة المعارف ٧١٢ / ٢

« مَعَانَا وَرِدْعَا » المعان : المنزل ، والمكان ، والحصن والرد : العود والتناصر .

(٥) ديوان البحتري ٣٧ ، ٢٤١١ / ٤ .

(٦) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٤٨ / ٣ وقيله :

فانتاش مصر من الدنيا والتي بتجاوز وتعتلف وتتمد

انتاش : تناولها وخلصها . يقول : هذه دولة جيدة نافذة ، أواد الزمان غلبها ، وأن ينظر إليها
فأعشاء شعاعها ، فارتد رمدًا .

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا فَكَانَهُ لَمْ يُولَدْ^(١)
 وهذا من أجود ما يقال في مدح دولة وأبلغه .

فأبو تمام في هذا الباب - على إساءته في الأبيات المتقدمة - أشعر من
 الباحثرى .

(١) قال التبريزي : « أى من لم يأخذ بالخط من هذه الدولة ، إما أولاً وإما آخراً فكانه لم يولد » .

مما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم . والمعرفة لحقهم

فمن ذلك قول البحتري في المتوكل .

مُخَالِفُ أَمْرِكُمْ لِلَّهِ عَاصٍ وَمُنْكَرُ حَقِّكُمْ لَاقٍ أَثَامًا^(١)
وَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ وَلَا يَتَّكِمْ وَلَوْ صَرَّ وَصَامًا

وفيه قوله :

نُصِّلِي وَإِتِّمَامُ الصَّلَاةِ أَعْتِقَادُنَا بِأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ إِمَامٍ^(٢)

وفيه قوله :

فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِصَالٍ جَعَلَتْ حَبَّةً عَلَى النَّاسِ فَرَضًا^(٣)

وفي المعتر بالله قوله :

مَنْ أَبَى حُبِّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ الْأَهِلِّ وَلَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وَصَلَّى^(٤)

وقال فيه :

قَضَى اللَّهُ لِلْمَعْتَرِ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ الْقَائِمُ الْعَدْلُ الرَّشِيدُ الْمُوَفِّقُ^(٥)
مَحَبَّتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ وَعَصِيَانُهُ سُخْطٌ مِنَ اللَّهِ مُوبِقٌ

(١) ديوانه ٢٠١٠/٣ ، ٣٠ - ٢٠١١ .

(٢) ديوانه ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ .

(٣) ديوانه ١٢١٦ / ٢ والصناعتين ٦٣ وفيهما « بخلال » .

(٤) ديوانه ١٥٦ « أبي جهنم » وفي طبعة المعارف ١٦٥٧ / ٢ كما هنا .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، ٣ / ١٥٣٦ وفي م « بالمعتر » .

وقوله في المهدي^(١) :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ فَدَانَ لَهُ مُعَوَّجُهَا وَقَوِيمُهَا^(٢)
وَلَوْ جَحَدَتْهُ ذَلِكَ الْحَقُّ لَمْ تَكُنْ لِتَبْرَحَ إِلَّا وَالنُّجُومُ رُجُومُهَا

ولست أعرف لأبي تمام في هذه المعاني شيئاً .

(١) م « في المهدي » وهو تحريف .

(٢) ديوانه ١٠٨ / ٣ ، ٢٠٢٤ .

ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فصارت إليهم

قال البحتري في المتوكل :

عليك ثِيَابُ الْمُصْطَفَى وَوَقَارُهُ وَأَنْتَ بِهِ أَوْلَى إِذَا حَصَّصَ الْأَمْرُ^(١)
عِمَامَتُهُ ، وَسَيْفُهُ ، وَرِدَاؤُهُ وَوَسِيمَاهُ . وَالْهَدْيُ الْمُشَاكِلُ : وَالنَّجْرُ

وقال فيه :

يَتَوَلَّى النَّبِيُّ مَا تَتَوَلَّى هـ وَيَرْضَى مِنْ سِيرَةٍ مَا تَسِيرُ^(٢)
حَزَنَ مِيرَاثَهُ بِحَقِّ مُبِينٍ كُلُّ حَقٍّ سِوَاهُ إِفْكٌ وَزُورٌ
فَلَكَ السَّيْفُ ، وَالْعِمَامَةُ ، وَالْخَا نَمْ : وَالْبُرْدُ ، وَالْعَصَا ، وَالسَّرِيرُ

وقال في المَهْدِيِّ بالله :

إِمَامٌ إِذَا أَمْضَى الْأُمُورَ تَتَابَعَتْ عَلَى سَنَنِ مِنْ قَصْدِهَا وَسَدَادِهَا^(٣)
مَنْ يَتَعَمَّمُ بِالسَّحَابِ ثَلَاثٌ عَلَى كَفِيٍّ لَهَا مُعْتَازُ إِرْثٍ أَسْوَدَادِهَا^(٤)
وإنْ يَتَقَلَّدَ ذَا الْفِقَارِ يُضَفُّ إِلَى شُجَاعٍ قُرَيْشٍ فِي الْوَعْيِ : وَجَوَادِهَا

وقال في المعتز :

وَقَدْ تَرَكَ الْعَبَّاسُ عِنْدَكَ وَابْنَهُ عَلَا طُلُنَ مَرَمَى النَّجْمِ حَتَّى تَحِيرَا^(٥)
هُمَا وَرَثَاكَ ذَا الْفِقَارِ وَصِيرَا إِلَيْكَ الْقَضِيبَ وَالرَّدَاءَ الْمُحْبَرَا

(١) ديوان البحتري ٧٥٩ ، ٢٠ / ٩٩٣ .

(٢) ديوانه ٧٦٦ ، ٢٠ / ٩٠٢ « ماتتولاه » و « يرضى من سيره » .

(٣) الأبيات في ديوانه ١١٠ ، ٢٠ / ٦٧٥ - ٦٧٦ ومن العجيب أن الأول منها ورد في الديوان

٣٨ ضمن قصيدة يلح المتوكل .

(٤) م « لها مختار إرث » .

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ٢٠ / ٩٣٤ .

وَأَيُّ سَنَاءٍ لَسْتُ أَهْلًا لِفَضْلِهِ وَأَوْلَى بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ وَأَجْدَرًا
وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَسْقَى الْحَجِيجَ عَلَى الظَّمَا وَنَاشَدَ فِي الْمَحَلِّ السَّحَابَ فَأَمْطَرَا

وقال أبو تمام في نحو هذا يمدح الواصل :
فَوَيْلٌ غَدَا الْمِيرَاثُ مَضْرُوبًا لَهُمْ سُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ حَصِينٌ^(١)
فِيهِمْ سَكِينَةٌ رَبِّهِمْ وَكِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ
فَالسَّكِينَةُ وَزْنُهَا فَعِيلَةٌ ، مِنَ السَّكُونِ وَهُوَ الْوَقَارُ . وهذه لفظة لا تلائم
البيت كُلَّ الملاءمة ؛ لَأَنَّهُ لَا وَجْهَ لَأَن يَقُولَ فِيهِمْ : وَقَارُ رَبِّهِمْ ، لَا سِيَّما
وَقَدْ قَالَ : كِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ . فالوَقَارُ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
فِي شَيْءٍ^(٢) .

وَالسَّكِينَةُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣) ، وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهَا : إِنَّهَا حَيَّوَانٌ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ
الْإِنْسَانِ . وَقِيلَ : لَهَا رَأْسٌ مِثْلُ رَأْسِ الْهَرَّةِ وَلَهُ جَنَاحَانِ . وَقِيلَ : بَلْ هِيَ
رِيحٌ هَفَافَةٌ . وَقِيلَ : هِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤) — فَإِنْ كَانَ هَذِهِ
أَرَادَ فَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعَى لِلْقَوْمِ^(٥) مَا لَا يَدْعُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ .
وقوله : « وَإِمَامَتَاهُ » يَعْنِي النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ .

« وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ » يَعْنِي اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ جَلَّ وَعَزَّ أَجَابَ .

(١) ديوان أبي تمام ٣٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٧ .

(٢) م « فِي الشَّيْءِ » .

(٣) سورة البقرة : ٢٤٨ .

(٤) راجع اختلاف أهل التأويل في معنى السكينة ، في تفسير الطبري ٥ / ٣٢٦ - ٣٣٠

طبع دار المعارف . وقال أبو جعفر الطبري : أَنْ أَوَّلَ الْأَقْوَالِ بِالْحَقِّ مَا قَالَهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيحٍ : مِنْ
الشَّيْءِ تَسْكُنُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا .

(٥) م « الْقَوْمِ » .

ومن المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم

نحو قول البحتري في المعتز :

لَكُمْ زَمَزَمٌ وَأَفْنِيَّةُ الْكَعَّةِ بَدْرٌ وَالْحِجْرُ وَالصَّنْفَاءُ وَالْمُهَاجِلِيُّ (١)

وقوله في المتوكل :

نَعْدُ لَكَ السَّقَايَةَ (المُصَلَّى) وَأَرْكَانَ الْبَيْتَةِ وَالْمَقَامَا (٢)
مَكَارِمُ قَدْ وَرَنْتَ بِهَا ثُبَيْرَا فَلَمْ يَرْجَعْ ، وَطَلَّتْ بِهَا شِمَامَا (٣)

وقوله في المتوكل :

لَكُمْ كُلُّ بَطْحَاءٍ بِمَكَّةَ إِذْ غَدَا لِغَيْرِكُمْ ظُهُرَانُهَا وَجِبَالُهَا (٤)
وَأَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَمِينُ قُرَيْشٍ إِذْ سَوَاكُمْ شِمَالُهَا (٥)

وقال فيه :

شَرْفًا بَنَى الْعَبَّاسُ إِنَّ آبَاكُمْ عَمُّ النَّبِيِّ وَعِيصُهُ الْمُتَفَرِّجُ (٦)
إِنَّ الْفَضِيلَةَ لِلَّذِي أَسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ وَشُفْعَ إِذْ غَدَا يَسْتَشْفَعُ
مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وَحَوْضُ مُحَمَّدٍ بِسِقَايَةِ الْعَبَّاسِ فِيكُمْ يَشْفَعُ

(١) ديوان البحتري ١٥٦ ، ١٦٥٧ / ٣ « لهم » .

(٢) ديوانه ٣٠ ، ٢٠١٠ / ٣ « ثبيرا فلم تنقص » .

(٣) م « قد ورثت . . . فلم ترجع » وشام : جبل بالعالية .

(٤) ديوانه ٢٦٦ ، ١٦٣١ / ٣

(٥) في الديوان « وأنتم بنو العباس عم محمد » .

(٦) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ / ٢

وقال في المعتز :

إِمَامٌ هُدًى تَأْوِي بِهِ مَكْرُمَاتُهُ إِلَى مَرْتَعٍ مِنْهُ بَطْنِ مَكَّةَ أَفِيحٍ^(١)
 لَهُ شَرَفُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفَخْرُهُ وَزَمَزَمَ وَالرُّكْنَ الْعَتِيقَ الْمُمَسَّحَ
 أَرَادَ شَرَفَ زَمَزَمَ .

ومن باب السؤدد والشرف ذكر علو القدر وعظيم الفضل

قال أبو تمام :

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ^(١)
مَنْ لَا يُحِيطُ الْوَاصِفُونَ بِقَدْرِهِ حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامُ

قوله : « الله أكبر » . يقول فيما أظنه عند قدوم المأمون من خراسان ،
أي الله أكبر من كل أحد ، قد جاء أكبر من جرت فتعثرت في كنهه الأوهام .

وكنه الشيء : غاية صِفَتِهِ .

وقوله : « حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامُ » من جنونه ؛ لأن الإلهام هو ما يلقيه
الله ، عز وجل ، في قلب الإنسان حتى يعرفه بغير تعرف ، ويعلمه من غير تعلّم ،
فيقول : لا يحاط بقدره إلا أن يكون ذلك إلهاماً من الله ، جل وعز ،
فيعرف .

وقَدْرُ كُلِّ شَيْءٍ : هو مَبْلَغُهُ ، تقول : سرنا قَدْرَ مِيل ، وقدر قَرَسَخٍ ،
وأخذت منه قدر عشرين درهماً ، أي مبلغ عشرين .

وإنما سمع الناس يقولون ، هذا أمر لا يُقَدَّرُ قدره ، وسمع قول الله عز وجل :
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٢) ، قيل في التفسير : ما عرفوه حق معرفته .
فأراد أن يَنْحُو بِقَدْرِ المأمون هذا النَّحْوُ فَأَخْرَجَهُ بهذه العبارة المُسْتَكْرَهة .
يريد أن قَدْرَهُ لا يُعْرَفُ إلا بالإلهام من الله جلّ جلاله .

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ ز وشرح التبريزي ١٥٣ / ٢ وقد سبق الأول .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

وقد كان يكنى من هذا العويص الذى جاء به أن يقول كما قال البحترى
فى المتوكل :

وَأَنْتَ - أَمِينَ اللَّهِ - بِالْمَوْضِعِ الَّذِى أَبَى اللَّهُ أَنْ يَسْمُوَ إِلَى قَدْرِهِ قَدْرٌ (١)
فجعل قدره فوق [قادر] كلِّ ذى قَدْر . ومثل هذا لا يقال إلا لخليفة أو
لأفضل الناس من أهل بيت النبوة .

وقد أفرط. البحترى فى مدح إبراهيم بن المدبر . وإن كان لم يُصرِّح فى
تفضيل قدره ، وذلك قوله :

دَنَوْتَ تَوَاضِعًا ، وَعَلَوْتَ قَدْرًا فَشَرَانَاكَ أَنْحِدَارٌ وَأَرْتِفَاعٌ (٢)
كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ

وما قيل فى التواضع ألطف من هذا ولا أحسن . ولو مدح خليفة بالتواضع
لما وجد شيئاً يليق به غير هذا الوصف أو معناه.

وقال أبو تمام فى المعتصم مادة (٣) فضل على فضله كل أحد من الناس .
إلى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِى لَوْ فَضَّلِهِ مَدَحَتْ بَنَى الدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهُ (٣)
وهذا تفضيل فى غاية الاستقصاء والجودة والحسن والصحة ، ولا يقال
مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء ؛ لقوله : مدحت بنى الدنيا .

(١) ديوانه ٤٥٦ / ٢ ، ٩٩٢ .

(٢) ديوانه ٢٢٨ / ٢ ، ١٢٤٧ « وبعثت قدرا فشأنك » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢٠ / ٣ .

ومثله في الجودة ، بل يزيد عليه - قول البحتري في المتوكل :

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ حَقًّا ، وَيَا أَوْ كَيْ قَرِيشٍ نَفْسًا وَدِينًا وَعِرْضًا^(١)
بَنَتْ بِالْفَضْلِ وَالْعُلُوِّ فَأَصْبَحَتْ سَمَاءً وَأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضًا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطأ إذ ليس أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح ، ولا أن يفضلّه هذا التفضيل .

وقال البحتري أيضًا في المهدي^(٢) :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَةٌ أَحْمَدُ فَدَانَ لَهُ مُعْجَظُهَا وَقَوِيْمُهَا^(٣)

والتفضيلُ الحسنُ الذي لا غُلُوَّ فيه وكأنَّ قائله قد غلا - قولُ البحتري أيضًا في أبي ليلي الحارث بن عبد العزيز بن دُلَف :

يَبِينُ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فِيْفَضْلِهِمْ مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدٌ^(٤)
تَوَحَّدَ الْقَمَرُ السَّارِي بِشَهْرِيَّةِ وَأَنْجَمُ اللَّيْلِ نَشْرٌ حَوْلَهُ بَدْدُ

ومثله في الحسن قوله في الفتح :

وَلَمَّا جَرَى فِي الْمَجْدِ وَالْقَوْمُ خَلْفَهُ تَغَوَّلَ أَقْصَى جُهْدِهِمْ وَهُوَ وَادِعٌ^(٥)
وَهَلْ يَتَكَافَا النَّاسُ شَتَّى خِلَالِهِمْ وَمَا تَتَكَافَا فِي الْيَدَيْنِ الْأَصَابِعُ؟

(١) ديوان البحتري ٢٢ ، ٢٠ / ١٢١٦ وفي م « حقا وياركن قريش » .

(٢) م « المهدي » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ وقد سبق هذا البيت ص ٣٤٤ .

(٤) ديوانه ٧٧٤ ورواية شطر البيت الأول فيه « وتنازع انجد ايجاد قفاهم » . وطبعة المعارف ٦٤٦/٢ .

(٥) ديوانه ٧٢ ، ٢ / ١٣٠٣ ، « جرى المجد » .

وهذا كله عجيب في معانيه . ولكنهما في معانيهما حذو على قول معن
ابن أوس :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِي مُتَطَاوِلٍ يَدَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتُ أَطْوَلُ^(١)
وما بلغ المهدون في القولِ مدحةً ولو أكثرُوا إِلَّا الذي فيكَ أَفْضَلُ^(٢)

(١) في ديوانه ١٣ « من المجد » والبيت في مدح سعيد بن العاص

(٢) « بلغ للمهدى » وفي ديوانه : « المهدى تحريك » .

ومن باب المجد والسودد

قول أبي تمام في المأمون :

هَدَمْتُ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِي وَابْتَنَنْتُ خِطَطَ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقَدِ^(١)
سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ عُمرِيَّاتُهَا وَمَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ
مَا زَالَ يَمْتَحِقُ الْعَلَا وَيَرُوضُهَا حَتَّى اتَّقَتْهُ بِكِيْمِيَاءِ السُّودْدِ^(٢)

قوله : « سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ » أى طاولت الدهر في البقاء ، فجعل مطاولتها للدهر سيرا مع الدهر ، فلذلك قال : « سبقت خطى الأيام »
« عُمرِيَّاتُهَا » : واحدا عُمرِيَّةً ، منسوبة إلى العُمر .

وقوله : « مَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ » ، فالمسند : الدهر ، أى صارت دَهْرًا لِلدَّهْرِ .

وهذا من كلام أهل الوَسْوَاسِ والمَخْطَرَاتِ وأصحابِ السُّودَاءِ .

وقوله : « بِكِيْمِيَاءِ السُّودْدِ » مما أنكره عليه .

وقد أتى به « بَكْرُ بْنُ التَّطاحِ » في موضعه فقال :

مَدَحُ ابْنِ عَيْسَى قَاسِمٍ فَاشْدُدْ بِهِ كِلْتَا يَدَيْكَ الْكِيْمِيَاءُ الْأَعْظَمُ^(٣)
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا دِرْهَمٌ وَمَدَحَتْهُ لِأَنَّكَ ذَاكَ الدَّرْهَمُ

(١) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٥٠ وفي م « في عراض الفدقد » .

(٢) م « ما زال يمتحق » .

(٣) م « عيسى قاسم ! والقاسم بن عيسى : هو أبو دلف المعجل ، أمير الكرخ ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٤٧٦ والأغاني ٧ / ٢٤٨ طبع دار الكتب وانظر أخباره مع بكر بن التطاح في الأغاني ١٧ / ١٥٣ طبع بولاق .

وقال البحتري في المُهتَدَى :

وَلِلْمُهْتَدَى بِاللَّهِ مَجْدٌ لَوْ ارْتَقَتْ
إِلَيْهِ النُّجُومُ رِفْعَةً مَا تَهْدَتْ^(١)
وهذا أبلغ من قول أبي تمام : « وَأَبْتَنَنْتُ خِطْطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقَدِ »^(٢) .

ولهما في السُّودد والمجد والشرف في مدح سائر الناس ما أذكره مِنْ بَعْدُ في
تأييد الدين وتقوية أمره .

وواجب أن يمدح الخليفة بهذا المعنى .

قال أبو تمام في مدح المعتصم :

بِمُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ
عُرَا الدِّينِ وَالْتَفَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ^(٣)
وهذا كان يصلح أن يقال لمن له نباهة وديانة وقولٌ بحق . ولكن خصصه
بالخليفة قوله : « وَالْتَفَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ »

وقال في الواثق :

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ وَأَشَدَّ رُكْنُهُ
وَدَانَتْ دَوَانِيهِ وَقُرْبَ شَاسِعُهُ^(٤)

وقال البحتري في المتوكل :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْيَا
يَا سَدَادًا ، وَقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدًا^(٥)

(١) ديوان البحتري ٧٥٣ « مجد لو ارتقت إلى النجوم رفعة » وفي م « رفعة » وطبعة المعارف ١ / ٣٧٠ .

(٢) م « ألفدقد » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٦ .

(٤) م « يهزون عز . . . وقرى شاسعة » .

(٥) ديوان البحتري ٢٠ ، ٢ / ٧١٢ .

فاختص هذا القول بالخليفة ؛ لأنه جعله قِيَمًا على الدين والدنيا ،
ولا يجوز أن يقال هذا لغير خليفة إلا أن يكون نائباً عنه .

وقال مثل ذلك في الْمُعْتَزِّ بالله :

لَقَدْ حَمَلَ الْخِلَافَةَ مُسْتَقِيلٌ بِهَا وَبِحَقِّهِ فِيهَا الْمُبِينُ^(١)
يُسُوسُ الدِّينَ وَالْدُنْيَا بِرَأْيٍ رِضًا لِلَّهِ فِي دُنْيَا وَدِينِ

وقال عبد الله بن السَّمُطِ بن مروان في المأمون :

أَصْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلًا بِالدِّينِ وَالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِلُ^(٢)

فلم يهش له ، فشكى ذلك عبد الله ، فقليل له : ما زدت على أن جعلته
عجوزاً في محرابها ومعها سبحتها .

فألا قلت كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز^(٣) :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ^(٤)

وقال ابن هرمة :

فَرَعْتَ لِدِينِ اللَّهِ تَرْفَعُ وَهَيْهَ وَمَا بِكَ عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ مِنْ شُغْلٍ
فَحَدًّا حَذُّوْ قَوْلِ جَرِيرِ .

وقال البحتري أيضاً في المتوكل مما لا يقال إلا لخليفة إلا أن يفرض

مفروض . فيقول له غيره :

(١) ديوان البحتري ١٣٨ ، ٤ / ٢٢٦٧ .

(٢) سر الفصاحة ٢٤٨ والصناعتين ١١٩ .

(٣) في ديوان جرير ٤٣٤ « وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد » .

(٤) في الديوان ٤٣٥ « من الدنيا » .

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا وَمَنْ لَهُ
لَقَدْ حُطَّتْ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ حَيَاةٍ
صَلَاتِي، وَنُسْكِي خَالِصًا، وَصِيَامِي^(١)
وَقُمْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ خَيْرَ قِيَامٍ

وقال البحترى فى المتوكل :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا
جَعَلَ الدِّينَ فِي ضَمَانِكَ وَالْدُّنْيَا
لَكَ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهِ^(٢)
يَا فَعُشْ سَالِمًا لَنَا فِي ضَمَانِهِ

وهذا لا يكون إلا لخليفة .

وقال فى المعتز بالله :

مَا زَالَ يَكْلَأُ دِينَنَا وَيَحُوطُهُ
بِالْمَشْرِفَةِ وَالْوَشِيعِ الذُّبْلِ^(٣)

وهذا يصلح أن يقال لبعض ولاة الثغور وغيرهم من الولاة ولا يخص الخليفة .

وليس ذلك بعيب فى مدح الخلفاء ، ولكن إذا كان مما يخص الخليفة دون غيره كان ذلك أمدح له .

والعيب على الشاعر أن يمدح غير الخليفة بما لا يستحقه إلا الخليفة .

وقال فى المهتلى بالله مما يختص بالخليفة :

هَنَّتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبُ
وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رَدَّ أَمْرُهُ
مِنْ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا^(٤)
إِلَيْكَ فَرَوَى فِي الْأُمُورِ عَلَيْهِمَا

فخصَّصه قوله : « وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رَدَّ أَمْرُهُ إِلَيْكَ » .

(١) ديوان البحترى ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ وما أسخف قوله : « حلفت بمن أدعوه رباً » ! !

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢١٧٠ « المحل الجليل » .

(٣) ديوانه ١ / ١٦ طبع بيروت ، ٢ / ١٥٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦٢٦ طبع المعارف ورواية

الشرط الأول فيها « بكرت جياذك والفوارس فوقها »

والمشرفة : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، والوشيع : الخشب الذى تصنع منه الرماح . وذبل :

مفردها ذابل وهو الدقيق الملتصق الليط .

(٤) ديوانه ١٠٨ .

وقال أبو تمام في تقوية الإسلام :

أَمْسَى بِكَ الْإِسْلَامُ بَدْرًا بَعْدَمَا مُحِصَتْ بِشَاشَتُهُ مُحَاقَ هِلَالٍ ^(١)
 أَكْمَلْتُ مِنْهُ كُلَّ نَقْصٍ بَعْدَمَا نَقَصْتُهُ أَيْدِي الْكُفْرِ بَعْدَ كَمَالٍ ^(٢)
 أَلْبَسْتُهُ أَيَّامَكَ الْغُرَّ الَّتِي أَيَّامُ غَيْرِكَ عِنْدَهُنَّ لَيَالٍ

إنما قال : « أمسى » ولم يقل : « أضحى » من أجل قوله : « بدرًا » ،
 لأنَّ البدر لا ضوء له في الضحى .

وهذا يصلح أن يقال لوزير ولوالى الشغور ، وإن كان في غاية الجودة .

وقال البحتري في المتوكل :

يَا كَالِيَّ الْإِسْلَامِ فِي غَفَلَاتِهِ وَمُقِيمَ نَهْجِي حُجَّةَ وَجْهَادِهِ ^(٣)

وقال أبو تمام في مديح محمد بن عبد الملك :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ دَعَائِمُ الدِّينِ فَلْيَعَزِّزْ بِهِ الْأَدَبُ ^(٤)

ودعائم الدين قد توصف بأنها ثبتت ، وتمكنت ، وأقامت ، وتوطدت ،
 فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ، ألا ترى أنها إذا وُصفت بضد هذا الوصف
 قيل : وهت ، وسقطت ، وخرت . ولا يقال : ذلت . وإنما قال : « عزت » من
 أجل قوله : « فليعزز به الأدب » . وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بالجميل ،
 لأنه لفظ موضوع في غير موضعه .

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٥ وشرح التبريزي ٣ / ١٤٤ .

(٢) في الديوان « منه بعد نقص كل ما » .

(٣) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٤ والكالي* : الراعي والحافظ ، والنهج : الطريق .

(٤) ديوان أبي تمام ٥٠ وشرح التبريزي ١٥ / ٢٦٣ ويروى : « بك الأوب » .

وقال أبو تمام في إسحاق بن إبراهيم المصعبي :
 تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فِي الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا وَيَعْزَبُ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا إِذَا غَضِبَا^(١)
 وهذا مدح لا يليق إلا بأفضل الخلفاء ، وسبيل الشاعر أن يتفقد مثل
 هذا ؛ فقد جرت به على قوم من الشعراء سَلَكُوا دُونَ هذا المسلك - مَكَارِهِ ،
 وكان الحرمان أحسن أحوالهم التي عادوا بها .

ونحو هذا قوله في محمد بن يوسف :
 حَيَاتُكَ لِلدُّنْيَا حَيَاةٌ ظَلِيلَةٌ وَفَقْدُكَ لِلدُّنْيَا فَنَاءٌ مُوَاشِكٌ^(٢)
 وهذا عموم ؛ لذكره الدنيا . ولا يصلح أن يكون إلا لخليفة ، أو من
 ينفذ في أكثر بلاد الله أمره .
 وهذا متجاوز لقدر محمد بن يوسف ، وفي الممادح التي تُرَضَى
 المملوحين مُتَّسَعٌ .

• • •

وهو في هذا الباب أشعر من البحري .

(١) ديوان أبي تمام ٢١ وشرح التبريزي ١ / ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٢٢٦ وشرح التبريزي ٢ / ٤٦٧ .

ومما يجب في مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم
أولم تكن ، ذِكْرُ التَّقِي والورع

قال أبو تمام في المأمون :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ^(١)

هذا وصف لطاعة الله حَسَنٌ مُسْتَقْصَى . ولكنه أَلَمْ بمعنى قول أبي العتاهية :

يَعْتَدُ بِإِحْسَانٍ كُلِّ مُحْسِنٍ إِلَيْهِ بَعْدَ إِسَاءَةٍ كَانَ مِنْهُ^(٢)

وعكس أبو تمام المعنى :

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ ، وَزِدْتَنِي حَتَّى كَانَ إِسَاءَتِي إِحْسَانِي

بيت أبي تمام هذا من بيت أبي العتاهية^(٣) .

وقال البحتري في المهتدى بالله :

مُزَايِدُ نَفْسٍ فِي تَقَى اللَّهِ لَمْ تَدَعْ لَهُ غَايَةً فِي جِدِّهَا وَاجْتِهَادِهَا^(٤)

وما نَقَلْتُ مِنْهُ الْخِلَافَةَ شَيْمَةً وَقَدْ مَكَّنْتُهُ عَنُوءَ مِنْ قِيَادِهَا^(٥)

وَلَا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ لَهُ فِي تَنَاهَى حُسْنِهَا وَاجْتِهَادِهَا

(١) ديوان أبي تمام ٢٨٠ وشرح التبريزي ١٥٣ / ٣ وفي م « حسناتها » .

(٢) م « وهذا بيت أبي تمام من » .

(٣) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٦ . وفي م « لم يدع » .

(٤) ل « نفلت » وفي الديوان « أمكنته » .

وقال في المعتمد :

مَلِكٌ نُحْيِيهِ الْمُلُوكَ وَدُونَهُ سَيِّمًا التَّقَى وَنُخْشِعُ الزُّهَّادَ^(١)
مُتَهَجِّدٌ يُخْفِي الصَّلَاةَ وَقَدْ أَبَى إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ الْبَادِي^(٢)

وقال في المهدي^(٣) :

فَضَلَ الْأَنَامَ أَرْوَمَةَ مَحْمُودَةٍ وَتَقَى وَأَنْعَمَ فِي الْأَنَامِ وَأَفْضَلَ^(٤)

وقال في المعترز بالله :

يَتَقَبَّلُ الْمُعْتَزُّ فَضْلَ جُلُودِهِ بِخِلَالِ مَحْمُودِ الْخِلَالِ مُوَفَّقٍ^(٥)
وَيَظْلُ يُخْشَى فِي الْإِلَهِ وَيَتَّقَى فِيهِ كَمَا يَخْشَى الْإِلَهِ وَيَتَّقَى^(٦)

ومع وصف الخليفة بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرافة والرحمة .

قال أبو تمام في المعتمد :

رَعَى اللَّهُ فِيهِ لِلرَّعِيَةِ رَافَةً تَزَايِلُهُ الدُّنْيَا ، وَلَيْسَتْ تَزَايِلُهُ^(٧)
فَاضْحَى وَقَدْ فَاضَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفِيضٌ ، وَنَائِلُهُ^(٨)

فقلوه : « فاضت إليه قلوبهم » ليس بالجميل ؛ لأن هذه لفظة غير مستعملة في مثل هذا . وإنما قال ذلك من أجل قوله : « وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفِيضٌ » .

(١) ديوان البحري ١٦٣ ، ٢ / ٧٣٢ وفي م « تحيته » .

(٢) م « وقد أتى » .

(٣) في ديوانه ١٤٣ ، ٣ / ١٦٥٣ وقال يمدح المعترز بالله « .

(٤) في الديوان : « أرومة مذكورة » .

(٥) ديوانه ٦٢٥ ، ٣ / ١٤٨١ .

(٦) م « كما تخشى الإله وتقى » .

(٧) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦ .

(٨) في الديوان وشرحه « فأضحوا » .

وقال في الواثق :

فَعَدُّوا وَقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَائِقٍ بِاللَّهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونٌ^(١)

* * *

وقال البحتري في المتوكل :

يُحِبُّهُ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ أَنَّهُ يُذَبِّبُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَيُحَامِي^(٢)
وَأَنَّ لَهُ عَطْفًا عَلَيْهِمْ وَرَأْفَةً وَفَضْلَ أَيَادٍ بِالْعَطَاءِ جِسَامٍ^(٣)

* * *

وليس لأحدهما فضل في هذا الباب على صاحبه .

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٥ .

(٢) ديوان البحتري ١١ « عن أطرافها » .

(٣) م « عطفًا عليه » وفي الديوان « عليها ورقة » .

ما قالاه في الجمال ، والجلال ، والهيبة ، والبهاء ، والجهارة

قال أبو تمام :

إِنَّا غَدَوْنَا وَاثِقِينَ بِوَائِقٍ بِاللَّهِ شَمْسٌ ضُحَى وَبَدْرٌ تَمَامٌ^(١)

ثم قال بعد في القصيدة :

مَا أَحْسَبُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ إِذَا بَدَا بَدْرًا بِأَضْوَاءٍ مِنْكَ فِي الْأَوْهَامِ^(٢)

قوله : « في الأوهام » قد عيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئاً في العين ، وجعله مضيئاً في الأوهام . والذي ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضواءً من البدر . فجعله أضواءً منه في الصدور وفي النفوس ، يريد الجلال والهيبة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب :

تَعَفَّيْتُ الْأَوْهَامَ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَصْدُرُ عَنْهُ الطَّرْفُ وَالطَّرْفُ حَاسِرٌ

وأحسن من قول ابن^(٣) وهيب قول الأخوص :

تَرَاهُمْ خُضْعَ الْأَبْصَارِ هَيْبَتُهُ كَمَا اسْتَكَانَ لِيَضُوءِ الشَّارِقِ الرَّبْدُ

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

كَالْبَدْرِ حُسْنًا . وَقَدْ يُعَاوِدُهُ عُبُوسٌ لَيْثٌ الْعَرِينِ فِي عَبْدِهِ^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٦ وشرح التبريزي ٣ / ٢٠٤ ويروى « إنا رحلنا » .

(٢) في الديوان وشرحه « ما أحسب القمر » .

(٣) م « أبي وهيب » وهو خطأ .

(٤) ديوان أبي تمام ٩٤ وشرح التبريزي ١ / ٤٤٦ في عبده : أي أنفه .

كَالسَيْفِ يُعْطِيكَ مِلءَ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرْنِدِهِ تَارَةً وَمِنْ رُبْدِهِ^(١)
وهذا غاية في حسنه وصحته وبراعته .

وقال في جعفر الخياط :

فَتَى فِي يَدَيْهِ الْبَاسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى فِي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثُ غَضَنْفَرٍ^(٢)
وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسْنَتُهُ كَانَ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا^(٣)
وقد أحسن محمد بن وهيب كُلَّ الإحسان في قوله :
وَكَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ قَمَرٌ وَ[كَانَ] سَائِرَ خَلْقِهِ أَسَدُ

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

وَقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيرَ وَالْبَهُوُ يَمْلَأُهُ بِالْبَهَاءِ^(٤)
مَضَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ [بَن] مَزْ يَدِ قَمَرٍ اللَّيْلِ شَمْسُ الضُّحَاءِ
وهذا يَمَرُّ في « المراثي » .

* * *

وقال البحتري في المهتدي بالله :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا فَهَوَ شَمْسُ النَّهَارِ وَهِيَ نَهَارُ^(٥)
طَلَعَةُ تَمَلَأُ الْقُلُوبَ وَوَجْهُ خَشَعَتْ دُونَ ضَوْؤِهِ الْأَبْصَارُ

(١) الربد : جمع ربة ، وهي كالكلف فيه .

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٥ « من يديه » .

(٣) ديوان مسلم بن الوليد ٣٩ « أي أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا ، كأن في سرجه بدرًا في فخامة الخلق وحن المنظر ، وليثا في الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٤٨ .

(٥) ديوان البحتري ١٠٦ و ٢ / ٨٥٤ .

ذَكَرُوا الْهُدَىٰ مِنْ أَبِيكَ وَقَالُوا
وَعَلَيْهِمْ سَكِينَةٌ لِّكَ إِلَّا
بُهِتُوا حَيْرَةً وَصَمْتًا فَلَوْ قِيَدُ
وَقَلِيلٌ إِنْ أَكْبَرُوكَ لَكَ الْهَيْبَةُ
هُوَ ذَاكَ السَّيِّمُ وَذَاكَ النَّجَارُ (١)
مَدَّ أَيْدِيَّ يَوْمًا بِهَا وَيُشَارُ
لَ : أَحْيِرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا (٢)
بَةُ مِمَّنْ رَأَى وَالْإِكْبَارُ

وقال في المتوكل لما خرج لصلاة العيد :

وَأَفْتَنَ فِيكَ النَّاطِرُونَ : فَأَصْبَحَ
يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ فَهَلَّلُوا
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بَسًا
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنُ تَنْظُرُ (٣)
مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
نُورَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ
لِلَّهِ لَا يَزْهُو ، وَلَا يَتَكَبَّرُ (٤)
فِي وَسْعِهِ لَمْضَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الروم :

وَرَأَيْتَ وَفَدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ
لَحْظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا
وَرَأَوْكَ وَضَاحَ الْجَبِينِ كَمَا يُرَى
عَرَفُوا فَضَائِلَكَ الَّتِي لَا تُجْهَلُ (٦)
مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فِيهِمْ وَيُبَجَّلُ
قَمَرُ السَّمَاءِ السَّعْدِ سَاعَةً يَكْمُلُ (٧)

(١) في الديوان « هي تلك السيما » .

(٢) م « أجبروا مقالة ما أجازوا » .

(٣) ديوانه ١٨ « ورنا إليك الناظرون » ، ٢ / ١٠٧٥ .

(٤) في الديوان « لا يزهى » .

(٥) وفيه : « فلو . . . غير ما في وسعه لسي » .

(٦) ديوانه ٢٤ ، ٣ / ١٦٠١ .

(٧) في الديوان « قمر السماء اللم ليلة يكمل » .

نَظَرُوا إِلَيْكَ فَقَدَسُوا . وَلَوْ أَنَّهُمْ
 حَضَرُوا السَّمَاءَ فَكَلَّمَا رَأَمُوا الْقِرَى
 تَهَوَّى أَكْفَهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ
 مَتَحِيرِينَ فَبَاهَتْ مُتَعَجِّبٌ
 وَيَوَدُّ قَوْمَهُمُ الْأَوَّلَى بَعَثُوهُمْ
 قَدْ نَافَسَ الْغَيْبَ الْحُضُورَ عَلَى الَّذِي
 شَهِدُوا . وَقَدْ حَسِدَ الرَّسُولَ الْمُرْسِلُ
 قَوْلُهُ : « بَاهَتْ » . مِنْ بَهَتْ يَبْهَتْ وَقَدْ قِيلَتْ . وَهِيَ رَدِيئَةٌ ، وَالْعَجِيدُ
 بَهَتْ يَبْهَتْ .

وقال في المعتز :

يُبْهَتْ الْوَفْدُ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِ
 سَاطِعِ الضَّوِّ ، مُسْتَنِيرِ الشَّعَاعِ^(٤)
 وقال فيه :

إِذَا نَظَرَ الْوَفْدُ إِلَيْهِ قَالُوا :
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :
 لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ الطَّرْفَ خَشِيئَةً
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا قَوْلِ طَرْيَحِ الثَّقَفِيِّ :
 لَا خَوْفَ ظَلَمٍ ، وَلَا قِلَى خُلُقٍ
 لَا خَوْفَ بَأْسٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالٍ
 قَفَقَفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرِدُ^(٥)
 لَكِنْ جَلَالُ كَسَاكَةِ الصَّمَدِ

(١) وفيه « فتحيد عن » .

(٢) في الديوان « متحIRON . . . ما رأى » .

(٣) وفيه « ويود قومهم الأول بعثوا بهم » .

(٤) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

(٥) ديوانه ٧٧٩ ، ٢ / ٩٣٨ .

(٦) في اللسان ١٤ / ٤٥ « الأفكل على أفعل : رعدة تعلق الإنسان ولا فعل له » . وقفقف :

أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرد : الذي أرعد البرد .

[وأصل] الباب كله قولُ الحَزِينِ الكِنَانِي :

يُغْضِي حِيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(١)

• • •

وقال في الْمُتَوَكَّل :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا وَأَصْنَاءَ فِيهَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ^(٢)

لَبَسَتْ جَلَالََةَ جَعْفَرٍ فَكَانَهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ^(٣)

وقال في المعتز ويذكر الزَّوَّ^(٤) :

وَلَمْ أَرِ كَالْمُعْتَزِّ إِذْ رَاحَ مُوفِيًّا عَلَيْهِ بوجه لاح في الرَّوْنَقِ النَّضْرِ^(٥)

مَلِيًّا بَأَنَّ يَجْلُو الظَّلَامَ بِغُرَّةٍ تَخَاضَعُ إِكْبَارًا لَهَا غُرَّةَ الْفَجْرِ

إِذَا أَهْتَزَّ غَبَّ الْأَرِيحِيَّةِ وَالنَّدَى وَأَسْفَرَ فِي ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ^(٦)

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغاني ١٤ / ٧٥ وغير منسوب في الكامل ١ / ٣٩٩ .

(٢) ديوان البحري ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤ وانظر ص ٣٣٤ من هذا الجزء .

(٣) في الديوان « يجلله » .

(٤) في اللسان ١٩ / ٨٥ « الزو : القرينان من السفن » ثم قال في صفحة ٨٧ « الجوهري :

وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن بري : ليس بالعراق جبل يسمى زوا ، وإنما هو سمع في شعر البحري

قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما نارا ، ويسمى ذلك بالعراق زوا في

عيد للفرس يسمى الصديق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزيادي في القاموس ٤ / ٣٣٩ « والزو

كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، وهم الجوهري ، وإنما غره قول البحري :

ولا جبلا كالزو يوقف قارة وينقاد إما قدته بزمام

ولبيت في ديوانه ١ / ١١ .

(٥) ديوانه ١٥٢ ، ٢ / ١٠٥٣ عليه : أي على الزو الذي ذكره قبل ذلك :

تمجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجري

ولو بصرت عيناه بالزو لازدري حقير الذي نالت يده من الأمر

إذا لراى نصراً على ظهر لجة يروح ويندو فوق أمواجها يجري

تصاد الوحوش في حفاقي طريقه وتستنز الطير العوالى على قمر

(٦) في الديوان « تحت الأريحية » .

وَقَابَلَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ بِحُسْنِهِ فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرِ . وَبَحْرٌ عَلَى بَحْرِ
رَأَيْتُ بِهِاءَ الْمَلِكِ مُجْتَمِعًا لَهُ وَدِيَابَجَةَ الدُّنْيَا مَكْرُمَةَ الدَّهْرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمَلَأُ الْعُيُونَ بِهِاءَ حِينَ يَبْدُو فِي تَاجِهِ الْمَعْقُودِ^(١)

والخلفاء وملوك الإسلام لا يلبسون التيجان ، وأظنها كانت يتخذها الأحداث منهم فيلبسونها في خلواتهم ، ومع نسائهم . ومن لا يَحْتَشِمُونَهُ مِنْ نُدَمَائِهِمْ . فَأَمَّا الْقَلَانِسُ الْمُعَمَّمَةُ الَّتِي تُرْصَعُ بِالْجَوْهَرِ فَلَا شَكَّ فِيهَا . وَمَنْ ذَكَرَ تِيْجَانَ الْخُلَفَاءِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَلَعَلَّهُ رَأَى عَلَى رُؤُوسِهِمْ هَذَا الْجِنْسَ ، فَقَدْ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا فِي الْمَهْتَدِيِّ يَنْبَغِي عَنْهُ لُبْسُ التَّاجِ :

لَسَجَادَةُ السُّجَّادِ أَحْسَنُ مَنَظَرًا مِنْ التَّاجِ فِي أَحْجَارِهِ وَاتَّقَادِهَا^(٢)

وقال في المعترز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتُهُ بِالذُّوْرِ الزُّهْرِ^(٣)
[كَوَاكِبُ الْفَكَّةِ فِي أَفْقِهَا دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ الْبَدْرِ]^(٤)

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرقيّات قوله :

* يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَقَرِّهِ *

(١) ديوان البحترى ١٥٨ ، ٢٤ / ٧٢٩ « تملأ »

(٢) ديوانه ١١٠ ، ٢٤ / ٦٧٧ .

(٣) ديوانه ٦٣٠ ، ٢٤ / ١٠١١ .

(٤) زيادة لازمة ، وجاء في اللسان ١٢ / ٣٦٥ « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعل .

خلف السالك الراح » .

فأما الجلال . والبهاء . والهيبة . وسائر ما مضى من ذلك في هذا الباب - فإنه واجب في مدح الخلفاء والملوك والعظماء ؛ لأنه من الأوصاف التي تخصهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم .

وكذلك جمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به ؛ فإن الوجه الجميل يزيد في الهيبة . وَيَتَيَّمَنُ به العرب ؛ لأنه يدلُّ على الخصال المحمودة ، كما أنَّ قبح الوجه والدِّمَامَةَ يسقط الهيبة . ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب : وتتشاءم به ؛ لأنَّ أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه - وجهه .

ألا ترى إلى قول البحتري :

أَغْرُ كَبَارِقِ الْغَيْثِ الْمُرَجَّى يُحِبُّ فِي الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي (١)
تَخَاضَعَتِ الْوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ الْحِسَانِ

وقال في مثل ذلك :

حَسَنُ الْوَجْهِ وَالرُّوَاءِ وَكَمْ دَلَّ عَلَى سُودَدِ الشَّرِيفِ رَوَاؤُهُ (٢)
مَاءُ وَجْهِ إِذَا تَبَلَّجَ أَعْطَاكَ أَمَانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَاؤُهُ
يَتَعَالَى ضِيَاؤُهُ فَيَجْلَى طِخْيَةَ الْحَادِثِ الْمُضِبِّ ضِيَاؤُهُ (٣)

• • •

وقد غلط بعض المتأخرين في هذا الباب ممن ألف في « نقد الشعر » كتاباً - غلطاً فاحشاً (٤) . فذكر أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدِّمَامَةُ ليس بمدح على الحقيقة . ولا ذم على الصحة . ونحطاً كل من يمدح

(١) ديوان البحتري ١٤٥ / ٤ ، ٢٢٧٧ .

(٢) ديوانه ٥٢٨ « حسن العن » ١٠ / ٣٠ .

(٣) في الديوان « يتجل ضياؤه . . . ظلمة الحادث » وهي بمعنى . والمضرب : الذي غشيه الضباب

(٤) يقصد فدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر .

بهذا أو يَذُمُّ بذاك ، فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيها وعجميها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلظه في هذا نبينا شافياً مستقصى في كتاب منفرد^(١) .

وقال البحتري يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله :

عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ بِهَجَّةٍ أَضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِي بِهَا الرِّكْبُ لَأَهْتَدَى^(٢)
يَرُوقُ الْعُيُونُ النَّظَارَاتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الْحُسْنِ أَوْ وَافَى بِهَا الْبَدْرَ مَا عَدَا^(٣)
تَأْمَلْ أَمِينَ اللَّهِ فَرَطَ جَلَالَةٍ رَائِعَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ إِذَا بَدَا

وقد تصرف البحتري في المدح بالجمال والهيبة والجلال - تصرفاً كثيراً

في غير مدح الخلفاء ، فقال في الفضل بن إسماعيل الهاشمي :

لَا تَطْلُبُنْ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأْمَلِ ، مُرْنَةُ التَّأْمِيلِ^(٤)

وقال في الفتح بن خاقان :

تَكْشِفُ اللَّيْلُ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إِصْبَاحٍ^(٥)

وقال يمدحه :

وَيُبْتَدِرُ الرَّاعُونَ مِنْهُ إِذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ الْمُلْكِ مُطْلَعٍ^(٦)

(١) اسمه « تبين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبي الفضل : محمد بن الحسين ابن العميد ، وقد قرأه عليه ، وكتب خطه ، في سنة خمس وستين وثلاثمائة . ما في معجم الأدباء ٨ / ٧٦ .

(٢) ديوان البحترى ١٣٤ ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) هذا اليب وما يليه ، ليسا في طبعتي الديوان . وهما في طبعة المعارف .

(٤) ديوانه ٦١١ ، ٣ / ١٦٦٣ .

(٥) ديوانه ٥٨ « داجية أو ضوء » ، ١ / ٤٤٣ .

(٦) ديوانه ٩٠ ، ٢ / ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بَعْدِ إِذَا بَصُرُوا بِهِ وَيُدْعُونَ بِالْأَسْمَاءِ مَثْنَى وَمَوْحِداً
إِذَا سَارَ كُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصِرٍ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةً شَاخِصٍ
لِأَبْلَجٍ مِنْ نُورِ الْجَلَالَةِ أَرْوَعِ^(١)
إِذَا حَضَرُوا بَابَ الرُّوَاقِ الْمُرْفَعِ^(٢)
سِوَاهُ ، وَغَضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ^(٣)
إِلَيْهِ بَعِيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعٍ

الإفاضة : الدَّفْعُ ، يَرْبُ - أَنَّهُ يَدْفَعُ بِبَصَرِهِ إِلَيْهِ ، وَيَنْحُو بِهِ نَحْوَهُ .
والإفاضة في الكلام أَنْ يَدْفَعُوا أَيْضاً الْقَوْلَ ، وَيَبْعَثُوا الْكَلَامَ . وهذه هَيْبَةٌ
وجلالٌ ما وراءهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان
الفتح أَوْقَرَ وَأَهْيَبَ .

وقال البحتري في دخوله إلى الفتح :

وَلَمَّا حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أُخِّرْتُ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ
فَسَلَّمْتُ وَأَعْتَقْتُ جَنَانِي هَيْبَةً
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْثَنِي
دَنَوْتُ فَقَبِلْتُ النَّدَى فِي يَدِ أَمْرِي
صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو الْمُدَامُ خِلَالَهُ
رِجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ^(٤)
أَقَابِلُ بَدَرَ الْأُفُقِ حِينَ أَقَابِلُهُ
تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ
إِلَى بِيْشِرٍ آنَسْتَنِي مَخَايِلُهُ
جَمِيلٍ مُعْيَاهُ ، سِبَاطٍ أَنَا مِلُهُ^(٥)
وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ^(٦)

هكذا لعمري تمدح الملوك .

(١) في م والديوان « لأبلج مفور الجلالة » .

(٢) م « إذا حضر في باب » .

(٣) في الديوان « عن كل منظر » .

(٤) ديوانه ٥٢ ، ٣ / ١٦١٣ .

(٥) م « فقبلت الندى » .

(٦) م « المدام جلالة » .

وقال فيه :

مَهِيْبٌ تُعْظِمُ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ جَلَالَةَ أَرْوَغٍ وَارِي الزَّنَادِ^(١)
يُوَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ
قِيَامٌ فِي الْمَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ سُكُونٌ مِنْ أَنَاةٍ وَاتِّعَادٍ
فَلَيْسَ اللَّحْظُ بِالْمَكْرُورِ شَرًّا إِلَيْهِ ، وَلَا الْحَدِيثُ بِمُسْتَعَادٍ^(٢)

وقال فيه أيضاً لما دخلت إليه بنو تغلب بعدما أُلْحِحَ بينهم حتى سكنت
حَرْبُهُمْ . يقول ذلك في قصيدته المنصفة :

تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَقَصَّروا خَطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عُجُلُ^(٣)
إِذَا قَلَبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ وَمَالُوا بِلِحْظٍ خِلْتُ أَنَّهُمْ قُبُلُ^(٤)

وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيبِ الوصف .

وفي اقتصاص مثل هذه الأحوال التي تشاهد يظهر^(٥) حَذَقُ الشاعر وبراعته .

والله الموفق .

(١) ديوانه ٦٩٨ طبع بيروت ، ١ / ١٣٩ طبع مصر ، ٢ / ٧٢٦ طبع دار المعارف « تعظم
العلماء منه » وفي طبعة المعارف « يعظم » .

(٢) ديوانه ٧٢٦ / ٢ « بالمكروه شرراً » .

(٣) ديوانه ٦١ / ١ طبع بيروت ، ٢ / ١٦٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦١٩ - ١٦٢٠ طبع المعارف
م « تراؤل » وهو تحريف .

(٤) م في الديوان « إذا نكسوا » .

(٥) م « فيظهر » وهو تحريف .

فهرس الموضوعات

الصفحة	
٥٨ — ٥	ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الطاعنين
٥	ما قالاه في البكاء على الطاعنين
٧	ما لأبى تمام في البكاء على النساء المفارقات
١٠	من ابتدآتهما في معان شتى من باب الفراق
٢٠	ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام
٢٠	البكاء على الطاعنين
٢٨	بكاء النساء المفارقات
٤١	ما ذكرناه من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين
٤٤	ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق
٤٨	زوال الصبر وقلة التجلد.
٥١	ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه
	ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر
٥٩	والوجد والغرام
٥٩	ذكر ابتدآتهما بتشبيه النساء بالطباء والبقر
٦٤	ابتدآتهما بذكر الثغور
٦٦	ابتدآتهما بذكر البكاء والدموع
٦٩	ابتدآتهما بذكر السهر وطول الليل
٧١	باب آخر من الابتدآت
٧٥	ابتدآت البحترى في ذكر العيون
٧٩	من ابتدآت البحترى في الشوق
٨١	ابتدآت البحترى في معان شتى
٨٣	ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام

	ذكر ما قالاه في البهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس
٨٣	والبدور والنجوم وغير ذلك
١٠٥	ما قالاه في وصف الثغور
	ما قالاه في وصف القدور والخصور والأخصاف وثقل الأرداف
١١٠	وحسن المشي

	ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد
١٢١	وإخلافها ونحو ذلك
١٢١	في الحزن والوجد
١٢٣	في الشوق والصبابة
١٣٨	ما قيل في ائتلاف الخبين
١٤٢ - ١٥٧	باب في نوح الحمام
	باب في وصفهما للأيام التي خلت والأزمان التي حمداها والتذكر
	لها ، والأسى عليها ، ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء
١٥٨	وأوصافهن
١٥٨	ابتدأتهما في هذا الباب
١٥٩	ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب

١٦٧ - ١٨٩	ما جاء عنهما في طروق الخيال

١٩٠	ما قالاه في الشيب والشباب ووصف الكبير والعزوف عن الصبا
١٩٠	ما لهما من الابتدآت في ذلك
	ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف
١٩٦	الشيب وذمه
٢٠٢	كره النساء للمشي

الصفحة

٢١٢	نزل الشيب قبل حينه
٢٢١	البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا
٢٢٦	الاعتذار من الشيب
٢٢٧	مدح الشيب والتعزى عنه
٢٣٠	ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

* * *

باب فى ذكر الزمان وظلمه واعوجاجه وتعذر الرزق على ذوى الخزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفى التعزى والصبر والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة والنهوض فى طلب الرزق ، والسير على الإبل وقطع الفيافى ، وفى مواعظ

٢٢٣	وآداب

٢٢٣	ما جاء عنهما من الابتدآت فى ذلك

٢٣٥	ما قالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام

٢٣٥	فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نوبه

٢٤٣	فى المواعظ والآداب

٢٤٤	فى الصبر والقناعة

ذم ذوى الغنى على البخل وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل

٢٥٣	وتحامله على أهل الفضل والعقل

٢٦٣	ما قالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه

٢٧٤ — ٢٨٦	ما ذكر فيه سرى الإبل

٢٨٧	باب الشحوب والتغير من الأسفار

* * *

٢٩١	أبواب خروجهما من النسيب إلى المديح

٣١١	خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

٣١٣	خروجهما إلى المدح باليمين

الصفحة

٣١٥	خروجهما إلى المديح بذكر الغيث ومباراته
٣١٩	خروجهما إلى المدح بوصف الرياح وتشبيه أخلاق المدوح بها
٣٢٠	وجه آخر من خروجهما إلى المدح
٣٢٩	خروجات المتأخرين الظريفة الحلوة النادرة

٣٣١	باب المديح
٣٣٢	أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها
٣٤٠	ذكر الملك والدولة
	ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم من ذكر طاعتهم
٣٤٣	والحجة لهم . والمعرفة لحقهم
٣٤٥	ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم . فصارت إليهم
٣٤٧	من المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم
٣٤٩	من باب السؤدد والشرف: ذكر علو القادر وعظيم الفضل
٣٥٣	من باب المجد والسؤدد
	ومما يجب في مدح الخلفاء . كانت تلك حالهم أو لم تكن . ذكر
٣٥٩	التقى والورع
٣٦٢ - ٣٧١	ما قالا في الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجمهرة

رقم الإيداع	١٩٩٤/٣٦٢٨
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4484-8

١/٩٤/٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

